الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ
فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفَة بْن طَنْطَاوِي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّة أُصُولِ الدِّينِ والدرَاسَات الإسلامية

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّة

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ للدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بالجَامِعَة الإِسْلَامِيَّة وَالمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّة والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

-١٤٤٢هـ-

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل

(١٣)

الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ

فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ

(بحث محكم)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُّ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

(١٤٤٢ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة البحوث والدراسات الشرعية

Journal of shareia research and studies

إصدار علمي متخصص جامعي ملكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin

Concerned With Scholarly Research

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا

الرقـــم: ١٠/١٤٢١٣٩

التـاريخ: ٢/١١/١٤٤٣هـ

المرفقات: ..

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفة بن طنطاوي، عميد كليةِ أصولِ الدينِ والدراساتِ الإسلاميةِ بجامعةِ خاتمِ المرسلينَ العالميةِ، وأستاذ التفسيرِ وعلومِ القرآنِ للدراساتِ العليا، بالجامعةِ الإسلاميةِ والمعهدِ العالي للأئمةِ والخطباءِ، بمنيسوتا، والرئيسِ العامِ لمركزِ تأصيلِ علومِ التنزيلِ للبحوثِ العلميةِ والدراساتِ القرآنيةِ.

وعنوانه: الذهب الإبريز في خصائص الكتاب العزيز.

قد ورد إلى هيئة الإصدار، وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس التحرير

أ.د. عبد الفتاح محمود إدريس

رقم إيداع المجلة بدار الكتب: (٢٠١٢/١٨٦٢٠) - الترقيم الدولي الموحد لها: (ISSN. ٢٠٩٠-٩٩٩٣)

رابط موقع المجلة على الانترنت: journalofshareiaresearchandstudies.com

رقم المجلة ضمن قائمة الدوريات المفهرسة في قائمة: Islamic Info (٢٥٨)

رابط معامل التأثير العربي للمجلة: https://www.arabimpactfactor.com/pages/tafaseljournal.php?id=٨٤٨٦

جمهورية مصر العربية، القاهرة، مساكن مدينة نصر، رمز بريدي: ١١٣٧١، ص. ب: ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ – Mob: ٠٠٢/ ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢/ ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail: dr.edris@hotmail.com

دِيْباجَةُ البَحثِ

الحمد لله الذي بدأ بحمد ذاتِه العليةِ قبل أن يَحْمَده حامدٌ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له كل المحامدِ، الأحد الصّمَد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أهل طاعته كلهم له عابدٌ، وهم له قانتون، ما بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ، حيّ لا يموت؛ قيوم لا ينام، ذو الجلال والإكرام، والهبات الكبيرة العظام؛ تكلم بالقرآن، خلق الإنسانَ، علمه النطق والإفصاح والبيانَ، أنعم على عباده بالهدى والإيمان، فأرسل رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم لجميع الإنس والجان أجمعين، وأيده بالحجة والبرهان المتجددين مع تجدد الْمَلَوينِ، وتعاقب الجديدينِ(١)؛أرسله بكتاب عربي واضح مبين، وجعله فارِقًا بين التوحيد والشرك، وبين الهدى والضلال، والظلمات والنور، والشك واليقين؛ أنزله في أوجزِ لفظٍ وأعجزَ أسلوبٍ، فأعيت بلاغَتُه البلغاءَ فأخرستهم مشاكلتُه، وأعجزت فصاحتُه الفصحاءَ فأعجزتهم معارضَتُه، وأبكمت حكمتُه الحكماءَ فأعْيَتهم مناقضتُه، وأذهلت روعتُه الخطباءَ فأعجزتهم محاكاتُه ومخاطبتُه، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظَهِيرًا، كما قال ربنا في ذلك قولًا مبينًا: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨).

جعل أمثاله لمن عَقِلها وتدبّرها عِبَرًا، وأوامره لمن اهتدى بها واستبصرها هُدًى ورشدًا؛ بَيَّنَ فيه ما أوجبه على عباده من العبادات والأحكامِ، وفرّق فيه بين ما اشتبه عليهم أمرُهُ، كما بَيَّنَ فيه معالم الحلال والحرامِ، وثنى فيه من المواعِظ والعبر والقصص ما تتعظ وتتذكر به سائر الأنامِ، ولينتفع به من شاء الله من عباده على مر العصور والأزمان والأيامِ، وضرب فيه الأمثال، وقصّ فيه غيبَ أخبارِ من سكن هذه الدارَ لأخذ الحَيْطةِ والاعتبارِ والاتعاظِ والادكارِ؛ فقال ربنا الواحدُ القهارُ:(مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام: من آية: ٨٨).

سهل ألفاظه لعباده وخاطبهم به ليعقلوه، وبَيَّنَ لهم فيه مقاصدَهُ ومراميَهُ ليتعلموه،

فَقرأةُ كتابه هم حملتُهُ وهم حَفَظَةُ علمهِ المخزونِ، وقد جعله في كتاب مكنونٍ، لا يمسه إلا المطهرون المقربون. وجعل ورثةَ أنبيائه هم خلفاءه وأمناءه، وهم أهله وخاصّتُه وخِيرتُه وأصفياؤه وأولياؤه؛ كما قال رسوله صلى الله عليه وسلم: إن لِلَّهِ أهلِين مِنّا قالوا: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «هم أهلُ القرآن أهلُ الله وخاصّتُه» (٢).

١-المِلَوَانِ:اللَّيلُ والنهار، أَو طَرَفا النهار، والجديدان أيضًا هما اللَّيلُ والنهار، يُنظر: قاموس المعاني الجامع.

٢- أخرجه ابن ماجه أنس بن مالك رضي الله عنه: حديث/ ٢١٥، ١/ ٧٨، وأحمد، حديث/ ١٣٥٦٦، ٢/ ٢٤٢، والدرامي: حديث/ ٣٣٢٦، ٢/ ٥٢٥، والطيالسي في مسنده: حديث/ ٢١٢٤، ١/ ٢٨٣، ومن طريقه

فَحُقَّ لمن عَلَّمَهُ اللهُ كتابه أن يكون أولَ من ينتهي عن نواهيه، ويعتبر بعبرهِ وينزجرَ عما ورد فيهِ، ويخشى اللهَ ربَهُ ويتّقيهِ، ويراقبه في خلوته وجلوته ويُعَظِمَهُ ويستحييه. فإنه قد حُمِّل ميراثَ الأنبياءِ، وأصبح ممن يشهد في عرصات أرض المحشر على مخالفي الرسل من سائر أهل الملل الأشقياءِ؛ كما قال رب الأرض والسماء: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة: ١٤٣).

ألا وإنّ حجةُ الله قائمةٌ على من عَلِمَهُ فأهملَهُ، وهى أشد منها على من جَهِلَهُ فلم يعه ويفهمَهُ، وكذلك هي أنكى على من أوتي القرآنَ فلم تقرعه زواجره ونواهيه،

ولم يرتدع به ويَؤُوبُ إلى ربه فيأويه، ولم يرفع به رأسًا ولم ينتفع به فيهديه؛ وارتكب من الذنوب والمآثم كل قبيحٍ لا يحبه ربّه ولا يرتضيهِ، ومن الجرائم كل فضوحٍ مما يؤلمه ويؤذيه؛ فأضحى ما حمله من القرآن حجةً عليه، وخَصْمًا له يوم الحساب لديه وبين يديه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أرأف وأرحم به من أبويه: "الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ" (٣).

فحُقَ لمن خَصّه الله بعلم كتابه أن يقوم بحقه ويتلوَه حق تلاوته، ويتدبّر حقائق عبارته وآياته؛ ويتفهّم في عجائبه، ويتبيّن من غرائبه؛ وقد بيّن ربنا بقوله في آياته:

(كِتَاب أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَك لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ) (ص: ٢٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(ت: ٧٢٨هـ)

"أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ؛ فَإِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ الْحَقَّ وَأَبْغَضَهُ، وَعَادَاهُ: كَانَ مُسْتَحِقًّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ". (٤)

وقال ابن القيم رحمه الله:(ت: ٧٥١هـ)

"فَهَذَا جَهله كَانَ خيرًا لَهُ، وأخفَ لعذابه من علمه، فَمَا زَاده الْعلم إِلَّا وبالًا وَعَذَابًا، وَهَذَا لَا مطمع فِي صَلَاحه، فَإِن التائه عَن الطَّرِيق يُرْجَى لَهُ الْعود إليها، إِذا أبصرها، فَإِذا عرفهَا وحاد عَنْهَا عمدًا؛ فَمَتَى ترجى هدايته؟ قَالَ تَعَالَى:

البيهقي في شعب الإيمان: حديث/ ٢٦٨٨، ٢/ ٥٥١. (صحيح) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم١٤٣٢.

٣-صحيح مسلم، من حديث أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِي - رضي الله عنه: رقم: ٥٥٦- (ج ١ / ص ١٤٠) باب فضل الوضوء.

٤- "مجموع الفتاوى" (٧/ ٥٨٦).

(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ٨٦) ". (٥)

وفي نحو ذلك يقول ابن رسلان الرَّمْلي الشافعي(ت: ٨٤٤هـ):

فعالمٌ بعلمِهِ لـم يعمَلَنْ ** مُعَذَّبٌ من قبلِ عُبَّادِ الوَثَنْ .وكلُّ من بغير علم يعملُ ** أعمالُه مَردودَةٌ لا تُقْبَلُ.

وقد قال ربنا قولًا جللًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢-٣)

ثم جعل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم تفصيلَ ما ورد فيه إجمالٌ، وبيانَ ما ثبت فيه إشكالٌ، وتحقيقَ ما ورد فيه احتمالٌ؛ وليتحقق له بذلك كمال بلاغه عن ربه، حيث أمره سبحانه بقوله:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة: ٦٧)

وقد وكلَّ اللهُ تفصيلَ المجملِ إليه، وبيانَ المشْكَلِ عليه، وتحقيقَ المحتملِ فيه إليه، فقال سبحانه وخطابه موجه إليه، صلوات ربي وسلامه عليه: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل: ٤٤).

جعلنا الله ممن يقوم بحقه خير قيام، فيتدبره ويُحِلُ منه الحلالَ ويحرم الحرامَ، ويقوم بقسطه على الكمالِ والتمامِ، ويوفي بشرطه ابتغاء مرضاة الملك العلامِ، ويهتدي بهداه، ولا يرتضي سواه، ويهتدي لأعلامه الظاهرةِ، ويستمسك بأحكامه القاطعة الباهرةِ، ليجمع له به خيرَ الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرةِ.

وقد جعل استنباطَ معانيهِ، والاجتهاد في الوصول إلى مقاصده ومراميهِ، موكولًا لأهل الفهمِ فيه، فقال سبحانه: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء:٨٣)

فهم بذلك عن غيرهم قد تميزوا، وخُصوا بثواب اجتهادهم مرتين إن أصابوا الحقَ وقد تفرسوا، وأعداء الملة منهم بذلك قد تغيظوا، وقد بشرهم بذلك من أمرهم أن يتعلموا ويتمرسوا: "إذا حكمَ الحاكمُ فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر". (٦)

فكتاب الله أصل والسنة له تفصيل وتبيانٌ، واستنباط أهل العلم له شرح وإيضاح وبيانٌ.

٥-"مفتاح دار السعادة" (١/ ١١٥).

٦-أخرجه البخاري في صحيحه برقم:(٧٣٥٢)عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

وإنَّ القرآن الكريم هو خاتم الكتب المنزلةِ، وهو أجَلُها وأفضلُها وأعظمُها، وإنْ كانت كلها من عند الله إلا أنَّ القرآنَ جاء ناسِخًا لِمَا كلها ومُهَيمِنًا عليها، فأجلى الله به عن البصائرَ ما غشَّاها من تيهٍ وضلالٍ وعمى، وأخرج الله به البشريةَ من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن جَهالة وضلال الجاهلية إلى شرف الانتماء للإسلام، وقطع الله به دابِرَ القوم الظالمينَ، وقد ضمَّنَه تبارك وتعالى جَميعَ ما يُصلِح حياةَ البشر في معاشها ومعادها، كما صانه سبحانه من التحريف والتبديل والتغيير، وتكفَّل سبحانه بِحِفظه بذاته العلية، فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يدَيْه ولا من خلفه، ولا يعتريه أي نَّقص، ولا يشُوبُه أيُّ خطأ أو خللٍ، وجَلَّ الله أن يكون كلامُهُ كلام بشَرٍ كما زعم الْمُبطِلون، بل هو كلامُ الله تعالى حقيقةً- حرفًا وصوتًا ولفظًا ومعنىً-، كما قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ)(يسن: ٦٩)

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ت: ٣٢١هـ):

" وإنّ القرآنَ كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلامُ البشر فقد كفر وقد ذَمَّه الله وعَابَهُ وأوعده بسقر حيث قال تعالى: (سأُصلِيه سَقَر) (المدثر:٢٦)، فلما أوْعَدَ بِسَقَر لمن قال (إنْ هذا إلا قول البشر) (المدثر :٢٥) عَلِمْنَا وأيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشَر ولا يُشْبِه قولَ البشر". (٧)

فالقرآن الكريم ـ الذي هو كلامُ الله ووحيُه وتنزيلُهُ ـ غيرُ مخلوقٍ، مُعْجِزٌ في نَظْمِه، لا يُشْبِهُه شيءٌ مِن كلام المربوبينَ، ولا يَقْدِرُ على مِثْلِه أحَدٌ مِن المخلوقين، "الذي في مَصاحِفِ المسلمين، لم يَفُتْ منه شيءٌ، ولم يَضِعْ بنسيانِ ناسٍ، ولا ضلالِ صحيفةٍ، ولا موتِ قارئ، ولا كتمانِ كاتمٍ، ولم يُحَرَّفْ منه شيءٌ، ولم يُزَدْ فيه حرفٌ، ولم يُنْقَصْ منه حرفٌ، كُلُّه حقٌّ مِن عندِ الله، ولو كذَّب به أعداءُ الرُّسُلِ (٨)

مِن الكُفَّار والمشْرِكين والمُلْحِدين ومَن سارَ على نَهجِهم مِن الفلاسفة وأهلِ الأهواء". (٩)

فما تقولون في فضل كتابٍ أنقذ الله به أمة من جاهلية جهلاءَ، وضلالة عمياءَ، دأبهم السلبُ والنهبُ، ومعبودهم الأوثانُ والحجارةُ، وديدنهم توارثُ العداواتِ والأحقادِ، لا تعرف من الحقَ رسمًا. نحلتها ما وجدت عليه آباءَها, وما استحسنته أسلافُها, من آراء منحرفةٍ، ونحل مخترعةٍ، وملل

٧- شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٧٩).

٨- شُعَب الإيمان للبيهقي (١ /٣٢٦).

٩- يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ (٣٣٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

مبتدعةٍ، فأنزل الله عليهم هذا الكتابَ فأنقذهم منها به، وانتشلهم به من أوحالها.

ما تقولون في فضلِ كتابٍ ختمَ الله به الكتبَ، وأنزِل على نبي ختم به الأنبياء، وبدين ختمت به الأديانَ.(١٠)

ما تقولون في فضل كتاب فُتحت به أمصارٌ، وجثت عنده الركبُ، ونهل من منهله العلماءُ، وشرب من مشربه الأدباءُ، وخشعت لهيمنته الأبصارُ، وذلت له القلوبُ، وقام بتلاوته العابدون, والراكعون, والساجدون.

ذلكم القرآن الكريمُ: كليةُ الشريعةِ، وعمدةُ الملةِ، وينبوعُ الحكمةِ، وآيةُ الرسالةِ، ونورُ الأبصارِ والبصائرِ، فلا طريق إلى الله سواهُ، ولا نجاة بغيرِهِ، ولا تمسك بشيء يخالفُهُ". (١١)

فالحمد لله على كمال الدين وتمام النعمة، والحمد لله على شرعةٍ غراءَ وخيرِ ملةٍ، ونسأله سبحانه حسن العاقبة في الأمور كلها والوفاة على الإسلام والسنة. (١٢)

ملخص البحث

هذا بحث غاية في الأهمية تناول فيه الباحث أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم من جهة: تعهد الله بحفظه بذاته العلية، ثم تناوله من جهة: الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني، ثم تناول بيان إعجازه في الإخبار عن المغيَّبات، ثم أعقبه بالكلام عن الإعجاز التشريعي، ثم تناول أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير التي يجب أن يتبعها كل من أراد تناول كتاب الله بالتفسير والإيضاح والبيان بإسهاب، ثم تناول الإعجاز العلمي وما إليه، فبين بطلان بعض دعوى أهل الإعجاز، ثم تناول الخلاف الوارد فيه، ثم بين القول الفصل فيه مستدلًا بأقوال علماء العصر وفتاويهم، ثم ختم بحثه ببيان وسطية القول فيه، ثم ذكر أهم المصنفات التي صُنِّفت في إعجاز القرآن.

Research Summary

١٠-عبارة "الأديان السماوية" يستعاض عنها بكلمة الشرائع السماوية، وذلك لأن الدين واحد لا يتعدد كما قال ربنا: (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**..) (آل عمران: من آية:١٩). وقال الله تعالى:

(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (البقرة:١٣٦) ..ووصف الله إبراهيم بأنه (**كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**).(آل عمران:٦٧). ولعلها سبق قلم من الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى. الباحث.

١١- الموافقات للشاطبي(٣/٣٤٦).

١٢ - ينُظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: مقدمة كتابه: (المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي).

This is a very important research in which the researcher dealt with the most prominent characteristics of memorizing the Holy Quran.

On the one hand: God pledged to preserve it in His causal essence, then dealt with it on the one hand: the linguistic, rhetorical and rhetorical inimitability, then dealt with the statement of His miraculousness in telling about the unseen, then followed it up by talking about the legislative miracle, then it dealt with the foundations, rules, methods and sources of interpretation that everyone who wants to deal with must follow The Book of God with interpretation, clarification and clarification at length, then dealt with the scientific miracles and what is thereto, showing the invalidity of some of the claims of the people of the miraculous, then dealing with the dispute contained therein, then between the final saying in it based on the sayings and fatwas of the contemporary scholars, then he concluded his research with a statement of the moderation of the saying in it, then he mentioned the most important works Which was classified in the miracle of the Qur'an.

خطة البحث

وقد ضمَّن الباحثُ بحثَه خطة بحث مكونة من أربعة فصول، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيَّن فيه ما يلي:

أولًا: أهمية موضوع البحث

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعًا: مشكلة البحث وأهدافه

خامسًا: منهج البحث

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعًا: مجموع الفهارس:

وخطة البحث تشتمل على أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول

أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم

من جهة:

" تعهد الله بحفظه بذاته العلية "

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخاصّيّة الأولى: القرآن محفوظ من التحريف والتغير والتبديل والزيادة والنقصان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعهد الله بحفظ كتابه

المطلب الثاني: من أسباب حفظ القرآن الكريم نقله بالأسانيد المتواترة

المطلب الثالث: لما جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز التبديل على أهل القرآن

المطلب الرابع: لا يقدر أحدٌ تبديل القرآن لعلو جانبه، ورفعة منزلته، وعظيم مكانته

المبحث الثاني: الخاصّيّة الثانية: القرآن خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن عليها

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بجميع الكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان

الكتب المنزلة كلها من كلام الله حقيقة المطلب الثاني:
المطلب الثالث: أدلة إثبات تحريف الكتب السابقة
المطلب الرابع: أدلة إثبات أن القرآن خاتم الكتب المنزلة
المطلب الخامس: بعض التفصيلات التي وردت في القرآن الكريم عن بعض الكتب السماوية المنزلة
المطلب السادس: هيمنة القرآن على الكتب السابقة
الفصل الثاني أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم من جهة: " أبرز أوجه إعجازه "
وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: القرآن معجز بلفظه ومتحدى به
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: أول ملامح التحدي تَعَرُّضًا في القرآن
المطلب الثاني: تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم
المطلب الثالث: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب كم المتحدَّى
المطلب الرابع: شمولية إعجاز القرآن
المبحث الثاني: الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني
وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة
المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة
المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا
المطلب الرابع: تعدد اتِّجاهات المفسرين في أوجه إعجاز القرآن
المطلب الخامس: وجوه إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور
المبحث الثالث: إعجاز القرآن في الإخبار عن المغيَّبات
وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: أنواع الْمُغَيَّبات الواردة في القرآن إجمالًا
المطلب الثاني: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الماضي
المطلب الثالث: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الزمن الحاضر الْمُعاصِر والواقع في زمنِ نزول القرآن عن أمور مُتَعَلِّقة بغُيُوبٍ لِمَن هم في عصْر الرسالة
المطلب الرابع: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة
المطلب الخامس: أُصول المغيبات في القرآن

المبحث الرابع: الإعجاز التشريعي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التشريع في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم التشريع اصطلاحًا

المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز التشريعي في القرآن

المطلب الرابع: أبرز وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن

المطلب الخامس: القرآن هو المعجزة الكبرى التي وقع بها التحدي

الفصل الثالث أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المصدر الأول: تفسير القرآن بالقرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحسن طرق التفسير هي: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثاني: المصدر الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية

وفيه مطلبان: المطلب الأول: أهميّة ومكانة تفسير القرآن بالسنّة

المطلب الثاني: الرد على مَنْ يدَّعي الاستغناءَ عن السُّنة بالقرآن

المبحث الثالث: المصدر الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة – رضي الله عنهم–

وفيه ثمانية مطالب: المطلب الأول: مكانة جيل الصحابة – رضي الله عنهم–

المطلب الثاني: أهمية تفسير الصحابة – رضي الله عنهم–

المطلب الثالث: خصائص الصحابة – رضي الله عنهم–

المطلب الرابع: أسباب قلة اختلاف الصحابة في التفسير

المطلب الخامس: مميزات تفسير الصحابة

المطلب السادس: حجية أقوال الصحابة – رضي الله عنهم– في التفسير

المطلب السابع: مصادر التفسير عند الصحابة – رضي الله عنهم–

المطلب الثامن: المشتهرون بالتفسير من الصحابة – رضي الله عنهم –

المبحث الرابع: المصدر الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين – رحمهم الله تعالى–

وفيه سبعة مطالب: المطلب الأول: مكانة جيل التابعين

المطلب الثاني: مكانة تفسير التابعين

المطلب الثالث: منهج التابعين في تفسير القرآن الكريم

المطلب الرابع: منهج التابعين في تفسير القرآن بأقوال الصحابة وأخذه عنهم

المطلب الخامس: منهج التابعين تفسير القرآن بلغة العرب

المطلب السادس: تفسير القرآن بالاجتهاد وقوة الاستنباط

المطلب السابع: التابعون الذين اشتُهِروا بأخذ التفسير عن الصحابة

المبحث الخامس: المصدر الخامس: تفسير القرآن بمدلولات اللغة

وفيه مطلبان: المطلب الأول: مكانة اللغة من القرآن

المطلب الثاني: مكانة اللغة للمتكلم في الشريعةِ ولا سيما في التفسِير

الفصل الرابع الإعجاز العلمي وما إليه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بطلان بعض دعوى أهل الإعجاز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بطلان دعواهم أن البحث في الحقائق الكونية يبرز تجدد إعجاز القرآن

المطلب الثاني: التحذير مما لا تحمد عقباه

المبحث الثاني: الخلاف في الإعجاز العلمي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب: موقف المؤمن عند الاختلاف

المطلب الثاني: الخلاف طبيعة بشرية جبلية

المطلب الثالث: الخلاف من أخص أوصاف المبتدعة

المطلب الرابع: خطورة القول على الله تعالى بغير علم

المبحث الثالث: القول الفصل في الإعجاز العلمي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقول علماء العصر في الإعجاز العلمي

المطلب الثاني: أبرز المعارضين للقول بالإعجاز العلمي

المطلب الثالث: وسطية القول في الإعجاز العلمي

المطلب الرابع: أهم المصنفات في إعجاز القرآن

منهجية البحث

أولًا: أهمية موضوع البحث

تتعلق أهمية موضوع هذا البحث بشرف متعلقه ألا وهو كتاب الله، ذلك لأن العلم بكتاب الله تعالى يُعَدُ من أشرف العلوم وأجلها، وإن الاشتغال بالبحث فيه وبإبراز خصائصه ومزاياه الكثيرة التي تتعلّق بمكانته وفضله وأسلوبه وبيان أبرز أوجه إعجازه يُعَدُ من أعلى المطالب، وحصوله للعبد يُعَدُ من أشرف المواهب، وإن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو كتاب الله تعالى سبحانه.

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

الدراسة الأولى: "خصائص القرآن الكريم"، تأليف: فهد بن عبد الرحمن الرومي

الناشر: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع بالرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة التاسعة، عام النشر: ١٤١٧هـ.

وصف البحث:

يُعد هذا الكتاب من المصنفات التي كُتِبت حديثًا وتناولت خصائص القرآن الكريم بالبحث والدراسة,

حيث قال فيه مصنفُه:

وقد ذاكرتُ يومًا خصائص القرآن الكريم فتاقت نفسي إلى كتاب يدرسها، أو مقال يجمعها، فما وجدتُ على كثرة المؤلفات في علوم القرآن شيئًا من ذلك، كنتُ أحسبُ أن المؤلفات فيه كثيرة والدراسات المستفيضة، فأعدتُ النظر وقلَّبتُ الفكر بين مخطوط ومطبوع، فما وجدتُ إلا مُختصِرًا مُقتصِرًا، أو مُحرِّفًا مُشعوِذًا.

فحاولتُ أن أجمع هنا – ما استطعتُ – من خصائص القرآن مُعرِّضًا بإيجازٍ لكل واحدةٍ منها، مُبتعِدًا عن خرافات المحرِّفين وبدع المبتدعِين، مُستنِدًا إلى الكتاب والسنة، وما أقرَّ به أرباب اللغة وفصحاؤها مُذعنين، وأرباب العلوم والمعارف مُعترفين.

وقد حاول الكاتب في هذا الكتاب أن يجمع ما استطاع من خصائص القرآن معرفًا بإيجاز لكل واحدة منها مبتعدًا عن خرافات المحرفين وبدع المبتدعين مستندًا إلى الكتاب والسنة، وما أقر به

أرباب اللغة وفصحاؤها مذعنين، وأرباب العلوم والمعارف معترفين. وقد تناول فيه مؤلفه خصائص القرآن الكريم من جهات عدة **وقد أوردها على النحو التالي:**

خصائص القرآن الكريم من جهة.....أسلوبه، ومن جهة.....طريقة تأليفه، ومن جهة.....حفظ اللغة العربية، ومن جهة.....معارفه، ومن جهة.....وفائه بحاجات البشر، ومن جهة.....أنه لا يصادم الحقائق العلمية، ومن جهة.....الأخبار الغيبية، ومن جهة.....وقوع التحدي به، ومن جهة.....إعجازه، ومن جهة.....تأثيره في النفوس، ومن جهة.....الاستشفاء به، ومن جهة.....شفاعته لأهله، ومن جهة.....فضله، ومن جهة.....التعبد بتلاوته، ومن جهة.....الثواب لقارئه ولمستمعه، ومن جهة.....رسمه، ومن جهة.....هيمنته على الكتب السابقة، ومن جهة.....أن له نزولين، ومن جهة.....نزوله منجمًا، ومن جهة.....نزوله على الأحرف السبعة، ومن جهة.....الأحرف المقطعة، ومن جهة.....أنه لا يجوز تعدي غاياته.

الدراسة الثانية:

"معجزة القرآن الكريم خصائصها وأثرها على ثقافة الشعوب"، تأليف: بكري محمد بخيت أحمد، الناشر: مجلة: الحركة، الصادرة عن: كلية القرآن الكريم – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية– أم درمان — السودان. المجلد التاسع عشر، العدد الأول عام النشر: ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.

وصف البحث:

يتحدث هذا البحث عن معجزة القرآن الكريم وما حباها الله تعالى به من خصائص فريدة، جعلت لها التميز عن كل المعجزات، ولذلك كان لها الأثر الفعال في تغير حياة كل الشعوب، وتعديل أنماط حياتهم إلى ما هو أفضل في الأخلاق والقيم والسلوك الفردي والجماعي، ولم يقتصر دورها على شعب دون شعب أو أمة دون أمة، بل كان أثرها عامًا كما هي معجزة لكل العالمين.

الدراسة الثالثة:

"خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) وأصل الكتاب أطروحة علمية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية– جامعة الأزهر– القاهرة– الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ٢.

وصف البحث:

وقد تناول فيه خصائص التعبير القرآني من عدة جهات على النحو التالي:

خصائص التعبير القرآني من جهة.....وظيفة التعبير اللغوي وتطورها، ومن جهة..... قيمة الوجوه البلاغية في جمال التعبير اللغوي، ومن جهة.....خصائص التعبير في القرآن الكريم، ومن جهة.....الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن جهة.....الإعجاز البيانى الأدبي، ومن جهة.....خصائص يغلب عليها جانب الألفاظ، ومن جهة.....خصائص يغلب عليها جانب المعنى.

كما أن هناك مصنفات في علوم القرآن تناول مصنفوها هذا الموضوع وأدرجوه ضمن مصنفاتهم كما هو صنيع بدر الدين الزركشي(ت:٧٩٤هـ) في "البرهان"، وصنيع جلال الدين السيوطي(ت:٩١٠هـ) في "الإتقان".

مقارنة بين تلك البحوث وهذا البحث:

وبعقد مقارنة بين تلك البحوث وبين البحث الماثل بين ناظري القارئ الكريم يلاحظ ما يلي:

١- أن تلك البحوث ناقشت موضوع البحث من جوانب قد تكون متقاربة ومتشابهة، وإن اختلف أسلوب وطريقة تناول كل منها، وأن منها المطول ومنها ما هو مختصر، ومنها ما هو عوان بين ذلك، ومنها ما تناول جانبًا واحد من جوانب الإعجاز وتوسع فيه، وهي في الحقيقة بحوث يكمل بعضها البعض، ولا سيما وأن الجميع قد قدم ما جادت به قريحته وجرى به قلمه وسال منه مداده فَسُمِعِ صريفُه وبقى صداه ومنها ما هو دون ذلك.

٢- مما انفرد به هذا البحث عن الدراسات السابقة معالجة قضية" الإعجاز العلمي وما إليه"

٣- تقديم الإعذار لأهل الإعجاز بما ينبغي عليهم اتباعه من عدم التعرض لكلام الله إلا في ضوء أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير التي اتبعها السلف وساروا عليها.

٤- بيان القول الفصل في قضية" الإعجاز العلمي" وحسمه في ضوء الأدلة العقلية والنقلية المدعمة بفتاوى علماء العصر.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

إن كان اهتمام العلماء والباحثين في كل عصر ومصر بعلوم القرآن الكريم عمومًا وبخصائصه ومميزاته خصوصًا يُعد من الواجبات المتحتمات على أهل التخصص فيه، كل بحسبه، فإن تلك الواجبات يزدد تأكدها ويتحتم وجوبها في عصرنا الحاضر ووقتنا الراهن، حيث انتشرت تلك الوسائل الحديثة وعمت بها البلوى وأصبحت في متناول كل أحد، وانعدم الرقيب والحسيب، وضعف وازع المراقبة عند جموع غفيرة من البشر، فانتشرت موجة من الفتن، ما بين إلحاد صريح، وما بين إنكار لأمور معلومة من الدين بالضرورة، وما بين طعن في الدين وتجريح صريح، وما بين دعاة على أبواب جهنم أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منهم كما في حديث حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- أنه قال:

تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا... (١٣)، وما بين طعن طائفة غير قليلة في أصول الدين وثوابته وتنكرها لحقائق الإيمان، والتمرد على سلطان الدين وظنها جهلًا منها وحمقًا أنها تستطيع أن تطفئ نور الله بأفواهها، وقد خيَّب الله آمالهم وسعيهم وأبطل مكرهم وأبكم ألسنتهم أجمعين بقوله سبحانه: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف: ٨)

من هنا أصبحت الحاجة ماسة والضرورة ملحة لإبراز خصائص القرآن المجيد وأوجه إعجازه وتقريبها إلى الأفهام بعبارة جزلة وأسلوب سهل التناول وذلك كله انتصارًا للقرآن بصحة برهان وجودة إتقان إظهارًا لتلك المعجزة الكبرى، ولبلوغ الحجة ووضوح المحجة وإعذارًا إلى الله تعالى، ونقول كما قال أَنَسُ بنُ النَّضْرِ - رضي الله عنه- لما انْكَشَفَ المسْلِمُونَ يوم أحد: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي أَصْحَابَهُ- وأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ -يَعْنِي المشْرِكِينَ". (١٤)

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإذا عُرِف السببُ بطل العجب.

١٣- صحيح الجامع، للألباني: (٢٩٩٤).

١٤ - رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣). من حديث: أَنَسُ بنُ مالك- رضي الله عنه-

رابعًا: مشكلة البحث وأهدافه

أ- مشكلة البحث

من أكبر المعضلات التي تواجه عموم الباحثين في خصائص القرآن الكريم على وجه العموم عدم القدرة على لم شمل البحث من جميع جوانبه من جهة، وعدم استيعاب أي بحث لجميع خصائص القرآن، فيقف الباحث مذهولًا مندهشًا ومشدوهًا أمام عظمة كلام الله العظيم الذي لم ولن يتمكن أي باحث مهما أوتى من علم وسعة اطلاع وفصاحة وبلاغة وقوة فهم وإدراك وحصافة رأي أن يوفِّي البحثَ في هذا الجانب ما يستحقه، فيكتفي من القلادة ما أحاط بالعنق عملًا بالمثل العربي الدارج

" حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق " (١٥).

ب- أهداف البحث

تناول أبرز وأجلّ خصائص القرآن الكريم وأوجه إعجازه وبيان عظمته وإيضاحها في ضوء ما يلي:

١- أن القرآن الكريم له خصائص عظيمة وجليلة لا يمكن أن يحويها بحث أو يحدها مقال

٢- أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله من التحريف والتغير والتبديل والزيادة والنقصان

٣- أن الله تحدى بالقرآن جميع خلقه من الإنس والجن فعجزوا مجتمعين على الإتيان بمثله

٤- أن القرآن خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن عليها

٥- أن إعجاز القرآن شامل لجميع وجوه الإعجاز- اللغوي والبلاغي والبياني والتشريعي، كما أن أبرز أوجه إعجازه تكمن في الإخبار عن المغيَّبات

٦- إبراز عظمة كلام الله وأن القرآن هو المعجزة الباقية إلى قيام الساعة

٧- أنه لا يحل ولا يحق لأي أحد التعرض لتفسير القرآن وبيان معانيه وأهدافه وغاياته ومقاصده ومراميه إلا من ضوء أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير التي نهجها أئمة السلف

٨- مناقشة موضوع "الإعجاز العلمي وما إليه" وبيان موقف المؤمن عند وقوع الاختلاف

٩- ذكر الخلاف الوارد في الإعجاز العلمي، ثم بيان بطلان بعض دعوى أهل الإعجاز

١٠- وختام البحث ببيان القول الفصل في الإعجاز العلمي.

١٥-مجمع الأمثال ١/١٩٦، المستقصى ٢/٦٢، تمثال الأمثال ٥٩٥ وفيه: "يكفي من القلادة.." يُقال أنه: قيل لعقيل بن علفة: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال ذلك، وهو مثل يضرب في وجوب الاكتفاء من الشيء بما تتم به الحاجة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: منهج البحث

المنهج الوصفي التحليلي:

قام الباحث بعرض أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم من جهة: " تعهد الله بحفظه بذاته العلية " ووصفه وصفًا تحليليًا تناول فيه خاصّيّة حفظه من التحريف والتغير والتبديل والزيادة والنقصان، ثم تناول خاصّيّة كونه خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن عليها، ثم تناول أبرز خصائصه من جهة: " أبرز أوجه إعجازه "، ثم تناول الإعجاز اللفظي بالتحليل، ثم أعقبه بالكلام عن التحدي به، ثم تناول الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني بالتحليل، ثم أعقبه بتناول وجه إعجازه في الإخبار عن المغيَّبات، ثم تناول الإعجاز التشريعي، ثم تناول أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير وتناولها بالوصف التحليلي الدقيق لأجزائها وأقسامها، ثم ختم بحثه بتناول "الإعجاز العلمي وما إليه" فقام بعرض أظهر جوانبه فناقشها وفند المزاعم الواردة بشأنه فقام بعرض أبرز الحجج الواهية التي ارتكز واعتمد عليها أهل الإعجاز فنقدها نقدًا علميًا بناءً ودحضها بالحجج العقلية والأدلة النقلية، ثم خلص في نهاية بحثه إلى تحقيق أهدافه القاضية ببطلان عمل أهل الإعجاز وجرأتهم على الكلام في التفسير بغي حجة ولا برهان.

الفصل الأول أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم

من جهة: "تعهد الله بحفظه بذاته العلية"

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخاصّيّة الأولى: القرآن محفوظ من التحريف والتغير والتبديل والزيادة والنقصان،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعهد الله بحفظ كتابه

لقد تَعهَّدَ اللهُ تعالى بحفظِ كتابه الكريم منذ نزوله فقيَّضَ سبحانه أسبابًا لحفظه، فمنذ نزوله إلى زماننا الحاضر والأمة تسارع وتسابق إلى حَفِظَه في الصدور وكتابته في السطور وكل عهد من العهود وزمن من الأزمن يقدم ما يناسبه من أسباب حفظه، مكتوبًا ومحفوظًا ومسجلًا تسجيًا صوتيًا، ويعتني بكتاب الله العناية اللائق بكونه كتاب الله ووحي المنزل ورسالته الخاتمة، فصانَهُ الله مِن كل تحريف وتصحيف وتغيير وتبديل؛ فبقي كتابه محفوظًا لم تَجْرِ عليه أي زيادة ولا نقصان وسيبقى كذلك إلى أَنْ يُرفعَ في آخر الزمان؛ كما وَعَدَ ربنا سبحانه في محكم كتابه بقوله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر: ٩). وكما وعد الله تعالى بقوله: (وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) (فصلت: ٤١-٤٢) (١٦)

ولأن كانت ثقة أهل الإيمان بأن الله تعالى قد تولّى حفظ كتابه بذاته العلية فإن واقعنا المعاصر خير شاهد على ذلك، فأقدم النسخ من مخطوطات القرآن الكريم من قبل ألف سنة هي نفس نُسخ القرآن المطبوعة الموجودة بين أيدينا إلى وقتنا الحاضر لم يتغير منها أي شيء، ولو حرفًا واحدًا.

المطلب الثاني: من أسباب حفظ القرآن الكريم نقله بالأسانيد المتواترة

والقرآن الكريم لا يزال إلى وقتنا الحاضر يُنقل بالأسانيد المتواترة، كل جيل ينقله عن جيل بالتواتر إلى الجيل الذي يليه، وكل يجيل ينقله بالأسانيد إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه السلام عن رب العزة جل في علاه.

١٦-الاعتقاد للبيهقي (١١٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الكتب السابقة-الزبور التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى-، فأين هي الأن؟ فهل تجد اليوم مما أنزل الله فيها من شيء، وتأمل التوراة والإنجيل لا تجد منها أي نسخ متماثلة ومُتطابقة مما هو في أيد أهل الكتاب في حاضرنا اليوم، بل هي متناقضة تمام التناقض حتى فيما بين طبعاتها التي طُبعت في قطر واحد، لماذا هذا كله؟ لأن قد وُكِلَ حفظُها لأهلها، "وهم الأحبار والرهبان والعلماء" فضيعوها، وزادوا فيها وأنقصوها، وغيروا فيها وبدلوها، كما قال ربنا في أهل التوراة:(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة: ٤٤).

المطلب الثالث: لما جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز التبديل على أهل القرآن

سؤال يرد على أذهان البعض لما جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز التبديل على أهل القرآن، وهنا يأتي الجواب بشيء من الإيجاز.

"**ومن لطائف القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد** (ت: ٢٨٢هـ) **ماحكاه عياض**(ت: ٥٤٤هـ) **في المدارك عن أبي الحسن بن المنتاب**(١٧) **قال:**

كنت عند إسماعيل يومًا فَسُئِل: لما جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز التبديل على أهل القرآن؟. فقل لأن الله تعالى قال في أهل التوراة(بما استحفظوا من كتاب الله) فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فتعهد الله بحفظه فلم يجز التبديل على أهل القرآن.

قال: فذكرت ذلك للمحاملي فقال لا أحسن من هذا الكلام". (١٨)

١٧-هو أبو الحسن عبيد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب المالكي البغدادي، المعروف بـ «الكرابيسي»، إمام حافظ، تولَّى القضاء بالمدينة النبوية، وتفقَّه بالقاضي إسماعيل، وروى عنه أبو القاسم الشافعي، وأبو إسحاق ابن شعبان، وأبو الفرج وغيرهم، له كتاب في مسائل الخلاف والحُجَّة لمالك، لم يُذْكر تاريخُ وفاته. تحقيق «الإشارة» (١٦٧).

تُنظر ترجمته في: «الديباج المذهب» لابن فرحون (١٤٥)، «شجرة النور» لمخلوف (١/ ٧٧).

١٨- يُنظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: (٢٠٩/٦). تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

وفي قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩)

يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ) **–رحمه الله–:**

(إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (لَهُ) من ذكر الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

عن قتادة: (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا، أو ينقص منه حقًا.

وقيل: الهاء في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، بمعنى: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه " انتهى باختصار. (١٩)

والمعنى الأول هو الصحيح المناسب للسياق، فقد جاء في الآيات التي قبل هذه الآية قوله تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ). (الحجر: ٦-٨).

فالذكر المقصود بالآيات هو الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك هو القرآن الكريم.

ولذلك قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) **–رحمه الله–:**

المعنى الأول أَوْلى، وهو ظاهر السياق. (٢٠)

يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤١-٤٢).

يقول الطبري(ت:٣١٠هـ) **–رحمه الله–:**

" قوله: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا أو تغييرا، من إنسي وجني وشيطان مارد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

١٩ – تفسير الطبري: (٦٨/١٧). تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢٤.

٢٠– تفسير ابن كثير: (٥٢٧/٤). تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤٢٠،٢هـ – ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) معناه: لا يستطيع ذو باطل تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

عن قتادة: الباطل: إبليس، لا يستطيع أن ينقص منه حقًا، ولا يزيد فيه باطلًا ". (٢١)

ويقول الله عز وجل: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) (الكهف:٢٧).

يقول ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"يقول تعالى آمرًا رسوله عليه الصلاة والسلام بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس: (لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) أي: لا مغير لها، ولا محرِّف، ولا مؤوّل ". (٢٢)

ويقول ابن سعدي (ت:١٣٧٦هـ) **–رحمه الله–:**

"أي: اتبع ما أوحى الله إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا

تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها من الحسن فوق كل غاية (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا) (الأنعام: ١١٥) فلتمامها استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا تعظيم للقرآن، وفي ضمنه الترغيب على الإقبال عليه ". (٢٣)

ويقول سبحانه وتعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت:٤٨-٤٩).

دلت الآية الثانية على أن القرآن الكريم محفوظ في صدور العلماء، وهو خبر من الله عز وجل، وخبر الله لا يمكن أن يتخلف في زمان ولا في مكان.

ويقول جل وعلا: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) (الحاقة/٤٤-٤٧).

٢١- تفسير الطبري: (٤٧٩/٢١)

٢٢- تفسير ابن كثير (١٥١/٥)

٢٣- تفسير ابن سعدي: (ص: ٤٧٩). تفسير ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا كان هذا الوعيد في حق سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف هو حال من يسعى في تحريف كتاب الله والتقول على الله فيه ما لم يقله، وبهذا القياس يمكن الاستدلال بهذه الآية على أنه لا يستطيع بشر أن يزيد أو ينقص من كتاب الله شيئًا، فالعقوبة العاجلة له بالمرصاد.

يقول الباحث:

"فإذا كان هذا الوعيد والتهديد الشديد قد ورد في حق خير الخلق وحبيب الحق، في حق وليه وصفيه وخليله وأمينه على وحيه صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن دونه في الرتبة والمكانة والفضل والمنزلة؟! ومن هو؟ إنه نبيه وخاتم رسله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه، وهو من هو في عصمته وأمانته في البلاغ عن ربه وأدائه لرسالته سبحانه، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يتقول على ربه ولو بعض قول، وقد وصف الله تعالى أمانته في البلاغ عنه سبحانه في محكم كتابه جل في علاه بقوله: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم: آيتا: ٣-٤]، والمعنى المراد هنا: إن هذا الوعيد الشديد من باب أولى ينال من كان دون النبي صلى الله عليه وسلم الرتبة والمكانة والمنزلة فيما لو تقول على الله بعض القول!! وهذه الآية الكريمة نظيرها في كتاب الله تعالى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[الزمر:٦٥]، وإن كان الشرك والكفر في صلى الله عليه وسلم حقه ممتنع عقلًا وشرعًا غاية الامتناع،؟ لأن الله عصمه جل في علاه، فهذا الوعيد والتهديد الشديد في حق من دونه أحق وأولى". (٢٤)

٢٤- يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ: (٢/٤٠٥).

المطلب الرابع: لا يقدر أحدٌ تبديل القرآن لعلو جانبه، ورفعة منزلته، وعظيم مكانته

إن للقرآن الكريم مكانة مرموقة عالية، ومنزلة رفيعة سامية، وتلك الصفات لا يمكن تحققها فيه إلا بحفظه من جميع الوجوه.

عن نافع مولى ابن عمر(ت: ١١٧هـ)**– رحمه الله– قال:**

خطب الحجاج، فقال: إن ابن الزبير يبدل كلام الله تعالى.

قال: فقال ابن عمر رضي الله عنهما: كذب الحجاج؛ إن ابن الزبير لا يبدل كلام الله تعالى ولا يستطيع ذلك.(٢٥)

وقد وصف الله عز وجل هذا القرآن بعلو جانبه، ورفعة منزلته، وعظيم مكانته، وهذه الأوصاف كلها أوصاف حق وصدق، يمكن الاستدلال بها على حفظ القرآن من التغيير والتبدي، لأن تحقق هذه الأوصاف لا يكتمل إلا بحفظ القرآن وبقائه

يقول الله عز وجل: (حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الزخرف:١-٣).

يقول ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) **رحمه الله:**

" قوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: (وإنه) أي: القرآن (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد، (لدينا) أي: عندنا، قاله قتادة وغيره، (لعلي)أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة (حكيم) أي : محكم بريء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله، كما قال: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الواقعة:٧٧-٨٠). وقال: (كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (عبس:١١-١٦)". (٢٦)

وقوله عز وجل: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة:٢). ينفي عن القرآن الكريم كل ريب وشك، والتغيير والتحريف من أعظم الريب المنفي الذي يستحق النفي.

---

٢٥ – رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٦/١) بسند صحيح

٢٦– تفسير ابن كثير: (٢١٨/٧) .

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا :....إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ (٢٧)...)

يقول أبو العباس القرطبي(ت: ٦٦٥هـ) – رحمه الله –:

"فلو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود، ويشهد لذلك قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩)". (٢٨)

ويقول النووي(ت: ٦٧٦هـ) – رحمه الله –:

"قوله تعالى: (لا يغسله الماء) معناه: محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان ". (٢٩)

وإن معظم هذه الأدلة إنما تصدق في القرآن الكريم إذا استحضرنا أنه كتاب منزل إلى الناس كافة، وأنه يحوي تشريعا صالحا لكل زمان ومكان، بخلاف الكتب التي أنزلت على الأنبياء من قبل". (٣٠)

وانظر بعين البصيرة، واخترق بنورها حواجز القرون، فسترى حتمًا معجزة إلهية في هذا الكتاب المبين، وإن شئت فقل معجزة في المعجزة، تكالب الأعداء عليه منذ أول إشعاعة له، وتداعت الأمم عليه، وتآمر المتآمرون، وخطط المخططون، على وجه ما كان من الممكن أن ينجو منهم, فلا تتبدل فيه كلمة زيادة أو نقصًا، ولا يختلف فيه حرف تقديمًا أو تأخيرًا، لولا أن هناك قوة أكبر لا يستطيعها بشر، تولت حفظ هذا الكتاب.

أول ما نزل كان المشركون يلغون عند تلاوته، ويطاردون صاحبه، ويحاربون أتباعه، ويصرفون الناس عن سماعه، ما تركوا وسيلة إلا سلكوها، ولا مطية إلا ركبوها، وخابوا وخسروا.

وحين دخل الناس في الإسلام، دخل معهم أرباب نحل وملل يريدون تحطيم الحصون الإسلامية من الداخل، ونشأت فرق، وكثر النزاع، وعمت الفتن، وطمت المحن، وذهبت كل فرقة تلتمس لها سندًا

٢٧- رواه مسلم: (رقم/٢٨٦٥).

٢٨- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: (١٦٣/٧).

٢٩ – شرح مسلم: (١٩٨/١٧).

٣٠- يُنظر: الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم: (١٤٧٠٤٠) – بتاريخ:٢٠١٠/٥/١٧م.

من القرآن، ومن السنة، وما كان بعض أصحاب الفرق ليتردد أو ليحجم عن التحريف في القرآن الكريم لو استطاع ذلك، لا يمنعه عنه خوف من الله أو احترام لكتابه، فالذي يجرؤ على الافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم لن يعدم جرأة على الافتراء على الكتاب الذي جاء به. فاستطاع أولئك أن يفتروا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ما احتاج إلى جهود علماء أعلام، حتى قاموا بتنقيتها من افتراءات المفترين، ودحض شبهات الملحدين، حتى ظلت كما كانت محجة بيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك.

فحين قال الزنديق لهارون الرشيد رحمه الله تعالى: أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم، أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام، ما قال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفاً، أجابه هارون: أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري, وعبد الله بن المبارك، ينخلانها نخلاً، فيخرجانها حرفًا حرفًا ". (٣١)

هكذا تجرأوا على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما القرآن فلم يجرؤ أحد منهم على شيء من ذلك.

وحين قامت دولة الإسلام، واتسعت رقعته، حسبت طائفة أن المهمة انتهت، وأن العقيدة انتشرت، ووصلت في الأرض مداها، فركنوا إلى الدعة، وآثروا السكون، فالتمس الأعداء منهم هذه الغفلة، فتداعوا عليهم، وجيشوا الجيوش، وجمعوا الجموع، وصبوا جام غضبهم على العالم الإسلامي في أرضهم، يهدمون بيوتهم ومساكنهم.. وفي أرواحهم.. يقتلونهم رجالاً, ونساء, وأطفالاً، كبارًا وصغارًا، وفي تراثهم.. يحرقون كتبهم, ومؤلفاتهم, وعلومهم.

صليبيون.. وتتار.. ومغول.. وباطنية.. وملاحدة.. ثم استعمار بأبشع صوره، وأردأ أشكاله، يستولي على العقول، فيسلخها من الدين، ويجردها من الأخلاق، وينشر الفسق، والمجون، والبدع، والمنكرات، وصورًا من الجهل، والدجل، والشعوذة.. حتى أعجزوهم عن حماية أنفسهم، أو عقيدتهم، أو أرضهم، أو أعراضهم، أو أخلاقهم، حتى عقولهم باعوها بالرخيص لأولئك فقلدوهم في مساوئهم, ولم يدركوا الأخذ بمحاسنهم، إن كان فيهم محاسن.

بلبلوا أفكارهم، ورموهم في متاهات العقول، وراجت بينهم الشعارات البراقة: التقدم.. التطور.. لعلمانية.. الحداثة.. البنيوية.. التحرر.. الثورية.. التجديد.. القومية.. الاشتراكية.. الشيوعية.. شعارات جوفاء يرددونها لا يفقهون لها معنى, أو لا يدركون لها مرمى. مع كل هذا التفكك في العالم الإسلامي.. وكل هذا التأثير من الأعداء فإنهم لم يستطيعوا تحريف, أو تبديل, أو أدنى تغيير

٣١- تاريخ الخلفاء للسيوطي: (١٩٤)، الأسراء المرفوعة لملا على القاري: (٦٢)

في هذا الكتاب، ولم يكونوا من الزاهدين، ولا عنه من المتورعين، فهم أحرص الناس لو كانوا يستطيعون.

استطاعوا الدس في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم, وفي تاريخ المسلمين, وشوهوا قيادات إسلامية حكيمة، وزوروا أحداثًا، وحطموا دولاً ومجتمعات، واتخذوا لهم زعامات أظهروها في صور الأبطال أو المصلحين، أو أدعياء النبوة، حتى القرآن دسوا الشبهات في علومه ومعارفه، في نزوله وجمعه، في تفسيره... الخ.

لكن شيئًا واحدًا مع كل هذه الظروف, وكل هذه الأحداث, وكل هذه القدرات والمحاولات, والمكر, والكيد، لم يستطيعوه، ألا وهو زيادة حرف, أو نقص حرف، فضلاً عن الكلمة, أو تقديم جملة على جملة، أو تغيير عبارة بأخرى في هذا القرآن.

هذا لم يستطيعوه.. ولم يدركوه، ولو اجتمعوا له، كانت المطابع عندهم قبل أن يعرفها المسلمون بسنوات طوال، وكان عندهم من السلطة والقوة، ما يستطيعون به طبع مصاحف مزورة، وترويجها بين المسلمين قبل أن يعرفوا المطابع، أو في مجتمع لم يصل إليه المصحف، حاولوا ذلك لكن محاولاتهم كلها تبوء بالفشل، وتعود عليهم بالخسار المادي، والفكري، فقد كان المسلمون في هذه الناحية أقوى منهم، وإن كانوا أضعف في كل شيء، وما هذه القوة إلا من: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩).

وأنى التفتنا يمنة أو يسرة، فلن نجد كتابًا يشارك القرآن في هذه الخاصية.

دونكم التوراة والإنجيل، التحريف فيهما أشهر من أن يذكر، لم يحرفهما الخصوم، بل حرفهما أهلهما وبأيديهم.

دونكم المؤلفات الهائلة التي ألفت بعد نزول القرآن بقرون وقرون، لا تجدون أبدًا مخطوطتين لكتاب واحد يتطابقان تمامًا، فلابد من الاختلاف في كلمة أو جملة، تصحيفًا أو تحريفًا، أو تغييرًا أو تبديلاً، إن لم يكن هناك اختلاف في فصول أو أبواب، وإن لم يكن هناك نقصان من مخطوطة وزيادة في أخرى، ما الذي ميز القرآن الكريم عن هذا، والنساخ هم النساخ، لا تجد نسخة تختلف عن الأخرى، لا أقول في جملة، ولا في كلمة، ولا في حرف، ولكن في شكل لكلمة، إلا اختلاف في القراءات المشروعة، وليس هذا باختلاف، بل هو زيادة في الحفظ، فالحفظ للقراءات المتواترة، من حَفِظَ القرآن؟:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(2) . (٣٢)

٣٢- خصائص القرآن، فهد الرومي: (ص: ١٥٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: الخاصّيّة الثانية: القرآن خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن عليها

وفيه ستة مطالب:

ويتفرع عن هذا المبحث مسائل هامة من أبينها ما ورد في المطالب التالية:

المطلب الأول: الإيمان بجميع الكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان

يجب الإيمان إجمالاً بكل الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى، فلا يكون العبد مؤمنًا أبدًا حتى يؤمن بأركان الإيمان الستة والتي منها الركن الثالث الذي هو الإيمان بجميع الكتب المنزلة التي أنزلها الله على رسله الكرام عليهم السلام كما

قال الله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (البقرة : ٢٨٥).

وكما قال سبحانه: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه...) (البقرة: ٢١٣).

ثبت في الصحيحين منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ". (٣٣)

والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور كلها من كتب الله المنزلة على رسله صلوات الله وسلامه عليهم، يجب الإيمان بها جميعًا، ولا يصح إيمان عبد إلا بالإيمان بها ومن كفر بأي منها فهو كافر بالله بإجماع المسلمين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء: ١٣٦)

٣٣- رواه البخاري (٥٠)، مسلم (٩)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (النساء: ١٥٠-١٥١)

ويفهم من هذه الآيات وأمثالها... أن الإيمان جميع المنزلة من عند الله ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به.

وأما الكتب والصحف التي سماها الله تعالى وسماها رسوله صلى الله عليه وسلم والتي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وورد ذكرها في السنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم فإنه يجب الإيمان بها تفصيلاً وهي على النحو التالي:

أولًا: صحف إبراهيم وموسى

وهى الصحف التي أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)) (الأعلى: ١٨-١٩)، وقوله سبحانه: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)) (النجم: ٣٦-٣٧).

ثانيًا: التوراة

والتوراة هي الكتاب السماوي الذي أنزله الله تعالى على رسوله موسى بن عمران نبي إسرائيل عليه السلام، والتي كتب الله تعالى بيده الكريمة وتلقاها موسى عليه السلام منه سبحانه.

قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (الأعراف: ١٤٥)، أي: " وكتبنا لموسى في ألواحه ". (٣٤)

"والألواح: جمع لوح، وسمي لوحًا لكونه تلوح فيه المعاني، وأسند الله سبحانه الكتابة إلى نفسه تشريفًا للمكتوب في الألواح". (٣٥) وقد كتبها الله بيده حقيقة على وجه يليق بذاته العلية.

ثالثًا: الزبور

والزبور هو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه داود عليه السلام وقد قال الله تعالى في) (الإسراء: ٥٥) وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (في ذلك:

---

٣٤ - تفسير الطبري: (١٠٦/١٣).

٣٥- فتح القدير للشوكاني: (٤٩٩/١). تفسير الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٥هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا: الإنجيل

والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على عبده ونبيه عيسى بن مريم عليه السلام وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (المائدة: ٤٦)

وقال تعالى: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ) (آل عمران:٣-٤)

خامسًا: القرآن الكريم

و القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، نزولًا أنزله الله تعالى على خاتم النبين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وتعهد الله تعالى بحفظه بذاته العلية كما قال سبحانه:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)

الكتب المنزلة كلها من كلام الله حقيقة المطلب الثاني:

فليس شيء من كلام الله تعالى مخلوقًا البتة، وهو سبحانه تكلم بالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن على الحقيقة، وكما أننا نعتقد أنه ليس أي حرف من القرآن مخلوقًا، وأنه كله من فاتحته إلى خاتمته كلام الله على الحقيقة، فكذلك نعتقد في كل الكتب المنزلة من عند الله تعالى التوراة والزبور والإنجيل، فكما أننا لا نفرق في الإيمان بين رسل الله، فكذلك لا نفرق في الإيمان بين كتبه المنزلة، فالكل كلام الله.

كما قال تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ٧٥).

ومع أنهم يحرفون التوراة، فقد سماها الله تعالى (كلام الله)

ومما يدلل على ذلك من السنة المطهرة ما ثبت عند مسلم من حديث أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ – وفي رواية: كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ – أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى). (٣٦)

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) – رحمه الله –:

"مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ الَّذِي يُوَافِقُ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الصَّرِيحَةَ: أَنَّ الْقُرْآنَ

---

٣٦ – رواه مسلم (٢٦٥٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ؛ فَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِ، لَيْسَ ذَلِكَ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا عَنْهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَكَلَامُهُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ لَيْسَ مَخْلُوقًا بَائِنًا عَنْهُ... وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَا نِهَايَةَ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف: ١٠٩)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ وَبِالتَّوْرَاةِ الْعِبْرِيَّةِ....

ثم يتابع ويقول – رحمه الله –:

وَمَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ مَخْلُوقًا لَزِمَهُ أَنْ يَقُولَ: الْمَخْلُوقُ هُوَ الْقَائِلُ لِمُوسَى: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه:١٤)، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَلَامًا إِلَّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْكُتُبِ، بِمَعَانِيهَا وَأَلْفَاظِهَا الْمُنْتَظِمَةِ مِنْ حُرُوفِهَا: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَخْلُوقًا؛ بَلْ كَانَ ذَلِكَ كَلَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...". (٣٧)

المطلب الثالث: أدلة إثبات تحريف الكتب السابقة

لابد من بيان أدلة إثبات تحريف الكتب السابقة بجلاء ووضوح

فلا شك ابدًا لدى أهل الإسلام أن الكتب السابقة منزلة من عند الله تعالى، وقد وكل الله تعالى حفظها لأهلها فتناولتها أيدي أهل الكتاب الآثمة بالتغير والتبديل والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان، والتبس بذلك الحق الذي نزلت به من عند الله بأباطيل وترهات وخرفات وتحريف وتزيف وتبديل أهل الكتاب، فانقطعت بذلك صلتها بالوحي المنزل من عند الله، وزالت بذلك قدسيتها وربانيتها، وفقدت الثقة بها، والتبس الحق النازل من عند الله بباطل أهل الكتاب وزيفهم وباطلهم وظلمهم وتعديهم في حدود الله فيما أنزل عليهم من كتاب وذلك مصداق قول ربنا:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (آل عمران: ٧١)

قال البغوي(ت: ٥١٠هـ) **– رحمه الله –:**

" تَخْلِطُونَ الْإِسْلَامَ بِالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَقِيلَ: لِمَ تَخْلِطُونَ الْإِيمَانَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْحَقُّ، بِالْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الباطل. وقيل: لم تخلطون التَّوْرَاةُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى

٣٧- مجموع الفتاوى: (١٢/ ٣٧-٤١) ويُنظر أيضًا: "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٥٥-٣٦٥).

بِالْبَاطِلِ الَّذِي حَرَّفْتُمُوهُ وَكَتَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه حق".(٣٨)

ومن تأمل ما ذكره البغوي في معنى الآية آنفًا يجده كله يندرج تحت تحريف الكتب المنزلة بلا أدنى شك.

ولقد ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم الحديث عن التوراة والإنجيل، فهما من وحي الله عز وجل لاثنين من أولي العزم من الرسل، وكانا كتاب نور وهداية للبشرية في زمانهما، وقد وردت آيات القرآن تبين التصديق لهما والإيمان بهما، وأن القرآن مهيمنًا عليهما، كما قال سبحانه: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) (آل عمران:٣-٤). وقال عز وجل: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة: ٤٨).

ويبقى التساؤل عن النسخ التي بين يدي اليهود والنصارى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، إن كانت هي النسخ الحقيقية المشتملة على كلام الله عز وجل، أم إنها تغيرت وتبدلت، وما هو البيان الوارد في القرآن في هذا الشأن.

وللجواب على هذا التساؤل يمكننا تقسيم الحديث في القرآن الكريم عن هذين الكتابين المقدسين – من حيث مصداقية ما فيهما – إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول:

آيات تثبت وقوع التحريف مطلقًا لهذه الكتب، ولا تقيد التحريف بشيء من أنواعه وصوره، كما لا تذكر مقداره ونسبته، وإنما تثبت الوقوع في هذا العمل المذموم.

ومن ذلك: قول الله سبحانه وتعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ٧٥). وقول الله عز وجل: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) (المائدة: ١٣).

النوع الثاني:

آيات صريحة في وقوع أحبار اليهود بكتمان بعض ما عندهم من الكتب المنزلة، وإخفائها، ومحاولة دفنها وطمس حقائقها.

٣٨- يُنظر: مختصر تفسير البغوي معالم التنزيل: (١/١٣٢)، لعبد الله الزيد.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك: قوله عز وجل: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) (الأنعام:٩١). وقول الله تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٤٦).

قال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) **– رحمه الله–:**

" كيف يستحل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل وهو يسمع كلام الله عز وجل (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) (الفتح: ١٩). وليس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى، مما يدعون أنه التوراة والإنجيل". (٣٩)

النوع الثالث:

آيات صريحة في الإخبار عن دخول قدر من الزيادة في كل هذه الكتب، وأنه اختلط بها بعض ما ليس منها.

ومن ذلك: قول الله عز وجل: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران:٧٨). وقوله سبحانه: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: ٧٩).

قال ابن عباس(ت: ٦٨هـ)**– رضي الله عنهما –:**

" وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ، وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ". (٤٠)

النوع الرابع:

آيات تقرر بقاء بعض الحق في هذه الكتب التي بأيديهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل مثل هذا القدر من الحق الباقي في أيديهم، حجة عليهم، ودليلًا على بطلان ما هم عليه.

---

٣٩ – الفصل في الملل: (١/١٦٠). الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة عدد الأجزاء: ٥.

٤٠ – رواه البخاري: (٢٦٨٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومثل هذه الآيات هي المقصودة من التساؤل المذكور في صدد هذا المبحث، وهي التي قد يشتبه أمرها على من يظن أنها حجة على صحة كتبهم، حتى في زماننا، وهذا كله لا دلالة عليه في هذه الآيات وأمثالها.

ومن ذلك قول الله عز وجل: (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (المائدة: ٤٣)، فأخبر عنها بأن فيها حكم الله. وفي قوله سبحانه: (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) (المائدة: ٤٧): أمر لأهل الإنجيل بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل الله فيه.

ومثله أيضًا قول الله جل وعلا: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (المائدة: ٦٨).

وورد في القرآن أن نسخ الكتب التي كانت في أيدي أحبار اليهود والنصارى اشتملت على ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في قول الله جل وعلا: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الأعراف: ١٥٧).

وهكذا أيضًا ورد في القرآن وفي السنة الصحيحة تصديق بعض ما ورد في تلك الكتب، قال سبحانه: (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (آل عمران: ٩٣).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ، أَنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ. فَقَالُوا : نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ. فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الحِجَارَةَ. (٤١)

وقد وكل الله تعالى حفظ التوراة والإنجيل إلى علمائهم ورهبانهم، بدليل قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء) (المائدة:٤٤)

٤١- رواه البخاري (٣٦٣٥) ومسلم (١٦٩٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يتكفل سبحانه وتعالى بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن، وفي بعض الحكم نجملها فيما يلي:

أولًا:

قد وكَّل الله تعالى حفظ التوراة والإنجيل إلى علمائهم ورهبانهم، بدليل قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء) (المائدة:٤٤).

ولم يتكفل سبحانه وتعالى بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن، وفي ذلك بعض الحِكَم والتي من أبرزها:

١-أراد سبحانه وتعالى أن يبقى القرآن الكريم هو الكتاب الخالد، والشريعة الباقية إلى يوم القيامة، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة:٤٨)، فلم تكن ثمة حاجة لحفظ الكتب السابقة وتخليدها، وخاصة أن عهد القرآن قريب من عهد الإنجيل، فليس بينهما سوى ستمائة عام.

٢-وليكون ذلك فتنة واختبارًا للذين أوتوا الكتاب هل يقومون بدورهم في حفظ الكتاب؟ وهل يؤمنون بما جاء فيه؟ وهل يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، أم يصروا على عناده، فيقوموا بالتحريف والكتمان والتزوير؟.

٣- وفي ذلك بلاء أيضًا لكل أتباع الديانة النصرانية إلى يوم القيامة، وهم يرون كتابهم الذي يؤمنون به لم يسلم من يد التحريف أو التشكيك أو الضياع، ويرون كتاب خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم محفوظًا متواترًا لا يشك أحد في صحته، فيكون ذلك داعيًا لهم إلى الإيمان بالكتاب المبين – القرآن الكريم-.

ثانيًا:

كان الناس في الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم على الشرك والوثنية، ولم يكن لأغلبهم دين متبع، ولا شريعة محترمة، اللهم إلا بعض من اتبعوا شريعة المسيح عليه السلام، مثل ورقة بن نوفل، وبعض من كان حنيفا على دين إبراهيم عليه السلام، يجتنب الشرك والأوثان والخمر والفواحش ويسجد لله الواحد رب العالمين، مثل زيد بن عمرو بن نفيل الذي قال: (إِنِّي لَا آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلَا آكُلُ إِلَّا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) (٤٢) وكان يقول أيضًا: (يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي. وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ

٤٢ – البخاري (٣٦١٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا) (٤٣)

ومن مجموع ما سبق: نخلص بالآتي:

١- تشتمل نسخ التوراة والإنجيل على شيء من الحق، الذي ورد وصفه في الآيات الكريمة بأنه (حكم الله)، ودعا الله في كتابه اليهود والنصارى إلى إقامة هذا الحق واتباعه، وجعله حجة عليهم في باطلهم.

٢- في هذين الكتابين كلام من كلام البشر، نُسب إلى الله كذبًا.

٣- في هذين الكتابين نقص ظاهر عن الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام،

وذلك بسبب كتمان بعض الأحبار والرهبان شيئًا مما استحفظهم الله عليه.

٤- تضمن تحريف الكتب السابقة أمرين: التحريف اللفظي، بزيادة أو نقصان عما كان فيه، التحريف المعنوي، بصرف الحق الباقي في هذه الكتب بلفظه، إلى معاني باطلة، تناقض ما أراده الله لعباده، ومنهم.

وبناء على ذلك:

فإذا احتج محتج بأن في القرآن آيات تدل على صحة ما في التوراة والإنجيل، فإننا لا نحتاج إلى الرد على كذبه وزعمه إلى أن نقول: إن كل كلمة في هذين الكتابين: هي باطلة في نفسها، لم ينزل الله بها سلطانًا؛ بل كل ما نحتاج إليه أن ندله على باقي الآيات التي تكتمل بها الصورة؛ فمتى تمسكت وصدقت بالآيات التي تقرر وجود الحق فيها، فاضمم إليها الآيات الأخرى التي تذكر تحريفهم لكتبهم، وكتمانهم لما فيها من الحق، وزيادتهم أشياء فيها، كتبوها بأيديهم، ثم نسبوها إلى الله كذبًا، وزورًا.

فأما المؤمن: فهو مؤمن بكل ما قال الله في كتابه.

وأما المبطل: فمتى كذب بشيء منه، لم يحق له أن يحتج بغيره، ولهذا أنبهم الله على مثل ذلك، فقال: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: ٨٥) وإلا فليأتونا بآية واحدة: تمدح وتزكي (كل) ما بقي في أيدي الناس من هذه الكتب، وتنفي عنه التحريف والكتمان.

٤٣- رواه البخاري (٣٦١٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولن نطالبهم بعد ذلك بدليل على أن هذه الكتب لم يدخل فيها تغيير عما كان عليه الحال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن من ادعى أن القرآن زكاها، قد يقول له قائل: إنما زكى ما كان منها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأين الدليل على أنها باقية على ما كان عليه الحال في ذلك العهد، وهذا ما لا يمكنهم أن يقيموا دليلًا عليه، بل كثير من الدارسات النقدية للكتاب المقدس عندهم في الغرب، تثبت عكس ذلك تمامًا.

يقول ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) **– رحمه الله–:**

"إن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء: ٢٣)

(لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) (الرعد: ٤١)، وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء: ٢٣)... وقد قلنا آنفا إن الله تعالى أطلعهم على تبديل ما شاء رفعه من ذينك الكتابين، كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الأنبياء الذين قتلوهم بأنواع المثل، وكف أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم، كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضًا كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم ". (٤٤)

ويقول – رحمه الله – أيضًا:

"وأما قوله تعالى (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) (المائدة:٤٧) فحق على ظاهره؛ لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، واتباع دينه، ولا يكونون أبدًا حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه، فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلًا وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط، والآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل، لا بنص ولا بدليل، إنما فيه إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك ". (٤٥)

٤٤-انتهى باختصار من " الفصل في الملل والأهواء والنحل " (١/ ١٥٧).

٤٥-المرجع السابق: (١/ ١٥٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية فصلًا كاملًا مطولًا، جعله المحققون بعنوان:

" الرد عليهم في زعمهم أن الإسلام عظم إنجيلهم الذي بين أيديهم"، وقد أطال فيه النفس جدًا بالجواب عن هذه الشبهة، وبيان تواتر ما في القرآن والسنة من إثبات كفر اليهود والنصارى ومناقضتهم دين الأنبياء، واشتمال كتبهم على كثير من الكفر والباطل.

فكان مما قاله – رحمه الله –:

" تصديق القرآن للتوراة والإنجيل مذكور في مواضع من القرآن، وقد قال تعالى:

) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ([المائدة: ٤٨].

فبين أنه أنزل هذا القرآن مهيمنًا على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم، يشهد بما فيها من الحق، وينفي ما حرف فيها، ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منها، وهو مؤتمن في ذلك عليها.

وأما قوله في سورة المائدة: (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) [المائدة: ٤٦ – ٤٧] فهذا ثناء منه على المسيح والإنجيل، وأمر للنصارى بالحكم بما أنزل فيه; كما أثنى على موسى والتوراة بأعظم مما عظم به المسيح والإنجيل...فإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة، لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمدًا

صلى الله عليه وسلم، وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك أيضًا ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل: ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ.

ويقال: إن قولكم بتصديق (القرآن للإنجيل):

إن أردتم أنه صدق التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على أنبيائه، فهذا لا ريب فيه.

وإن أرادوا بتصديقه كتبهم: أنه صدق ما هم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله، وخالفوا بها ما تقدمه من شرائع المسلمين، أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به، مثل القول بالتثليث والأقانيم، والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وقولهم: إن المسيح هو الله، وابن الله، وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تحليل ما حرمه الله ورسله كالخنزير وغيره: فقد كذبوا على محمد –صلى الله عليه وسلم – كذبًا ظاهرًا معلومًا بالاضطرار من دينه. وإنما صدق ما جاءت به الأنبياء قبله، وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقه; كما أنه لم يشرع لهم أن يستمروا على ما هم عليه من الشرع الأول، بل دعاهم وجميع الإنس والجن

إلى الإيمان به، وبما جاء به، واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم في الدنيا، حتى يكون الدين كله لله، وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

وقد دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى عمومًا، ثم كلا من الطائفتين خصوصًا في غير موضع، مع دعائه الناس كلهم أهل الكتاب وغيرهم، كقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف١٥٧-١٥٨).

وقال تعالى يخاطب النصارى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) [النساء: ١٧١ - ١٧٣] وقال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) [المائدة: ١٧]. وقال تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [المائدة: ١٤] وقال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧] وقال تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: ٢٩] وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم بنفسه عام تبوك، واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين، ولم يأذن لأحد من القادرين على الغزو في التخلف.

وإن أرادوا بذلك أنه صدق ألفاظ الكتب التي بأيدينا أي التوراة والإنجيل، فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين، وينازعهم فيه أكثر المسلمين، وإن كان أكثر ذلك مما يسلمه أكثر المسلمين.

فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل وتبديل أحكامها: فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها; كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون إن التوراة لم تحرف ألفاظها.

وحينئذ فليس شهادة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته للمسيح عليه السلام ولما أنزل عليه من الإنجيل في تثبيت ما عند النصارى، بأعظم من شهادة المسيح عليه السلام والحواريين وسائر من اتبعه لموسى ولما أنزل عليه من التوراة، في تثبيت ما عند اليهود...

فكيف تكون شهادة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته للإنجيل بأنه منزل من عند الله، وللمسيح بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: مانعة من كفر النصارى، مع تبديلهم شرع الإنجيل، وتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وشرع القرآن ". (٤٦)

المطلب الرابع: أدلة إثبات أن القرآن خاتم الكتب المنزلة

ومما يدلل على أن القرآن خاتم الكتب المنزلة قوله تعالى:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) المائدة: ٤٨

ومن يتأمل آية المائدة هذه، يتبين له بجلاء ووضوح أن القرآن الكريم خاتم الكتب المنزلة وأنه المصدق لجميع الكتب السابقة على الإسلام، والمنزلة من السماء على رسل الله الكرام، وأنه المهيمن عليها والشاهد والمبين لما فيها من حق وصواب، ولذا فقد جعله الله تعالى تبيانًا لكل شيء، ومما يشمله هذا التبيان العام، التبيان لما في الكتب السابقة من تحريف وتزيف وتغير وتبديل وتصحيف نالته أيادي من استحفظوا واستؤمنوا عليها من علمائهم وأحبارهم ورهبانهم ففقد قدسيتها وصلتها بالوحي المنزل من عند الله تعالى.

وفي نحو ذلك يقول الحق جل في علاه: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(يونس: ٣٧). " قَوْلُهُ: (وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)،أَيْ: بَيْنَ يَدَيِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ " .(٤٧)

٤٦- انتهى باختصار من " الجواب الصحيح " (٢/٢٦٨-٣٨٦)،الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٦. ويُنظر: الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم: (٩٨٢٨٠)، بتاريخ:٤/٢٦/ ٢٠٠٧م، ورقم: (١٨٦١٩٦).بتاريخ:٢٠١٣/٦/٢٣م، بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول سبحانه: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ)[النحل: ٦٤] .

يقول الشوكاني(ت: ١٢٥٥هـ) – رحمه الله –:

"إن القرآن صار شاهدًا بصحة الكتب المنزلة، ومقررًا لما فيها مما لم ينسخ، ناسخًا لما خالفه منها، ورقيبًا عليها، وحافظًا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبًا لها كونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ". (٤٨)

ومما يدلل على ذلك أيضًا قوله تعالى في وصف القرآن:

(قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٩٧) والضمير في قوله (نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ) يعود على القرآن.

و" معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه ". (٤٩)

ولقد أنزله الله تعالى على رسوله لينذر به خلقه أجمعين كما قال ربنا سبحانه:

(وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (القلم: ٥٢)، وكما قال سبحانه: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (ص: ٨٧).

ومما يدلل على ذلك أيضًا قوله سبحانه: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: ٤٠)، فإذا كان آخر النبين هم محمد صلى الله عليه وسلم، فالكتاب المنزل عليه آخر الكتب كذلك.

وقد" تواترت الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم بأنه لا نبي بعده". (٥٠)

ومما يدلل على ذلك أيضًا قوله تعالى:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} .]المائدة: ٣

٤٧-تفسير القرطبي: (٨/٢٥٥). تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٤٨-فتح القدير: (٢/٤٨).

٤٩-أضواء البيان: (١/٦٦). تفسير الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٥٠- يُنظر: أصول الدين، عبد القاهر البغدادي: (ص: ١٦٣)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: (١/٧٧)، تفسير ابن كثير: (٣/٥١٣-٥١٤)، الزهار المتناثرة: (ص: ٣٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكمال هذا الدين الخاتم لا يتم إلا بكتاب خاتم، فهل يُعقل أن تختم الشرائع السماوية بشريعة خداج ناقصة؟؟.

وكذلك قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) (سبأ : ٢٨).

فهي: "رسالة عامة لهم، محيطة بهم، لأنهم إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم". (٥١)

فالرسالة الخاتمة والرسول الخاتم والكتاب الخاتم والشريعة الخاتمة والأمة الخاتمة للأمم، كل ذلك أمر شأنه عظيم وجليل جدًا، فما اختار ذلك كله إلا أحكم الحاكمين العليم بصلاح شأن عباده.

فكون الكتاب الخاتم هو القرآن الكريم، فإن ذلك يعني أنه حجة قائمة إلى قيام الساعة على كل من بلغه من المكلفين، وقد أمر الله خاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم ببيان ذلك الأمر العظيم الجلل فقال سبحانه: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) (الأنعام: ١٩)

والمعنى: "أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود, والأحمر, ومن الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله، ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة".(٥٢)

ومن تأمل كتاب الله وجد أن الله تعالى أرسل الرسل تَتْرَىٰ متتابعين يتبع بعضهم بعضًا كما قال سبحانه: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) (المؤمنون: ٤٤)(

ومعنى تَتْرَىٰ أي: " مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زمانا طويلًا وهي فعلى من المواترة". (٥٣)

يعني : يتبع بعضها بعضًا، وبعضها في أثر بعض". (٥٤)"

٥١-الكشاف للزمخشري المعتزلي: (٢/٧). تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٥٢- تفسير أبي السعود: (٢/٨٧). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٣- تفسير البغوي: (٤١٩/٥). تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء:٥.

٥٤- تفسير الطبري: ٣٤/١٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد كان كل نبي يرسل لقومه خاصة، وأن كل رسالة أرسل بها رسول إنما هي محدودة بزمان ومكان وطائفة وبيئة، فأتت كل رسالة مناسبة لبيئة وظروف وحال من أرسلت إليهم الرسالة، فهى رسالة خاصة مناسبة لمن أرسلت إليهم فحسب.

ولما أراد الله تعالى ختم الرسل والرسالات والشرائع والكتب، ختم ذلك كله بما لا يرتبط ببيئة ولا طائفة ولا زمان ولا مكان، بل ختم بما يصلح لكل طائفة وكل زمان وكل مكان.

المطلب الخامس: بعض التفصيلات التي وردت في القرآن الكريم عن بعض الكتب السماوية المنزلة

لقد أرسل الله رسلًا وأنزل عليهم كتبًا، علمنا منها ما أعلَمَنا سبحانه، وجهلنا منها مالم يطلعنا ربنا سبحانه عليه، لذا وجب الإيمان به جملة وتفصيلًا، ويتحقق الإيمان بها جملة بأن نؤمن بكل كتاب أنزله الله كما قال سبحانه: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥)، وقال سبحانه:

(وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (الشورى: ١٥)

"أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم". أي : لكي أعدل. قال ابن عباس وأبو العالية: (لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ). (٥٥)

"لأسوي بينكم في الدين فأؤمن بكل كتاب وبكل رسول".(٥٦)

ولقد أخبر الله تعالى في كتابه الخاتم تفصيلاً لبعض الكتب السماوية السابقة وبعض ما ذُكِرَ فيها، وهذه يجب الإيمان بها جملة كما تبين معنا ذلك لنا آنفًا..

قال تعالى: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٨٤)

قال ابن كثير – رحمه الله–:

"أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلًا، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم ". (٥٧)

٥٥- تفسير ابن كثير: (١٩٦/٧).

٥٦- تفسير الطبري: (١٤/١٦):.

لذا فإنه يجب علينا الإيمان بالكتب التي لا نعلم تفاصيلها إجمالًا من غير ان نقطع بعددها ولا أسمائها ولا على من نزلت، إذ لا يعلمها ولا يحصيها عددًا ولا اسمًا ولا وصفًا إلا من أنزلها سبحانه، ونؤمن بالكتب التي أخبر الله بها بحسب ما بينه عنها من تفاصيل في كتابه الخاتم.

قال محمد بن نصر المروزي(ت: ٢٩٤هـ) **– رحمه الله–:**

"وأما قوله: (وكتبه) فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبًا، أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب.

إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك بما فيه". (٥٨).

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أربعة أمور:

الأول: التصديق الجازم بأن جميعها منزَّل من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) (الشورى:٥١) وقال تعالى: (وكلم الله موسى تكليمًا) (النساء/١٦٤)

وقال تعالى في شأن التوراة : (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) (الأعراف/١٤٥).

الثاني: ما ذكره الله من هذه الكتب تفصيلًا وجب الإيمان به تفصيلًا وهي الكتب التي سماها الله في القرآن وهي (القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى).

وما ذكر منها إجمالًا وجب علينا الإيمان به إجمالًا فنقول فيه ما أمر الله به رسوله: (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) (الشورى:١٥)، وقد مر معنا أنفًا بيان معنى ذلك.

٥٧- تفسير ابن كثير: (١ /٤٨٨).

٥٨ – تعظيم قدر الصلاة: (١ / ٣٩٣). تعظيم قدر الصلاة المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ عدد الأجزاء: ٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يُبَدل أو يُحَرف من الكتب السابقة.

الرابع: الإيمان بأن الله أنزل القرآن حاكمًا على هذه الكتب ومصدقًا لها كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة:٤٨)، قال أهل التفسير: مهيمنًا: مؤتمنًا وشاهدًا على ما قبله من الكتب، ومصدقًا لها يعني: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بنسخ ـ أي رفع وإزالة ـ أحكام سابقة، أو تقرير وتشريع أحكام جديدة ؛ ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال تبارك وتعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُون. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) (القصص:٥٢ :٥٣).

وأن الواجب على جميع الأمة اتباع القرآن ظاهرًا وباطنًا والتمسك به، والقيام بحقه كما قال تعالى: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا) (الأنعام: ١٥٥)

ومعنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه: إحلال حلاله، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعلم بمحكمه، والتسليم بمتشابهه والوقوف عند حدوده والذب عنه مع حفظه وتلاوته وتدبر آياته والقيام به آناء الليل والنهار، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إلى ذلك على بصيرة.

وهذا الإيمان يثمر للعبد ثمرات جليلة أهمها:

العلم بعناية الله بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به. ١-

٢-العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: ٤٨).

٣- القيام بواجب شكر الله على هذه النعمة العظيمة

٤-أهمية العناية بالقرآن العظيم، بقراءته وتدبره وتفهم معانيه والعمل به. ([٥٩])

٥٩- يُنظر: أعلام السنة المنشورة: (٩٠ – ٩٣)، شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين (٩١ – ٩٢)، الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم: (٩٥١٩)، بتاريخ: (١٨/١/٢٠٠٢م).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد مر معنا بيان الكلام عن الكتب المنزلة بإيجاز وإلماح، وهنا يأتي البيان ببعض التفصيل والإيضاح على النحو التالي:

أولًا: صُحُفِ إبراهيم وموسى عليهما السلام

فقد ذكر الله في القرآن عن أول ما أنزل من كتاب مما أعلم به في كتابه الكريم –صُحُفِ إبراهيم **وموسى** عليهما السلام.

أما صُحُفِ إبراهيم عليه السلام فإن أغلب ما جاء فيها ـ كما قال بعض أهل العلم ـ مواعظ وحكم وعبر.

وقد ذكرها الله تعالى في مواضع عدة من كتابه، منها المجمل، ومنها المبيَّن:

أما المواضع التي ذَكِرَت فيها مجملة ففي قوله تعالى:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوب وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦).

وفي قوله سبحانه:

(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) آل عمران: ٨٤).

فقوله سبحانه: (وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ) يشمل كل نبي أتاه الله كتابًا، ولا شك أن إبراهيم عليه السلام منهم.

وأما المواضع التي ذَكِرَت فيها صريحة مبينة ففي سورة النجم، حيث يقول الله تعالى:

(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)) (النجم:٣٣-٤١) إلى آخر السورة

وكذلك في سورة الأعلى:

في قوله سبحانه: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)) (الأعلى:١٤-١٩).

يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله–:**

"وأما الصحف: فإنها جمع صحيفة، وإنما عُنِي بها: كتب إبراهيم وموسى". (٦٠)

يقول العلامة الفقيه محمد الأمين الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ) **– رحمه الله–:**

"....وما أنزل إلى إبراهيم لم يبين هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم، ولكنه بيَّن في سورة الأعلى أنه صحف، وأن من جملة ما في تلك الصحف: (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) (الأعلى:١٦-١٧).

وذلك في قوله: (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) (الأعلى:١٨-١)." (٦١)

ويقول شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) **– رحمه الله –:**

"صحف إبراهيم صحف أنزلها الله تعالى على إبراهيم فيها المواعظ والأحكام". (٦٢).

والحقيقة أن أقوال العلماء مستوحاه من كلام أئمة التفسير، وما أجلها من أقوال لو دعمت بالدليل، لأن أمر مثل هذا أمر غيبي محض يفتقر إلى دليل صحيح صريح.

وفي نحو ذلك يقول سماحة شيخنا الإمام ابن باز (ت: ١٤٢٠هـ)**– رحمه الله–:**

"قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال عز وجل:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) (النحل: ٤٣-٤٤)، وقال سبحانه: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥).

ونص سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة (سبح اسم ربك الأعلى)، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ ". (٦٣).

٦٠- تفسير الطبري: (٣٧٧/٢٤).

٦١- أضواء البيان: (٤٥/١).

٦٢- لقاءات الباب المفتوح: (لقاء رقم:١٧٦)

٦٣- مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ ابن باز: (٣٠٥/٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الواجب تجاه صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام:

"والواجب علينا إنما هو الإيمان المجمل بهذه الصحف التي أنزلها الله تعالى على عبديه ورسوليه إبراهيم وموسى عليهما السلام، والإيمان بما صح عندنا، من طريق الوحي الصادق، وما سوى ذلك من تفاصيل ما كان فيها، فلم نكلف بمعرفته، ولا طريق لنا إلى العلم بخبره، والوقوف على تفصيله؛ فتطلب ذلك: هو من التكلف لأمر لا نتثبته، ولا حاجة بنا إليه في شريعتنا؛ وقد أكمل الله لنا الدين، ورضي لنا الإسلام دينًا.

ولا خبر عندنا من وحي ببقاء تلك الصحف، ولا أن علمها بلغ أحدًا من أهل الإسلام،على وجه تثبته به النسبة، وتنقل به الأخبار.

والظاهر أن علمها قد تناسخ من قديم، وفقدت من أيدي الناس.

بل هذا شأن كتب بني إسرائيل: التوراة والإنجيل، لم يبق شيء يوثق به، مما في أيديهم، إلا ما صدقه الشرع المطهر، وما سوى ذلك؛ فغايته: ألا نصدقه، ولا نكذبه.

وإذا كان هذا شأن كتب بني إسرائيل، مع عظم الأمم التي تعظمه، وتعنى بشأنه، وتحتاج إليه؛ فأولى أن يكون ذلك شأن تلك الصحف ". (٦٤)

يقول الباحث:

ولا أعلم شيئًا ثابتًا صحيحًا تقوم به حجة فيما حوته تلك الصحف المباركة إلا ما كان من كلام أئمة التفسير، وهو إما منقولًا عن أهل الكتاب، أو عن أحاديث وآثار ضعيفة جدًا وواهية لا تقوم بها حجة. (٦٥)

٦٤- يُنظر: الإسلام سؤال وجواب:، سؤال رقم: (٢٥٩٩٣٥)، بتاريخ: (٢٠١٨/٧/١م). بتصرف.

٦٥- منها على سبيل المثال لا الحصر- حديث أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ صَحِيفَةُ إِبْرَاهِيمَ ؟

قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالًا كُلُّهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلَّطُ الْمُبْتَلَى الْمَغْرُورُ؛ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ، مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ: أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ؛ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ، مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا لِثَلَاثٍ؛ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ.

وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى ؟

قَالَ: كَانَتْ عِبَرًا كُلُّهَا

ثانيًا: التوراة،

التوراة: وهو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله موسى بن عمران نبي إسرائيل وكليم رب العالمين عليه السلام، وقيل أنه يشمل الصحف التي ألقيت إليه في المناجاة، وقيل الصحف غير التوراة، وسيأتي التفصيل في ذلك، والتوراة هو ثاني ما أنزل الله من كتاب مما لدينا به علم يقيني.

قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) (المائدة: ٤٤)

يقول رشيد رضا في المنار(ت: ١٣٥٤هـ)– رحمه الله–:

"هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ سِيَاقِ الَّتِي قَبْلَهَا وَالَّتِي بَعْدَهَا، وَالْغَرَضُ مِنْهَا بَيَانُ كَوْنِ التَّوْرَاةِ كَانَتْ هِدَايَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْرَضُوا عَنِ الْعَمَلِ بِهَا ; لِمَا عَرَضَ لَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ، وَبَيَانُ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْإِنْجِيلِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ الِانْتِقَالُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا سَيَأْتِي مِنْ ذِكْرِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ وَمَزِيَّتِهِ وَحِكْمَةِ ذَلِكَ، وَمِنْهُ يُعْلَمُ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالِاهْتِدَاءِ بِالدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ أَهْلَ الِانْتِمَاءِ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يُقِيمُوهُ; إِذْ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ هِدَايَتِهِ وَنُورِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَأَنَّ إِيثَارَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَهْوَاءَهُمْ عَلَى هِدَايَةِ دِينِهِمْ هُوَ الَّذِي أَعْمَاهُمْ عَنْ نُورِ الْقُرْآنِ، وَالِاهْتِدَاءِ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ) أَيْ إِنَّا نَحْنُ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى مُشْتَمِلَةً عَلَى هُدًى فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ، خَرَجَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ وَثَنِيَّةِ الْمِصْرِيِّينَ وَضَلَالِهِمْ، وَعَلَى نُورٍ أَبْصَرُوا بِهِ طَرِيقَ الِاسْتِقْلَالِ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينِ هَادُوا) أَنْزَلْنَاهَا قَانُونًا لِلْأَحْكَامِ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ – مُوسَى وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ – طَائِفَةً مِنَ الزَّمَانِ، انْتَهَتْ بِبَعْثَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ; فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْجَمِيعِ،

عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ

وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ، ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ

وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ

عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا، ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا

وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا، ثُمَّ لَا يَعْمَلُ.

والحديث: رواه ابن حبان (٣٦١) وغيره، وقال الأرناؤوط في تحقيق ابن حبان: " إسناده ضعيف جدا ". وكذا قال الألباني في "الضعيفة"،: وقال في ضعيف الترغيب: (١٩٤٣) ضعيف جدًا. وينظر: "تفسير ابن كثير"(٢/ ٤٧٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَكُلُّ مَا اسْتَحْدَثَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ أَسْبَابِ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ مُبِينٌ؛ وَإِنَّمَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينِ هَادُوا – أَيِ الْيَهُودِ خَاصَّةً – لِأَنَّهَا شَرِيعَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ لَا عَامَّةٌ". (٦٦)

وقال سبحانه: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) (المائدة: ١٥٤)

كتب الله تعالى التوراة بيده الكريمة المباركة:

ومما ميز التوراة عن غيرها من الكتب المنزلة أن الله تعالى كتبها لموسى بيده الكريمة المباركة كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم (٦٧)

ولا أعلم خلافًا بين أهل التفسير في ذلك أيضًا. ومع ثبوت ذلك في السنة الصحيحة، فقد وردت كذلك آثار عن بعض السلف بهذا الصدد نسوق جملة منها:

١– قال عبد الله بن عمرو بن العاص(ت: ٤٣هـ)– رضي الله عنه–:

" إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده.....". (٦٨)

٢–قال عكرمة(ت: ١٠٥هـ) – رحمه الله–:

"إن الله تعالى خلق آدم بيده كرامة لابن آدم، و غرس الجنة بيده كرامة لابن آدم، وكتب التوراة بيده، وخلق السموات والأرضين وكل شيء خلقه في ستة أيام". (٦٩)

٦٦– تفسير المنار: (٦/٣٢٨-٣٢٩). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

٦٧ –الدليل على أن الله تعالى كتب الألواح لموسى عليه السلام بيده، ما ثبت عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ ! أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ.فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً.فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) أخرجه مسلم في القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم: (٢٦٥٢)..

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ وَابْنِ عَبْدَةَ قَالَ أَحَدُهُمَا: خَطَّ، وقَالَ الْآخَرُ: كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ).

والحديث مخرج في الصحيحين، وهذا رواية مسلم برقم: (٢٦٥٢) واللفظ له.

٦٨– يُنظر: التحفة المدنية في العقائد السلفية ١/٦٥ للشيخ حمد بن ناصر.

٦٩– يُنظر: التنبيه والرد للملطي(١/١٣٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قال أبو عَطَّاف:

"كتب الله عز وجل التوراة لموسى بيده في الألواح.....". (٧٠)

٤- قال محمد بن كعب القرظي(ت: ١٠٨هـ) **– رحمه الله–:**

"ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه فقال: كتابًا لم يكتبه بقلم ولا مداد..... " (٧١)

٥- عن ميسرة قال:

"لم يخلق الله شيئًا غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب الألواح بيده، والتوراة بيده، وغرس عدنًا بيده". (٧٢)

٦- قال الكلبي:

"وقوله تعالى: (وكتاب مسطور) (الطور: ٢): هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة.". (٧٣)

٧- قال السيوطي(ت: ٩١٠هـ) **– رحمه الله– في الدر المنثور:**

"وأخرج الطبراني في السنة عن ابن عمر قال: خلق الله آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، ثم قال لسائر الأشياء كن فكان". (٧٤)

ولقد "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية". (٧٥)

ما المقصود بالألواح التي أُعطِيهَا موسى عليه السلام، وهل هي من التوراة أم غيرها؟:

قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (الأعراف: ١٤٥)

وقد اختلف المفسرون في المقصود من تلك الألواح، فقيل: هي التي كُتِبَت فيها التوراة، وقيل: أن موسى أُعطِيَ تلك الألواح قبل التوراة.

قال ابن كثير– (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله–:

٧٠- يُنظر: كتاب الرد على من يقول القرآن مخلوق لأبي بكر النجاد (٦٦/١)

٧١- يُنظر: الطبري في تفسيره:(١٠٠/٧)، الدر المنثور للسيوطي:(٦/٣).

٧٢- يُنظر: المرجع السابق: (١٨/٢)

٧٣- يُنظر: معالم التنزيل: (٢٣٦/٤). في قوله تعالى: (وكتاب مسطور)، بتصرف

٧٤- الدر المنثور للسيوطي:(١٢١/٣)، تفسير السيوطي: الدر المنثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: ٨.

قال الذهبي في العلو: إسناده جيد، وقال الألباني في ((مختصر العلو)) (ص: ١٠٥)، سنده صحيح على شرط مسلم.

٧٥- رواه البخاري، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، (٤٢١٥)(ص:١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

"أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ، قِيلَ: كَانَتِ الْأَلْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ لَهُ فِيهَا مَوَاعِظَ وَأَحْكَامًا مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْوَاحُ مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّوْرَاةِ، وَقِيلَ: الْأَلْوَاحُ أُعْطِيَهَا مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ ". (٧٦)

ومما قيل في ذلك أيضًا:

أن" الكُتُبُ التي أنزلها الله – عز وجل – على المرسلين : اختلف العلماء هل يدخل فيها الصحف، أم إنَّ الكتب غير الصحف؟ على قولين:

الأول: أن من أهل العلم من قال: الصحف هي الكتب.

والثاني: ومنهم من قال: لا؛ الصحف غير الكتاب.

ويَتَّضِحُ الفرق في صحف موسى عليه السلام والتوراة، فإنَّ الله – عز وجل – أعطى موسى عليه السلام صُحُفًا وأعطاه أيضًا التوراة، فهل هما واحد أم هما مختلفان؟

خلاف:

والقول الأول: أنهما واحد لأنَّ صحف موسى هي التوراة، وهي التي كتبها الله – عز وجل – بيده.

–**القول الثاني**: أنَّ الصحف غير الكتب، وهذا القول هو الصحيح، وهي أنَّ كتب الله – عز وجل – غير الصحف.

ويدل على هذا الفرق أنَّ الله – عز وجل – أعطى موسى عليه السلام صُحُفًا، وكَتَبَ له ذلك في الألواح، كما قال تعالى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (الأعراف: ١٤٥) وأوحى الله – عز وجل – إليه بالتوراة أيضًا.

فقول (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) (الأعلى: ١٩):

صحف إبراهيم: ذَكَرَ الله ما فيها في سورة النجم قال: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) (النجم: ٣٧-٤١)، إلى آخره، فهذه كانت مما في صحف إبراهيم عليه السلام.

وفي صحف موسى: ما كتبه الله – عز وجل – له.

وأما التوراة: فهي وحْيٌ وكتَابٌ مستقل، غير صحف موسى عليه السلام، أوحاها الله – عز وجل – إليه.

٧٦- تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٧٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

صحف موسى بالذات: وَقَعَ فيها الاشتباه، من جهة أَنَّهُ : ظاهر القرآن أنَّ الله – عز وجل – كَتَبَ الصحف لقوله: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ) (الأعراف: ١٤٥)،

وجاء في الحديث أنَّ الله – عز وجل – كتب التوراة لموسى بيده، فمن هذه الجهة وقع الاشتباه، هل هما واحد لأجل أن هذه كُتِبَتْ وهذه كُتِبَتْ.

والأظهر كما ذكرتُ لك من سياق الآيات في سورة الأعراف أن الكتب غير الصحف". (٧٧)

وقد رجح بعض المعاصرين الفرق بينهما كذلك، فجعل التوراة كتابًا، والصحف كتابًا آخر. (٧٨)

كما توقف عن الترجيح شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين(ت:١٤٢١هـ) حيث يقول – رحمه الله–:

"ولكل رسول كتاب، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ)(الحديد ٢٥)، وهذا يدل على أن كل رسول معه كتاب، لكن لا نعرف كل الكتب، بل نعرف منها: صحف إبراهيم وموسى، التوراة، الإنجيل، الزبور، القرآن، ستة، لأن صحف موسى بعضهم يقول: هي التوراة، وبعضهم يقول: غيرها، فإن كانت التوراة، فهي خمسة، وإن كانت غيرها، فهي ستة، ولكن مع ذلك نحن نؤمن بكل كتاب أنزله الله على الرسل، وإن لم نعلم به، نؤمن به إجمالاً". (٧٩)

وكلام شيخنا الفقيه رحمه الله قول فصل، إذ عول رحمه الله على الأصل وهو الإيمان بالكتب المنزلة إجمالًا، ثم بين أن الصحف إن كانت من التوراة، فالكتب المنزلة خمسة كتب، وإن لم تكن من التوراة، بأن كنت منفصلة عنها، فالكتب إذًا ستة كتب، ولاشك في سلامة هذا القول.

وممن توقف عن الترجيح كذلك ابن كثير رحمه الله، كما مر معنا قوله آنفًا، فقد عرض القولين ولم يرجح بينهما.

ويبقى أن القول بأن الصحف ليست من التوراة وأنها منفصلة عنها، قول قوي له واجهته وقوته، وهو الظاهر من عموم النصوص الواردة في هذا الشأن. والله أعلم.

٧٧- يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ صالح آل الشيخ: (٣٢١/١).

٧٨- يُنظر: فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي (٣٦٧/١)، ويُنظر: شرح الاقتصاد في الاعتقاد للشيخ عبد العزيز الراجحي(١٧).

٧٩- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: (٦٥/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: الزبور

والزبور: هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ونبيه داود عليه السلام، وهو ثالث ما أنزل الله من كتب مما لدينا به علم يقيني.

(الإسراء: ٥٥.) وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(قال تعالى:

"وأصل الزبور كل كتاب غليظ الكتابة، من زبرت الكتاب أزبر- بفتح الموحَّدة وضمها؛ كما في المحكَم - إذا كتبته كتابة غليظة، وخُص في المشهور بالكتاب المنزَّل على داود عليه السلام....". (٨٠)

. (٨١)" الزبر الكتب واحدها زبور زبرت كتبت"و

قال العلامة الفقيه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) **- رحمه الله-:**

"والزبور: اسم لجموع أقوال داود عليه السلام، التي بعضها مما أوحاه إليه وبعضها مما ألهمه من دعوات ومناجاة، وهو المعروف اليوم بكتاب المزامير من كتب العهد القديم". (٨٢)

قَالَ قَتَادَةُ- رحمه الله-:

وَالزَّبُورُ: كِتَابٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ دَاوُدَ، يَشْتَمِلُ عَلَى مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سُورَةً، كُلُّهَا دُعَاءٌ وَتَمْجِيدٌ وَثَنَاءٌ عَلَى الله عزَّ وجلَّ، ليس فِيهَا حَرَامٌ وَلَا حَلَالٌ، وَلَا فرائض ولا حدود". (٨٣)

وقتادة وإن كان يُعد- رحمه الله-:

" أحد الأئمة في حروف القرآن، وله اختيار من القراءات المروية، وكان رأسًا في العربية، واللغة، وأيام العرب، ومن أعلم الناس بالأنساب، وقال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير، وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه، والحفظ وأطنب في ذكره". (٨٤)

وأقواله رحمه في التفسير اعتمد عليها بعض الأئمة كالبخاري والشافعي وغيرهما.

٨٠- يُنظر: تفسير الألوسي: (١٠٤/١٧). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

٨١- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) (٣٢٣٥) (ص: ٥٢٢).

٨٢- أضواء البيان: (١٣٨/١٦).

٨٣ - تفسير البغوي: (١٠١/٥).

٨٤- التفسير والمفسرون: (ص: ٤٩٦). بتصرف يسير. التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة عدد الأجزاء: ٣.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا القول من قتادة رحمه الله أمر غيبي ولا يُقال في مثله بالرأي أبدًا، فالزبور الذي أنزله الله أين هو؟ فأنى لنا القول بما حواه الزبور بلا برهان ساطع ولا دليل قاطع، والدليل والبرهان إما آية محكمة، أو حديث صحيح ثابت عمن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، وإن أقوى مما يُقال في مثل هذا: لعله نُقِلَ عن أقوال أهل الكتاب. والله أعلم.

وقد نقل جمع من أئمة التفسير قول قتادة واعتمدوا عليه، ومن نقله على سبيل المثال لا الحصر–

الطبري(ت: ٣١٠هـ) – **حيث يقول – رحمه الله–:**

"وقد ذكر أهل العلم أن زبور داود كان يشتمل على تحميد وتمجيد لله تعالى، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود". (٨٥)

وبنحو قول الطبري يقول القرطبي(ت:٦٧١هـ) – **رحمه الله–:**

"الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود; وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد". (٨٦)

تلاوة داود للزبور وتغنيه به:

فقد كان داود عليه السلام ذا صوت حسن جميل، فكان إذا رجّع التسبيح والزبور بصوته الشجي رجّعت بِتَرْجِيعِهِ من حوله الجبال الرواسي الشَّامِخَاتُ والطير مثل تسبيحه تَبَعًا لَهُ وتغنيًا لصوته. قال تعالى: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء: ٧٩).

قال البغوي(ت: ٥١٠هـ) – **رحمه الله–:**

"قَوْلُهُ تعالى: (وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ)، أَيْ: وَسَخَّرْنَا الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ يُسَبِّحْنَ مَعَ دَاوُدَ إِذَا سَبَّحَ،

قال ابن عباس(ت: ٦٨هـ) – **رضي الله عنهما–:** كان [داود] (٨٧) يفهم تسبيح الحجر والشجر.

وقال وَهْبٌ: كَانَتِ الْجِبَالُ تُجَاوِبُهُ بِالتَّسْبِيحِ وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يُسَبِّحْنَ أَيْ يُصَلِّينَ مَعَهُ إِذَا صَلَّى.

وَقِيلَ: كَانَ دَاوُدُ إِذَا فَتَرَ يُسْمِعُهُ اللَّهُ تَسْبِيحَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ لِيَنْشَطَ فِي التَّسْبِيحِ وَيَشْتَاقَ إِلَيْهِ. وَكُنَّا فاعِلِينَ [يَعْنِي] (٨٨) مَا ذَكَرَ مِنَ التَّفْهِيمِ وَإِيتَاءِ الْحُكْمِ وَالتَّسْخِيرِ". (٨٩)

٨٥- تفسير الطبري: (١٤/ ٦٢٥).

٨٦-تفسير القرطبي: (٢٧٨/١٠).

٨٧- زيادة عن المخطوط.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال سبحانه: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩)) (ص: ١٩)

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"وَقَوْلُهُ: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ) أَيْ: إِنَّهُ تَعَالَى سَخَّرَ الْجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَهُ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَآخِرِ النَّهَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ) [سَبَأٍ: ١٠] وَكَذَلِكَ كَانَتِ الطَّيْرُ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ وَتُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْرُ وَهُوَ سَابِحٌ فِي الْهَوَاءِ فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِقِرَاءَةِ الزَّبُورِ لَا تَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ بَلْ تَقِفُ فِي الْهَوَاءِ وَتُسَبِّحُ مَعَهُ وَتُجِيبُهُ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ تُرَجِّعُ مَعَهُ وَتُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ". (٩٠)

ولقد كان شغل داود الشاغل –عليه السلام– ترتيل الزبور والتغني به وتلاوته بتدبر وتخشع، وقد ثبت ذلك عنه صلوات الله وسلامه عليه ثبوتًا يقينيًا. (٩١)

٨٨– زيادة عن المخطوط.

٨٩– معالم التنزيل للبغوي: (٣/ ٣٠٠).

٩٠– تفسير ابن كثير: (٥٧/٧).

٩١– فقد روى البخاري في صحيحه (٣٤١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ (خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ القُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلاَ يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ).

وفي رواية له (٤٧١٣): (خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ لِتُسْرَجَ ، فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ – يَعْنِي – القُرْآنَ).

قال ابن بطال رحمه الله: " المراد بالقرآن في هذا الحديث: الزبور". انتهى من "شرح صحيح البخاري" (١٠/ ٢٧٣).

وقال ابن كثير: " والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزل عليه، وأوحي إليه" البداية والنهاية: (٢ / ١١).

وقال أيضًا: " ثم ليعلم أن كثيرًا من السلف يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب المتلوة عندهم، أو أعم من ذلك، كما أن لفظ القرآن يطلق على كتابنا خصوصًا، ويراد به غيره كما في الصحيح: (خفف على داود القرآن فكان يأمر بداوبه فتسرج فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ) وقد بسط هذا في غير هذا الموضع والله أعلم". البداية والنهاية: (٦ / ٦٣).

وقال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): " والمراد بالقرآن ههنا الزبور، كما أريد بالزبور القرآن في قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) [الأنبياء: ١٠٥]".(حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: (١٢ / ٢٧٩). ويُنظر: عون المعبود: (١٠ / ١٨٦).

وقال الحافظ (ت: ٨٥٢هـ) **في الفتح:** " وَالْمُرَاد بِالْقُرْآنِ مَصْدَر الْقِرَاءَة لا الْقُرْآن الْمَعْهُود لِهَذِهِ الْأُمَّة"(فتح الباري: (١٣ / ١٨٩)) .

وفي نحو ذلك يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله–:

"كَانَ يَقْرَأُ الزَّبُورَ بِمِقْدَارِ مَا تُسْرَجُ الدَّوَابُّ، وَهَذَا أَمْرٌ سَرِيعٌ مَعَ التَّدَبُّرِ، وَالتَّرَنُّمِ، وَالتَّغَنِّي بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّخَشُّعِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ". (٩٢). (٩٣)

وقال في الفتح أيضًا: "وقرآن كل نبي يطلق علي كتابه الذي أوحي إليه، وقيل: المراد بالقرآن: القراءة ". فتح الباري: (٦/ ٤٥٥).

وقال العيني(ت: ٨٥٥هـ):" وقرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي أوحى إليه ".عمدة القاري: (٢٣ / ٣٦٨) .

وقال في عون المعبود: " وَالْمُرَاد بِالْقُرْآنِ هَهُنَا: الزَّبُور" عون المعبود: (١٠ / ١٨٦).

وقال ابن الجوزي: " يعني القراءة لكتابه الزبور"كشف المشكل: (١ / ١٠١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن لفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور؛ يراد به الكتب المعينة تارة، ويراد به الجنس تارة. فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وبلفظ التوراة عن القرآن وبلفظ الإنجيل عن القرآن أيضًا، وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(خفف على داود القرآن) فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن فالمراد به قرآنه وهو الزبور. وكذلك قوله في البشارة التي في التوراة: (نبيًا أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى)، وكذلك في صفة أمته صلى الله عليه و سلم في الكتب المتقدمة: (أناجيلهم في صدورهم)". هداية الحيارى: (١ / ٧٩).

وقال أيضًا: " وكذلك لفظ القرآن فيقال على جميعه وعلى بعضه ولو نزل قرآن أكثر من هذا لسمى، وقد تسمى الكتب القديمة قرآنًا كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: (على داود القرآن)". مجموع الفتاوى: (٧ / ٥١٦).

وقال الحافظ ابن حجر– رحمه الله–:

"وهذا من المعجزات التي حباه الله بها –عليه السلام–، فلا ينكر أن يقرأ الزبور كله في هذه المدة الوجيزة، في تدبر وخشوع وحسن تلاوة،

" فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْبَرَكَةَ قَدْ تَقَعُ فِي الزَّمَنِ الْيَسِيرِ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ، قَالَ النَّوَوِيُّ: أَكْثَرُ مَا بَلَغَنَا مِنْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ يَقْرَأُ أَرْبَعَ خَتَمَاتٍ بِاللَّيْلِ، وَأَرْبَعًا بِالنَّهَارِ " انتهى من "فتح الباري" (٦/ ٤٥٥).

يقول الباحث: وكلام النووي رحمه الله تعالى آنفًا يحتاج ويفتقر لدليل صحيح صريح، ولذا عبر عنه رحمه الله بصيغة "بلغنا" والتي هي من صيغ التمريض، ولم يصرح عن مصدر تلقيه تصريحًا.

وقال العيني – رحمه الله–:

"فِيه: الدّلَالَة على أَن الله تَعَالَى يطوي الزَّمَان لمن يَشَاء من عباده، كَمَا يطوي الْمَكَان" انتهى من "عمدة القاري" (١٦/ ٧)، وللاستزادة يُنظر: الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم:(٢٣٨٣٩٥)، بتاريخ: (١٥/١/ ٢٠١٦م).

٩٢- يُنظر: البداية والنهاية (٢/ ٣٠٧) البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م عدد الأجزاء: ١٥.

٩٣- ولذا مدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قراءة أبي موسى رضي الله عنه ووصف حسنها بقوله: " إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَو الْأَشْعَرِيَّ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ". رواه مسلم

القول الفصل في ثبوت ووجود الزبور في زماننا الحالي:

"وما ذُكِرَ في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، من حيث ثبوتهما، والوثوق بخبرهما: نذكره في الزبور، لأنه لا خبر عندنا ببقائه، فما ينقل عنه من طريق أهل الكتاب، له حكم الإسرائيليات، وأنها على ثلاثة أقسام:

١- مقبول: وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢-مسكوت عنه: وهو ما لم يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالًا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرفوض: وهو ما علم كذبه، ولا يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته ". (٩٤) **٣-**

رابعًا: الإنجيل

والإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام، وهو رابع ما أنزله الله من كتب مما لدينا به علم يقيني.

نبذه مختصرة عن الإنجيل:

يقول الطاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣)- رحمه الله-:

"**وأما الإنجيل:** فاسم للوحي الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه". (٩٥)

والإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وأرسله به إلى بني إسرائيل، وذلك بعد أن انحرافهم وزيغهم وضلالهم عن شريعة موسى بن عمران نبي إسرائيل عليه السلام، فدعاهم عيسى إلى توحيد الله وعبادته ونبذ عبادة كل ما سواه كما قال ربنا: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّار وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (المائدة:٧٢).

كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا باب استحباب-باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: (١٩٧٤) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ- رضي الله عنهما.

" **قال العلماء:** المراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن، وأصله الآلة المعروفة وأطلق اسمها على الصوت للمشابهة، وآل داود هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه؛ إذ لم يعرف من أقاربه أنه أُعطي من حسن الصوت ما أعطي". يُنظر: فتح الباري: (٩/ ٩٣).

٩٤- يُنظر: الإسلام سؤال وجواب:، سؤال رقم: (٢٥٩٩٣٥)، بتاريخ: (٢٠١٨/٧/١م). بتصرف.

٩٥-التحرير والتنوير: (٣ / ٢٦)

يقول الطبري(ت: ٣١٠هـ) – **رحمه الله**–:

"ويعني بقوله: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)، يقول: اجعلوا العبادة والتذلل للذي له يَذِلّ كل شيء، وله يخضع كل موجود (رَبِّي وَرَبَّكُمْ)، يقول: مالكي ومالككم، وسيدي وسيدكم، الذي خلقني وإياكم (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)، أن يسكنها في الآخرة(وَمَأْوَاهُ النَّارُ)، يقول: ومرجعه ومكانه– الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكًا في عبادته– نارُ جهنم (وَمَا لِلظَّالِمِينَ)، يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق (مِنْ أَنصَارٍ)، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم". (٩٦)

وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فقد بعثه الله مبلغًا رسالاته لعباده، وكان على التوحيد الخالص الذي هو دين الإسلام متبعًا في ذلك ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.

وأما الإنجيل الذي نؤمن به إنما هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، والذي قال الله عنه في محكم كتابه

(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ). (المائدة٤٦)

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ) – **رحمه الله**–:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وآتيناه الإنجيل)، يقول: وأنزلنا إليه كتابنا الذي اسمه(الإنجيل) (فيه هدى ونور) يقول: في الإنجيل (هدًى)، وهو بيان ما جهله الناس من حكم الله في زمانه (ونور)، يقول: وضياء من عَمَى الجهالة(ومصدقًا لما بين يديه)، يقول: أوحينا إليه ذلك وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله التي كان أنزلها على كل أمة أُنزل إلى نبيّها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم في ذلك الكتاب، من تحليل ما حلّل، وتحريم ما حرّم". (٩٧)

وقال سبحانه: (وَإِذْ قَالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى

٩٦- تفسير الطبري: (٤٨١/١٠).

٩٧- تفسير الطبري: (٣٧٣/١٠). بتصرف

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) (المائدة (١٠٨-١١٩).

والإيمان بالكتب المنزلة من عند الله والتي منها الإنجيل الذي أوحاه إلى عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، يُعدُ أصلًا من أصول الإيمان وركنًا من أركانه التي يجب الإيمان بها؛ كما قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة:٢٨٥)، ولحديث جبريل المشهور لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها، فقد ثبت في بعض الروايات في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ). (٩٨)

كما أن الكفر بأي كتاب من الكتب المنزلة أو الشك في أي منها، كفر بالله وضلال مبين، كما قال رب العالمين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا) (النساء:١٣٦).

كيف كُتِبَ الإنجيل وكيف جُمِعَ:

ومن مقتضيات الإيمان بالإنجيل الإيمان بأنه وحي أوحاه الله لعيسى المسيح عليه السلام، وأن كل ما جاء فيه حق من عند الله، وأما تفاصيل كتابته وحفظه ونشره، ومن كتبه، وهل جُمِع في سفر واحدة وبين دفتي صحيفة واحدة، أم كان حفظه بالتلقي والمشافهة فحسب، كل ذلك ضربًا من الغيب لا نعلم فيه شيئًا وليس لدينا ما يثبت صفة ذلك أو ينفيها، وما يجب علينا هو الإيمان بالإنجيل ككتاب منزل ووحي أوحاه إلى عيسى، كما أوحى سائر الكتب المنزلة على رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

الأناجيل التي بين أيدي النصارى اليوم

يقول ابن حزم رحمه الله (ت:٤٥٦هـ) **في "الفصل في الملل والأهواء" – رحمه الله–:**

"ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام، كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام التي عند اليهود، لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله

٩٨- رواه البخاري (٤٧٧٧) ومسلم (٩).

عز وجل، على موسى عليه السلام، فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك، وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها، لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم، أريسيهم و ملكيهم ونسطوريهم و يعقوبيهم ومارونيهم وبولقانيهم، لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة". (٩٩)

وكلام ابن حزم آنفًا يعني أنهم كفونا مؤنة ذلك.

وحتى ما كُتِبَ بعد رفع المسيح عليه السلام من كتب فلم يبق منها أي شيء، فقد فقدت النسخ الأولى التي كتبت واختفت ولم يبق لها أي أثر أو وجود حقبة من الزمن.

والنصارى أنفسهم لا يؤمنون أصلًا أن هناك أي كتاب كتبه المسيح بنفسه، أو أملاه أي أحد من تلامذته في عهده، ثم فُقِدَ بعد ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–: وفي نحو هذا الصدد

"وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام، ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملوه بعد رفع المسيح". (١٠٠)

ويتابع ابن حزم – رحمه الله–: فيقول في "الفصل في الملل والأهواء":

"وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلًا فقط....، وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده، يدعون إلى دينه سرًا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته، ولا يظهر دينه، وكل من ظفر به منهم قتل.....

فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة، و لا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام.

وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز و جل إلا فصولًا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيًا لهم فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم واجتمعوا وآمنوا.

وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يؤخذ إلا سرًا تحت السيف لا يقدر أهله على حمايته ولا على المنع من تبديله". (١٠١)

٩٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢٥١/١).

١٠٠ - الجواب الصحيح: (١ / ٤٩١)

وعن تفاصيل تلك الأناجيل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)– رحمه الله–:

"وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فهي أربعة أناجيل: إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح، وإنما رآه متى ويوحنا وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يسمون كل واحد منها إنجيلًا، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح؛ فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته". (١٠٢)

إذا كيف أصبح الإنجيل أناجيلًا؟:

والله تعالى أنزل عليهم إنجيلًا فجعلوه أناجيل، وتلك الأناجيل رغم تحريفها فقد انقطعت صلة الناس بها تمامًا، فأعلى أسانيدهم بها منقطع قرابة قرنين من الزمان،

لم يبق منها أي شيء بلغتهم التي كتبوا بها تلك الأناجيل، وإنما وجدت بتراجم عن معاني اللغات التي كتبت بها، ورغم ذلك كله فيا ترى من الذي ترجمها؟ وما هي الأمانة العلمية التي تحلى بها، ما هو صدق ديانة من كتبها؟ إن صحت لهم ديانة وأمانة.

فالأناجيل الموجودة بين أيدي النصارى اليوم ليست هي الإنجيل الذي تكلم الله به وأوحاه الله لعيسى وأنزله عليه، ولكن لا ننكر أن فيها بعض الحق من كلام المسيح، وبعض أفعاله ومعجزاته.

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) –رحمه الله–:

"هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلًا إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح بلغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته، وذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه، فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث والسير والمغازي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله التي ليست قرآنًا، فالأناجيل التي بأيديهم شبه كتاب السيرة وكتب الحديث أو مثل هذه الكتب، وإن كان غالبها صحيحًا". (١٠٣)

١٠١– المرجع السابق: (٢/٤–٥).

١٠٢ – الجواب الصحيح (٣/٢١).

١٠٣ – الجواب الصحيح: (٢ / ١٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

العقائد التي تشتمل عليها الأناجيل الأربعة

"أما العقائد التي تشتمل على هذه الأناجيل فتدور كلها حول المسيح، وتقرر ألوهيته وبنوَّته للأب، وأن الآلهة عبارة ثلاثة أقانيم؛ وهي: الأب والابن وروح القدس، وأن المسيح قد صُلِب ليكفِّر بذلك الخطيئة الأزلية وهي الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ عصى ربه وأكل من الشجرة، والتي انتقلتْ بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون لولا أنِ افتداهم المسيح بدمه". (١٠٤)

وهذه الأربعة أناجيل ضعيفة جدًّا في المصداقية؛ لأن إنجيل متى أصله مفقود، وما لدينا الآن ترجمات لا يمكن التأكد من مطابقتها لأصلها المفقود.

وهذه الأناجيل الأربعة كتبها أشخاص لم يعرفوا المسيح، ولم يسمعوا منه، ولم يكونوا من تلاميذه.

أخطر الأناجيل الأربعة:

"وأخطر هذه الأناجيل هو: إنجيل يوحنا فإن كاتبه الحقيقي مجهول الهوية حتى يومنا هذا، ونسبه إلى يوحنا تغطية ليس إلا، "ولهذا الإنجيل خطر وشأنه خطير أكثر من غيره؛ لأنه الإنجيل الذي تضمنتْ فقراته ذكْرًا صريحًا لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها، فكُتَّاب النصارى يجمعون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح قبل وجود الأناجيل الذي يدل عليه ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، فاتجهوا إلى يوحنا فكتب – كما يقولون – إنجيله الذي يشتمل على الحجة وبرهان القضية والبينة فيها على زعمهم". (١٠٥)

وهذا دليل على أن الأناجيل السابقة لا تحتوي على نص بألوهية المسيح، وإلا لما اضطروا إلى إنجيل جديد يكتبوا فيه نص الألوهية للمسيح.

الحق ما شهدت به الأعداء:

"أما دائرة المعارف البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ووضوحًا ممن سبق إذ جاء فيها: أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك مزوَّر، أراد مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان: يوحنا بن زبدى الصيادي ومتَّى". (١٠٦)

١٠٤- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام – تأليف: د. علي عبد الواحد وافي (مصر – نهضة مصر للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م) (ص: ٩١)

١٠٥- محاضرات في النصرانية – للشيخ: محمد أبو زهرة (القاهرة – دار الفكر العربي) (ص: ٥٠).

١٠٦- بحوث في مقارنة الأديان، دكتور: محمد عبد الله الشرقاوي ص ٢٣٧ (القاهرة – دار الفكر العربي، ١٤٢٣هـ).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهناك أناجيل كثيرة استُبعدت مِن قِبل الكنسية، ومِن بينها إنجيل برنابا الذي هو أقرب في تعاليمه إلى الإسلام حيث يشير إلى أن عيسى إنسان وليس إله وأنه لم يصلب... (١٠٧)

ما هي اللغة التي يتكلمها المسيح:

قال شيخ الإسلام(ت: ٧٢٨هـ) –رحمه الله– في الجواب الصحيح:

"والمسيح كان عبرانيًا لم يتكلم بغير العبرانية ". (١٠٨)

وقال في موضع آخر من الجواب الصحيح أيضًا:

" ومن قال إن لسان المسيح كان سريانيًّا (أي آراميًّا) أو روميًّا: فقد غلط ". (١٠٩)

ومما يبرهن على تحريف تلك الكتب المترجمة

١–أنها ترجمت عن كتب محرفة.

٢– وأنها مقطوعة السند قرابة قرنين من الزمان.

٣– أنها يناقض بعضها البعض.

٤– أنها كتبت بتراجم مختلفة عن معاني اللغات التي نُقِلَت عنها.

٥–انها كتبت بأيدي مجهولة من جهتين:

أ– من جهة الأمانة من العلمية.

ب– ومن جهة الأمانة الدينية.

كل ذلك يبرهن أن تلك الكتب ليست هي الإنجيل الذي هو كلام الله تعالى الذي تكلم به وأوحاه إلى عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وصدق الله جل في علاه إذ يقول: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيرًا) (النساء:٨٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) –رحمه الله–:

"وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين، ولم يسبقه إليه أحد منهم، فإنه يكون خطأ. كما قال الإمام أحمد بن حنبل: (إياك أن تتكلم في السؤال ليس لك فيه إمام)". (١١٠).

ولعل في هذا الغر والتحجيل بيان وإبطال ونسف لباطل تلك الأناجيل.

١٠٧– يُنظر: عيسى عليه السلام في الإنجيل، أ. د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد، عن موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٩/ ١٢/ ١٤٢٨هـ.

١٠٨– الجواب الصحيح: (٣ / ٧٥).

١٠٩– المرجع السابق: (١ / ٩٠).

١١٠– الفتاوى الكبرى: (٢/٧١).

والحمد لله رب العالمين.

خامسًا: القرآن الكريم

والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم الذي أنزله الله على خاتم أنبيائه ورسله عبده ونبيه محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم–

إن الكلام عن القرآن من خلال آياته أمر يطول بيانه ولعل في الاكتفاء بالإشارة إلى مطلع سنام القرآن ما يكفي للتعبير عما في النفس الضعيفة تجاه كلام الله، والتي أسأله تعالى أن تكون وافية وكافية، غير إن قدر كلام الله وحقه أعظم وأجل أن يحيط به بشر مهما أوتي من فصاحة وبلاغة وبيان، ولعل في هذه الإشارة ما يغني عن العبارة.

مكانة القرآن خاتم الكتب المنزلة وعلو قدرته ومنزلته:

(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة: ٢) قال تعالى:

و(**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**) أي هذا الكتاب، ولا أعلم فيه خلاف عند أئمة التفسير، وإنما عبر بـ(**ذَٰلِكَ**) التي تستعمل للبعيد، لعلو قدر القرآن وعلو مكانته.

قال ابن كثير–رحمه الله–:

"ومعنى الكلام: أن هذا الكتاب – وهو القرآن – لا شك فيه أنه نزل من عند الله". (١١١)

قال القاسمي(ت: ١٣٣٢هـ)**–رحمه الله–:**

"أي: هذا القرآن لا شك أنه من عند الله تعالى كما قال تعالى في السجدة (الم تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ) [السجدة: ١– ٢].

قال بعض المحققين:

اختصاص ذلك بالإشارة للبعيد حكم عرفيّ لا وضعيّ، فإن العرب تعارض بين اسمي الإشارة. فيستعملون كلا منهما مكان الآخر، وهذا معروف في كلامهم.

ثم يقول – رحمه الله–:

وإنما عبر بـ(ذَٰلِكَ): لتعظيم المشار إليه، ذهابًا إلى بعد درجته وعلو مرتبته ومنزلته في الهداية والشرف.

---

١١١ – ابن كثير: (١٦٣/١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يتابع ويقول – رحمه الله–:

ومعنى نفيه عن الكتاب(أي: الريب). أنه في علوّ الشأن، وسطوع البرهان، بحيث ليس فيه مظنة أن يرتاب في حقيقته، وكونه وحيًا منزلًا من عند الله تعالى. والأمر كذلك، لأن العرب، مع بلوغهم في الفصاحة إلى النهاية، عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن. وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة في الظهور إلى حيث لا يجوز للعاقل أن يرتاب فيه، لا أنه لا يرتاب فيه أحد أصلًا". (١١٢)

قال البغوي(ت: ٥١٠هـ) – رحمه الله–:

قوله تعالى: (لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) "أي لا شك فيه أنه من عند الله عز وجل وأنه الحق والصدق". (١١٣)

والقرآن حق في ذاته وإن جحدوا الجاحدون.

قال ابن عطية(ت:٥٤٢هـ)– رحمه الله–:

و(لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ) " معناه: لا شك فيه، ولا ارتياب به، والمعنى: أنه في ذاته لا ريب فيه، وإن وقع ريب للكفار". (١١٤)

والقرآن لا مغير ولا مبدل له:

قال الشوكاني(ت:١٢٥٥هـ)– رحمه الله–:

" أي: لا مبدل له ". (١١٥)

https://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?flag=1&bk_no=66&surano=2&ayano=2 - docu(لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ)

وذلك لأنه محفوظ بحفظ الله له من التغيير والتبديل، كما قال ربنا:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)

و(هُدًى) هنا بمعنى الهداية، وإنما هي هنا هداية التوفيق والإلهام، لا هداية الدلالة والإرشاد.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) – **رحمه الله–:**

"ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص؛ الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام ؛ الذي هو إيضاح الحق". (١١٦)

---

١١٢ – محاسن التأويل: (٢٤٣/١).

١١٣ –تفسير البغوي: (٦٠/١)

١١٤ – المحرر الوجيز: (١٠٤/١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١١٥– فتح القدير: (٢٨/١).

وختامًا:

فإن" الإيمان بكتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله التي ينبني عليها، فلا يصح إسلام عبدٍ ولا يثبت إيمانه؛ حتى يؤمن الإيمان الجازم أن هذه الكتب نزلت من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ما تضمنته من وحي الله لأنبيائه حق لا مرية فيه". (١١٧)

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله – إجماع المسلمين على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة،... قال ابن أبي العز(ت: ٧٩٢هـ) – رحمه الله –: (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين؛ فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى)". (١١٨).

المطلب السادس: هيمنة القرآن على الكتب السابقة

أولًا: مفهوم الهيمنة في اللغة:

وكلمة: " هيمنة "، مصدرها هيمن، وفيها معنى السيطرة على الشيء.

والهيمنة: "قدرة مطلقة على الشّيء من كافّة جوانبه وبشتّى الوسائل بما يكفل تحقيق الغاية المشروعة". (١١٩)

وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب؛ يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه.

وتقول: هيمن فلان على فلان، إذا صار قريبًا عليه؛ فهو مهيمن. (١٢٠)

ثانيًا: المُهَيْمِن: من أسماء الله الحُسنى

" المهَيْمِن: من أسماء الله الحُسنى، بمعنى: المؤمن، الأمين، المؤتمن، الشاهد، القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وهيمنَ: قال: آمين، وهيمنَ الطائر: رفرف على فراخه، وهيمن فلان على أمر: صار رقيبًا عليه وحافظًا ". (١٢١)

١١٦- أضواء البيان: (١/١٠).

١١٧- المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، مجموعة مؤلفين: (٩٦٣).بتصرف.

١١٨- شرح العقيدة الطحاوية: (٢/٤٢٤-٤٢٥).

١١٩ - يُنظر: تعريف الهيمنة في معجم المعاني الجامع.

١٢٠ - تفسير الطبري: (٦/٣٤٤)، فتح الباري: (٩/١٤٩).

١٢١- يُنظر: حرف الهاء، محيط المحيط: (١/٣٨٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر: ٢٣)

"المهيمن (سبحانه) الرقيب الحافظ لكل شيء الخاضع لسلطانه كل شيء، والمهيمن: القائم على خلقه، الشهيد عليهم". (١٢٢)

والله تعالى مهيمن على مخلوقاته ومطلع وشاهد عليها كلها، ولا يعزب عنه سبحانه أي شيء من مخلوقاته في سماوته ولا في أرضه، كما قال سبحانه: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (سبأ: ٣)، فلا يخفى عليه جل في علاه أي شيء منها كما قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) (آل عمران: ٥).

ثالثًا: مفهوم معنى هيمنة القرآن عند أئمة التفسير

"وقد تنوعت عبارات المفسرين، من السلف ومن بعدهم رحمهم الله تعالى، في التعبير عن معنى هذه الهيمنة، فقالوا:

مهيمنًا: أي مؤتمنًا وشاهدًا ورقيبًا، وحاكمًا وقاضيًا، ودالاًّ ومصدقًا، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزَّل، وهو بهذا حافظ لهذا الأصل لأنه يبين ما طرأ عليه من انحراف وما وافقه من الكتب المتداولة فهو حق، ويجوز أن تكون نسبته إلى الله تعالى صحيحة، وما خالفه وناقضه فهو باطل، ولا تكون نسبته إلى الله تعالى صحيحة، ويكون قد طرأ على الكتاب الذي فيه تلك المخالفة والتناقض: تبديلٌ وتحريف. وما جاء في القرآن الكريم، ولم يكن في الكتب المتداولة في أيديهم، المنسوبة إلى الله تعالى، فيكون ما جاء في القرآن هو الحق.

والقرآن الكريم شاهد على ما في تلك الكتب، يشهد لأصولها المنزلة بالصدق، ويشهد عليها وعلى أصحابها بما وقعوا فيه من نسيان حظ عظيم وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي وتأويله، والإعراض عن العمل بها، كما نصت على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم – وستأتي إشارات لذلك –.

والقرآن الكريم رقيب على سائر الكتب السماوية المحفوظة عن التغيير، حيث يشهد لها بالصحة والثبات، ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها، ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها.

١٢٢- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: اشتقاق الأسماء: (ص: ٢٧٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام: هو معنى من معاني الهيمنة عليها، فالقرآن حاكم على ما في تلك الكتب وقائم عليها وقاضٍ عليها بالحق". (١٢٣)

والقرآن الكريم آخر الكتب المنزلة من عند الله تعالى، لذا فهو مهيمن على ما سبق نزوله من الكتب، فيؤيد الله تعالى فيه ما كان في تلك الكتب من حق وصواب، وينفي فيه ما كان فيها من باطل وتحريف، وفي ذلك يقول الله –جل في علاه–: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..) (المائدة من آية:٤٨).

يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ) – **رحمه الله–:**

" المهيمن : الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله.(١٢٤)، "والقرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب". (١٢٥). (وَمُهَيْمِنًا): أي: "أمينًا وشاهدًا على الكتب التي خلت قبله". (١٢٦).

(وَمُهَيْمِنًا) "أي: حاكمًا على ما قبله من الكتب". (١٢٧).

يقول محمد رشيد رضا(ت: ١٣٥٤هـ) – **رحمه الله–:**

" وأما قوله: {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها؛ لأنه جاء بعدها". (١٢٨)

وجميع الأقوال سابقة الذكر معانيها متقاربة.

وفي ذلك يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) – **رحمه الله–:**

"...وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فالقرآن أمين وحاكم وشاهد على كل كتاب قبله، وجعل الله هذا الكتاب العظيم آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها

١٢٣– تُنظر هذه المعاني في: تفسير الطبري ٢٦٦/٦ – ٢٦٨، ابن كثير ٦٦/٢، أحكام القرآن للجصاص ٩٧/٤، تفسير البغوي ٤٩/٢، تفسير أبي السعود ٦٧/٢، تفسير الألوسي ١٥٢/٦، تفسير المنار ٤١٠/٦ – ٤١١، ١٤٠١/١٠، غريب الحديث للخطابي ٩٠/٢ – ٩١، القرآن والمتبرون لمحمد عزة دروزة.٤٥٥، الإسلام وعلاقته بالديانات الأخرى، عثمان بن جمعة ضميرية، المصدر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢١، ص٣١١–٣٥٢

١٢٤– وهذا القول مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما–.

١٢٥– وهذا القول مروي عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى.

١٢٦– وهذا القول مروي عن قتادة رحمه الله تعالى ينظر: تفسير الطبري (٣٤٥/٦، ٣٤٦).

١٢٧– وهذا القول مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما–. يُنظر تفسير ابن كثير(٩٢/٢).

١٢٨– تفسير المنار: (٤١٠/٦–٤١١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات كمالا ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها وتكفل بحفظه بنفسه". (١٢٩)

"... وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله ". (١٣٠)

فالقرآن مهيمن وشاهد على ما قبله من الكتب، ومصدق لما فيها من الصحيح، مع نفيه لما وقع فيها من تحريف وتغير وتبديل، ومع ذلك يحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

رابعًا: بيان أدلة هيمنة القرآن على الكتب السابقة

إنما كان للقرآن الكريم هذه المنزلة لكونه يستحيل أن يتطرق إليه التبديل والتحريف، ولا يمكن نسخه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ختم الله به الكتب المنزلة.

و"إنما كان القرآن مهيمنًا على الكتب لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخًا البتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق؛ صدق باقية أبدًا ". (١٣١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله– في تقرير ما تضمنته هذه الآية من هيمنة القرآن على ما سواه:

" فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة، ومن أسماء الله المهيمن " ويسمَّى الحاكم على الناس القائم بأمورهم " المهيمن.....

وهكذا القرآن، فإنه:

أ — قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا.

ب – وبيّن الأدلة والبراهين على ذلك.

جـ – وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين.

د – وقرر الشرائع الكلية التي بُعثت بها الرسل.

هـ – وجادل المكذبين بالكتب والرسل، جادلهم بأنواع الحجج والبراهين.

و – وبيّن عقوبات الله لهم، ونَصْرَه لأهل الكتب المتبعين لها.

---

١٢٩ – تفسير ابن كثير: (٣ /١١٩).

١٣٠– تفسير ابن كثير: (٢/٩٢).، (تفسير غريب القرآن) لابن قتيبة: (ص:١١)

١٣١– التفسير الكبير للفخر الرازي: (١٢/١١)(ت:٦٠٦هـ). بتصرف يسير

ز- وبيّن ما حرف منه وبُدّل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة.

فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حُرّف منها، وهو حاكم بإقراره ما أقرّه الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات.

وكذلك معنى ((الشهادة)) و ((الحكم)) يتضمن إثبات ما أثبته الله من صدق ومحكم، وإبطال ما أبطله من كذب ومنسوخ. وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً مما نسخه الله بالإنجيل(١٣٢)، بخلاف القرآن. ثم إنه معجز في نفسه، لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله، ففيه دعوة الرسول، وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته وفيه ما جاء به الرسول، وهو نفسه برهان على ما جاء به...

ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر، فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء - لا يستقل بنفسه - غيرهِ(١٣٣).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) - **رحمه الله-:**

"جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدًا، وأمينًا، وحاكمً عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) (

ويقول ابن سعدي (ت: ١٣٧٦هـ) - **رحمه الله- في محض كلامه عن القرآن في هذه الآية:**

".....وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل(١٣٤)، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه.....". (١٣٥).

١٣٢- في إنجيل متى أن المسيح قال لتلاميذه: ((لا تحسبوا أني جئت لأَحُلَّ الناموس والأنبياء، إني لم آت لأُحل، لكن لأتمم الحق أقول لكم أنه إلى أن تزول السماء والأرض لا تزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس)) متى ٥/١٧ – ١٨.

١٣٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/٤٣ – ٤٥.

١٣٤- يعني بذلك " التوراة "

١٣٥- تفسير ابن سعدي (٢٤٦) ط: ابن الجوزي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السماوية

لهيمنة القرآن على كتب الله المنزلة قبله –فوق مظاهر متعددة من أبينها ما يلي:

١– أن الله تعالى أخبر في القرآن الكريم بتحريف هذه الكتب وتبديلها، وأنها لم تبق على ما كان مفروضًا فيها من الثقة بها وحقية كل ما فيها، بل تناولتها أيدي أهل الكتاب الآثمة بالتحريف والتبديل، وتناولوا ما بقي منها بالتأويل الفاسد، طبقًا للأهواء والشهوات، أو متابعة لذوي السلطان، أو محاولة لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم، بل أخبر كذلك أنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها إلى الله زورًا وبهتانًا: قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة :٧٩).

٢– لقد بين الله في كتابه الكريم المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق واختلفوا فيها.

ففي جانب العقائد –على سبيل المثال– نفى ما صرّحت به الأناجيل من قتل عيسى عليه السلام وصلبه فقال: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} (النساء: ١٥٧) وحكم على النصارى بالكفر لقولهم بالتثليث وألوهية المسيح فقال سبحانه: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المائدة: ٧٢–٧٣).

أما التوراة فإنها تنسب إلى الله –تعالى– كثيرًا من النقائص التي جاء في القرآن دحضها وإبطالها، وتصوره المراجع الإسرائيلية الحالية كالتوراة والتلمود بصورة بشرية محضة، فهو: "يحب ريح الشواء، ويتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها، ويصارع عباده ويصارعونه، ويندم على خلق الإنسان، ويمشي على رجليه حتى يصيبه التعب والكلال، فيجلس للراحة في ظل شجرة"، يحدث سفر التكوين: "أن إبراهيم رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده". (١٣٦)

وتقول التوراة الحالية: "فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله". (١٣٧)

١٣٦– يُنظر: سفر التكوين إصحاح: (١٨: ١– ٢٨).

١٣٧– سفر التكوين إصحاح: (٢: ١– ٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} (ق: ٣٨) فكيف تصفه كتبهم بالتعب والكلال؟!!.

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (الإسراء: ٤٣).

ولقد أخبر الله في كتابه أنهم نسبوا إليه الولد، كما وصفه اليهود المعاصرون بالفقر والبخل وغل اليد ثم أنكر الله عليه ذلك بالإبطال والدحض، قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ}. (التوبة: ٣٠)

وقال سبحانه: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}. (آل عمران: ١٨١)

وقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... }. (المائدة: ٦٤)

٣- كما بين كثيرًا من المسائل التي أخفوها، أو حاولوا إخفاءها، فمن ذلك أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها (قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه -وإذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور والحساب والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن- فإن ذلك يدل على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصل به من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب). (١٣٨)

ومن ذلك أيضًا إخفاؤهم ما يتصل بخاتم الرسل من بشائر ونعوت وتحريفهم لها بالحذف أو بالتأويل الفاسد، فجاءهم الله بالحق في ذلك كله فقال سبحانه: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} (المائدة: ١٥).

ولا ينافي ما تقدم من أن الله قد أنهى العمل بما سبق القرآن من كتب، أنه أقر كثير من أحكامها ولم يتناوله بنسخ، لأنه أمر بهذه الأحكام وأقرها من جديد، فعملنا بها ليس متابعة لهذه الكتب بل لإقرار الله لها في كتابه وأمره بها (لأن هيمنة القرآن على غيره واستئنافه للتشريع، لا يكون بالتقليد لغيره، بل بالإقرار الجديد وإن كان موافقًا أحيانًا لما سبقه، وهذا معنى قوله تعالى لرسوله: {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} (المائدة: ٤٨)، بمعنى بما أنزل عليك، وقد أنزل عليه كل ما في شريعة الإسلام ونسخ به كل ما سبقه {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}. (المائدة:٤٨) (١٣٩)

١٣٨- يُنظر: الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي: (ص: ٢٩).

١٣٩- يُنظر: (في رياض القرآن) للشيخ عبد اللطيف السبكي: (ص: ٩٠.)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وطريق الجمع بين الآيات أن يقال: "إن كل آية دلت على اتحاد الشرائع فهي محمولة على مقاصد الدين وأصول العبادات، وأما الآيات الدالة على اختلافها فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات، فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء". (١٤٠)

وبذلك يزول ما قد يبدو من تعارض بين آيات القرآن الكريم الذي لا يختلف ولا يتعارض ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه: {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت:٤٢).

ويترتب على ما تقدم من هيمنة القرآن على ما بين يديه من كتب الله، أننا لا نقبل من هذه الكتب التي وصلت إلينا إلا ما جاء القرآن مصدقًا له، فكل رواية صدّقها القرآن فهي مقبولة ويجب علينا تصديقها يقينًا، وكل رواية كذبها الله في القرآن فهي مردودة يقينًا ويجب علينا تكذيبها كذلك، وما سُكِتَ عن تصديقه أو تكذيبه في القرآن، لا نصدقه ولا نكذبه، بل نسكت عنه، لأن القرآن الكريم -كما أسلفنا- هو الحكم والمهيمن على كل الكتب السابقة، وكفى به شاهدًا ودليلًا. (١٤١)

والقرآن مهيمن لأنه: "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ اَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْاَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْاَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ اِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: (اِنَّا سَمِعْنَا قُرْانًا عَجَبًا) (الجن:١-٢)، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ اُجِرَ، وَمَنْ دَعَا اِلَيْهِ هُدِيَ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". (١٤٢)

١٤٠- يُنظر: الفتوحات الإلهية ٤٩٨/١.

١٤١- يُنظر: تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، إبراهيم عبد الحميد سلامة :(ص: ٨٥-٨٨) نسخة المكتبة الشاملة الحديثة. بتصرف.

١٤٢- وهو حديث منكر، رواه الترمذي وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي أوله: قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله....."،،وفي نهايته".....خُذْهَا اِلَيْكَ يَا اَعْوَرُ":رواه الترمذي(٢٩٠٨) والدارمي(٤٣٥/٢) والبغوي في شرح السنة(١١٨١).فيه الحارث الأعور الجمهور على توهينه، والصحيح أنه موقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.وأخرجه من طريق أخرى الطبراني في الكبير (١٦٠/٨٤/٢٠)،وفي مسند الشاميين (٢٢٠٦)وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٥)من طريق أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك، قاله (الهيثمي في المجمع ١٦٥/٧).

الفصل الثاني أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم
من جهة: " أبرز أوجه إعجازه "

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: القرآن معجز بلفظه ومتحدى به

وفيه مطالب:

المطلب الأول: أول ملامح التحدي تعرضًا في القرآن

المعجزة ([١٤٣])من الفعل أعجز وهو فعل مزيد بالهمزة وأكسبته الزيادة التعدي إلى مفعول به، فأصبح الإعجاز واقعًا على فرد أو أفراد أو غير ذلك، فعندما تستخدم الكلمة في سياق إعجاز القرآن وقعت على الجن والإنس كافة، ولعل آيات التحدي هي التي رسخت قضية الإعجاز التي ناقشها المكذبون ربما قبل أن يرد التعرض لها في القرآن تعرضًا، في قوله تعالى: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)) (المدثر:١٨- ٢٥)، وقد نزلت في الوليد بن المغيرة.

فإن الركون في الكلام المذكور هنا إلى تصنيف القرآن الكريم في إطار السحر لهو اعتراف صريح بخروجه على المألوف من كلام البشر، ولعل هذا هو الذي دعاه إلى تأكيد الزعم بأنه من كلام البشر، نذكر هذا للائتناس بهذا القول المذكور الذي يحاول صاحبه تفنيد الخصوصية والتفوق والرقي والسمو الذي لمسوه واقعًا فعليًا في النص القرآني، ولكننا ننبه أيضًا إلى أننا لا نقبل بحال ما

وهذا الأثر يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله عدة طرق، وبمجموع طرقه يرتقي لدرجة الحسن، والموقوف قد يُتَسَاهل فيه ما لا يُتساهل في المرفوع؛ لأن الهمم لا تتوافر على نقله كما هو الشأن في المرفوع، ولأن مقامه في الاحتجاج دون المرفوع.

١٤٣- سيؤجل الباحث بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة ودلالاتهما في اللغة والاصطلاح عند الكلام على تعريف الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني بإذن الله.

ذهب إليه بعض المفكرين المحدثين من أن الفهم السائد للإعجاز قبل المعتزلة كان " استمرارًا لما كان سائدًا من قبل، أي منذ، وصفت قريش القرآن بأنه سحر يؤثر". (١٤٤)، فلم يكن هذا هو تلقي من آمنوا بالقرآن، ولكنه كان تصنيف من ترددوا في تصنيفه لأنه غير متوافق مع أي استعمال لغوي عرفوه.

المطلب الثاني: تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم

وقد ظهرت قضية الإعجاز في آيات التحدي، وقد اعتاد المفسرون ومؤلفو كتب علوم القرآن الإشارة إلى تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم، وطيب لهم دائمًا الإشارة إلى تدرج التحدي من التحدي بأن يأتوا بمثل القرآن، إلى التحدي بأن يأتوا بعشر سور من مثله، إلى التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة، مستشهدين في ذلك بآية سورة الإسراء ثم آية سورة هود ثم آية سورة البقرة، فهذه الآيات الثلاث يتحقق بها الترتيب التنازلي وفق ترتيب النزول، والحقيقة أن هذه المستويات متداخلة في ترتيب نزولها؛ ذلك لأن آيات التحدي وفق ما ذهبوا إليه لا تقتصر على هذه الآيات الثلاث، بل هناك آيتا سورة الطور وسورة يونس، وإذا نظرنا رؤية استقرائية شاملة للآيات الخمس وجدنا أن التدرج من الأعلى إلى الأدنى ليس تدرجًا صارمًا لا تداخل فيه، الأمر الذي جعل بعض المتعرضين لآيات التحدي من المسلمين يتغاضون عن الإشارة إلى بعض الآيات التي ربما توهم بشيء من عدم الاطراد في الترتيب التنازلي في التحدي من الأعلى إلى الأدنى، فذكر آيات سور: الإسراء للتدليل على التحدي بالقرآن كله، ثم ذكر آية سورة هود للتدليل على المستوى الثاني التحدي بعشر سور، ثم ذكر آية سورة البقرة التي جاء فيها التحدي بسورة واحدة، وهو المستوى الثالث(١٤٥)، ولعل الذي دفع إلى هذا هو حساسية التعرض للتداخل في ترتيب النزول بين آيات التحدي، ولكن الحقيقة أن هذه رؤية عقل بشري قد تخطئ وقد تصيب، فلعل فكرة الترتيب التنازلي قد راقت لهم، ثم لعلها قادتهم إلى التغاضي عن الاستقصاء أو إلى التغاضي عن الإشارة إلى التداخل بين هذه المستويات.

١٤٤- د. محمد عبد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ط١ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦م: (ص: ١٨٥).

١٤٥- د. حلمي محمد القاعود: مدخل إلى البلاغة القرآنية، ط١ دار النشر الدولي، الرياض ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م ص ١٦٧.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الأمر نفسه جعل بعض المعترضين المتشككين يتغاضون ـ بدورهم ـ عن الاستقصاء في استقراء ترتيب النزول للسور التي جاءت فيها آيات التحدي، فانطلقوا بالمنحى الانتقائي المضاد للمنحى الانتقائي الأول، واكتفوا بذكر بعض آيات محاولين إثبات أن الترتيب جاء تصاعديًا وليس تنازليًا، أي بدأ بالتحدي بسورة ثم بعشر سور ثم بالقرآن كله، بل اختلقوا ترتيبًا ظنيًا لا نبرؤه من العَمْد، نتبين ذلك بالوقوف عند نموذج من العرض لبعض أصحاب هذا الاتجاه المضاد لآيات التحدي جاء فيه: أن آية سور الطور (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا) (الطور: ٣٤)

هي أول ما نزل من آيات التحدي، ثم رأى فيها إمكان أن يأتوا بحديث مثله مستندًا إلى أن إطلاق الحديث يترتب عليه إمكان أن يأتوا به؛ لأنه يتحقق في الآية والآيتين، ثم يخلص إلى أن " تحديهم بأن يأتوا بحديث مثله غير صحيح ولا مأمون فيه سوء العاقبة، فلذا عدل عنه محمد متدرجًا في التحدي إلى ما هو أعلى من ذلك، فجاء بالآية

الثانية: (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (يونس: ٣٨)، ولم يقف عند هذا الحد حتى جعلها عشر سور، ثم ارتقى إلى ما يقتضيه التحدي الصحيح الذي يتعذر أو يستحيل عادة أن يجيبه إليه أحد، وهو تحديهم بأن يأتوا بمثل القرآن من دون قيد بحديث أو سورة كما قال في الآية الأخرى (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ) (الإسراء: ٨٨)، وهذا هو التحدي الذي ترجع فيه المعارضة خائبة خاسرة بلا شك ولا ريب، ولذا نراه يتكلم بجراءة واطمئنان واثقًا بعجزهم عما يريد منهم، حتى أنه لم يتحد الإنس وحدهم بل جعل الجن لهم معاونين تهويلًا عليهم وتأكيدًا لعجزهم(١٤٦)

والغريب أن المتحدث هنا لم يهتم بالبحث في ترتيب النزول، ولا اهتم بالرجوع إلى المراجع التي تعرضت له، على الرغم من رجوعه إلى بعض هذه المراجع في كتابه المذكور ومنها كتاب الإتقان للسيوطي(١٤٧)،والبرهان للزركشي(١٤٨)

، ثم إن الغريب الغريب أيضًا أن العرض الذي عمد إلى ذكر ثلاث آيات فقط، وهي آيات:(الإسراء وهود والبقرة) متوافق، لا نقول مع ترتيب السيوطي، بل متوافق مع ترتيب المستشرقين، وذلك في الترتيب الذي قام به "نولدكة" وأخذ به "بلاشير" في ترجمته لمعاني القرآن(١٤٩).

---

١٤٦ – معروف الرصافي: الشخصية المحمدية، أو حل اللغز المقدس، ط١ منشورات الجمل، ألمانيا ٢٠٠٢م، (ص:٦٠٧-٦٠٨).

١٤٧– السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ جـ ١ ص ١٥

١٤٨– الزركشي (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٧م

١٤٩ – بلاشير: ترجمة معاني القرآن، صدر على ثلاثة أجزاء ١٩٤٧، ١٩٤٩، ١٩٥٠ م

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعل في هذا مالا يحوجنا إلى رد أو مناقشة هذا الزعم، فهو محض هراء؛

لأن الحقيقة التي لا جدال فيها أن الإسراء نزلت أولًا ثم نزلت هود ثم نزلت البقرة، وهذا النزول يتحقق به الترتيب التنازلي في التحدي، وفقما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول. ولكننا نود أن ندع هذا الاستقراء الناقص في الرؤيتين السابقتين لنعمد إلى تدبر ملمح آخر يتحدد في التداخل في ترتيب النزول بين آيات التحدي والترتيب التنازلي في التحدي نعتمد فيه على رؤية الآيات جميعها ونتجاوز الرؤية الانتقائية،

المطلب الثالث: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب كم المتحدَّى

ولعلنا لسنا بحاجة إلى إيضاح أن المقصود بالترتيب التنازلي هو الترتيب المستند على الكم المتحدَّى به من الأكثر إلى الأقل، وهذا الترتيب التنازلي كما ذكرنا له ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقد جاء هذا المستوى في سورتي: الإسراء والطور.

المستوى الثاني: التحدي بأن يأتوا بعشر سور من مثله، وقد جاء في سورة هود.

المستوى الثالث: التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله، وقد جاء في سورتي يونس والبقرة.

ووفقًا للترتيب التنازلي نرى تداخلًا في ترتيب النزول؛ لأن الترتيب التنازلي يقتضي أن يكون المستوى الأول هو الأسبق في زمن النزول، ثم يتلوه المستوى الثاني، ثم يتلوه المستوى الثالث، ولكن الحقيقة أن ترتيب النزول يقول غير ذلك، فترتيب النزول للسور السابق ذكرها في مستويات التحدي هي وفق ترتيب النزول: الإسراء ثم يونس ثم هود ثم الطور ثم البقرة. والله قد تحداهم في سورة يونس بسورة واحدة في قوله سبحانه: (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (يونس: ٣٨)، وتحداهم بعشر سور في سورة هود بقوله سبحانه: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (هود:١٣)، والذي يظهر أن التحدي بسورة واحدة الذي في يونس متقدم نزولًا، وأن التحدي بعشر سور الذي في هود متأخر نزلًا فهي تلي يونس نزولاً وقبلهما الإسراء. فالترتيب الذي قال به بعض المفسرين وتبعهم عليه بعض الباحثين كذلك يفتقر إلى بينة واضحة وحجة داحضة.

والبعض الآخر من الباحثين وقف تجاه ترتيب نزول آيات التحدي موقف التقليد لمن سبق دون دليل واضح أو برهان ساطع.

المطلب الرابع: شمولية إعجاز القرآن

"ولما كان القرآن المعجزة الخالدة الكبرى؛ كان الحديث عن إعجاز القرآن من أهم الأبحاث المتعلقة بالقرآن وآدابه وعلومه، وهو لبها وجوهرها، وأساسها وعمدتها، على أن الحديث عن الإعجاز ضرب من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سرّ منه، حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سرّ إعجازها الزمن، فهو كما يقول الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ): وما أشبه القرآن الكريم- في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه- بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثًا وتفتيشًا، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقًا(١٥٠) جديدًا، ومرامًا بعيدًا، وصعبًا شديدًا، وإنما بلغوا منه- إذ بلغوا- نزرا تهيأت لضعفه أسبابه، وقليلًا عرف لقلته حسابه، وبقي ما وراء ذلك من الأمر المتعذر الذي وقفت عنده الأعذار، والابتغاء المعجز الذي انحط عنده قدر الإنسان، لأنه مما سمت به الأقدار.(١٥١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: (وإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤١-٤٢)". (١٥٢).

والقرآن هو المعجزة الخالدة التي أظهرها الله تعالى وأيد بها خاتم أنبيائه ورسله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تأييدًا له في دعواه وإثباتًا لنبوته وصدق رسالته، فقد ثبت عند البخاريّ منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ

١٥٠- ومقصود الرافعي – رحمه الله- من كلمة "خلقًا" يعني بها أنه متجدد العطاء فهو لا يبلي ولا يخلق عن كثرة الرد، وعلى العموم: فإن أهل السنة على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ونحو ذلك، وعليه جرى التنبيه. الباحث.

١٥١- سئل شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: عن حكم قولهم: تدخل القدر؟ وتدخلت عناية الله؟

فأجاب بقوله: تدخل القدر " لا تصلح لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفل على الأمر، مع أنه أي القدر هو الأصل فكيف يقال تدخل؟

والأصح أن يقال: ولكن نزل القضاء والقدر أو غلب القدر ونحو ذلك، ومثل ذلك " تدخلت عناية الله " الأولى إبدالها بكلمة حصلت عناية الله، أو اقتضت عناية الله.

المصدر: فتاوى فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في العقيدة ٢-٢ ص١٤٦٩. انتهى

والأولى أن يُقال قدر الله كذا، وقضى الله كذا. الباحث.

١٥٢- إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٥٧).

مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (١٥٣)

وقوله:(وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ)، " اختُلِفَ فيه على أقوال؛

أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال أنا أكثرهم تابعًا....."...

والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع بلوغ كمال الإعجاز في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة".(١٥٤)

وهذا المعنى الأخير هو الأظهر

"....وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده، وقيل المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًا". (١٥٥)

و " صدق بتلك الآيات لإعجازها لمن شاهدها، كقلب العصا حية، وفلق البحر لموسى عليه السلام، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، وكان الذي أعطيته أنا وحيًا أوحاه الله إليَّ فكان آية باقية دُعي إلى الإتيان بها أهل التعاطي له، ومن نزل بلسانهم، فعجزوا عنه، ثم بقي آية ماثلة للعقول إلى من يأتي إلى يوم القيامة، يرون إعجاز الناس عنه رأي العين والآيات

١٥٣-أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث (٤٩٨١). و مسلم – في كتاب الإيمان حديث (١٥٢).

١٥٤- شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٣٦٤). بتصرف يسير من الباحث.

١٥٥-الفتح: (٩/ ٧).

التي أوتيها غيره من الأنبياء قبله رُئي إعجازهم في زمانهم، ثم لم تصحبهم مدة إلا حياتهم، وانقطعت بوفاتهم، وكان القرآن باقيًا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. (١٥٦)

وقد تحدى الله تعالى الخلق قاطبة أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم ثانية بعدها أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم ثالثة بعدها أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، ثم تحداهم رابعة بعدها أن يأتوا بحديث مثله فعجزوا. وترتيب التحدي هنا غير مقصود البتة، وقد مضى معنا الكلام بإيضاح وبيان حول تريب آيات التحدي.

والقرآن قد نزل على أمة أمية، إلا أن بضاعتها وحرفتها وصنعتها كانت في اللغة التي تتكلم بها، فكانوا هم أرباب الكلمة وأهل تذوقها، وهم أربابها وأصحابها, فلما بعث الله فيهم رسولًا منهم، وجعل معجزته فيما يتقنونه ويحذقون صناعته وسباكته، تحداهم في صناعتهم وحرفتهم تلك، وفيما برِزوا فيه، وما فيما يدركون تمام الإدراك.

فجاءهم الله تعالى بكلامه، الذي هو أبلغ من أي كلام بليغ، وأفصح من أي كلام فصيح، ولا يرتقي لبلاغته أي بيان، ولا يستطيع النطق بمثله أفصح لسان، وهو يُتلى عليهم ليلًا ونهارًا، يسمعون آياته التي حوت البلاغة وفنونها، وحزت الفصاحة كلها.

فجاءهم بما لا قبل لهم بتكذيبه ولا إنكاره، ولا قدرة لهم الإتيان بمثله أو بعض منه، فقد أتاهم بكلام الله العظيم الذي لا يملكون إلا الإذعان والانقياد والتسليم إلى أنه:

(فصلت: ٤٢). لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ))

ومن أظهر أدلة إثبات نُبُوَّته صلَّى الله عليه وسلَّم، معجزة "القرآن"، ونبوته بُنِيَتْ على تلك المعجِزة، وهي مُعجِزة عامَّة لعموم الثَّقَلَيْن، وهي معجزة باقية بقاءَ الدهر، ولُزُوم الحجَّة بالقرآن باقية مِن أوَّل نزوله إلى قيام الساعة.

قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ) (التوبة:٦).

فلولا أنَّ سماع القرآن يُعَدُّ حجَّةً على سامِعِه لم يُوقف الله تعالى أمْر المشْرك على سماعه، ولا يمكن أن يكون القرآن حجَّةً إلَّا إذا كان معجزة كذلك.

"ونواحي الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة، ولها مؤلفات خاصة يطول ذكرها...، وهي في الجملة ترجع إلى فصاحة ألفاظه، وبلاغة أساليبه، وخفَّته على اللسان، وحسن وقعه على السمع، وأخذه بمجامع القلوب، وإخباره بأمور غيبية – ماضية أو مستقبلة – واشتماله على الأخلاق السامية،

١٥٦- شرح صحيح البخاري لابن بطال: (١٠/ ٣٣٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

والشريعة الكاملة العادلة الصالحة لكل زمان ومكان، وسلامته من التعارض والتناقض، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء:٨٢)، وإذا كان القرآن معجزًا للعرب باعتبار أنه نزل بلغتِهم، فكيف يكون إعجازه بالنسبة لغير العرب؟!

نقول: إنه مُعجِز للبشر جميعًا بنواحٍ مختلفة، كما سبق، فهو معجز بما تضمَّنه من الحقائق الثابتة، والتوجيهات السديدة، والأغراض السامية، والمقاصد النبيلة، والإخبار بالأمور الغيبية التي لا تستقل العقول بإدراكها....". (١٥٧)

وعند الكلام عن إعجاز القرآن قد ينصرف الذهن إلى بعض جوانب إعجازه فحسب، دون أن يولي جميع أوجه الإعجاز العناية من البحث والتنقيب والاطلاع، والمتأمل في هذا الجانب العظيم والمتبصر بما أولاه وأملاه أعلام الإسلام السابقين، يرى عنايتهم بهذا الجانب أيما عناية، وأنهم أولوه خصوصية في البحث والتصنيف، وذلك لعظم شأنه ولكونه يبرز أهم أوجه إعجاز القرآن ويبرهن للأجيال عبر الأجيال أنه كلام الله الذي: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِ.....) (فصلت: من آية: ٤٢) وذلك أيضًا لأنه: (....تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: من آية: ٤٢)

وحول شمولية إعجاز القرآن يسطر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) كلمات موجزات واضحات بينات فيقول – رحمه الله–:

"وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط (١٥٨)، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن

١٥٧- يُنظر: أصول الفقه الميسر، للدكتور شعبان محمد إسماعيل: (ص:٨٢).

١٥٨- **تنبيه من الأهمية بمكان:** إلى أن شيخ الإسلام لا يقول بالصَّرْفَةِ، وبل هو ممن يقول ببطلانها، وكلامه هنا بمثابة حكاية الحال، والله أعلم.

يقول رحمه الله في "الجواب الصحيح":

"ومن أضعف الأقوالِ – أي في إعجاز القرآن – قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبًا عامًا، مثل قوله تعالى لزكريا: (... آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا) (مريم: ١٠) وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل". يُنظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٢٩/٥).

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية آنفًا يدل على أنه يرد القول بالصَّرْفَة ولا يقبله، بل ويعتبره من أضعف ما قيل في بيان أوجه الإعجاز، وهو في ضوء كلامه آنفًا لا يقبله إلا على سبيل التنزل مع المخالف.

جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك.

ومن جهة معانيه، التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى:

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (الإسراء: ٨٩).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} (الكهف: ٥٤).

وقال:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ - قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٧ - ٢٨]. وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له". (١٥٩)

"أما ألفاظ هذا الكتاب الكريم، فهي كيفما أدرتها وكيفما تأملتَها وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها ومن أي جهة وافقتها؛ فإنك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام العذب؛ وتراها تتساير إلى غاية واحدة، وتسنَح في معرض واحد، ولا يمنعها اختلاف حروفها وتباين معانيها وتعدد مواقعها من أن تكون جوهرًا واحدًا في الطبع والصقل، وفي الماء والرونق؛ كأنما تتلامح بروح حية ما هو إلا أن تتصل بها حتى تمتزج بروحك وتخالِطَ إحساسك فلن تكون معها إلا على حالة واحدة.

تختلف الألفاظ ولا تراها إلا متفقة، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان وتنتقل في منازل البلاغة، وأنت لا تعرف منها إلا روحًا تداخلُك بما حوته من بلاغة ومعاني، وتُشرِب قلبكَ الروعة، وتنتزع من نفسك حس الاختلاف الذي طالما تدبرت به سائر الكلام، وتصحفت

ولذا قال في محض كلامه: (فهذا غاية التنزل، وإلا فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد صلى الله عليه وسلم نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وسائر كلامه لكل من له أدنى تدبر...). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٢٩/٥).

وينظر أيضًا: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، "جَنَى الخُرْفَةِ في إبطالِ القولِ بالصَّرْفةِ، بحث منشور بمجلة محكمة، مجلة البحوث الإسلامية العدد الستون، صفر١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ": (٤٩). الباحث.

١٥٩- الجواب الصحيح: (٥/ ٤٢٩-٤٣٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

به على البلغاء في ألوان خطابهم وأساليب كلامهم وطبقات نظامهم، مما يعلو ويسفلُ، أو يستمر وينتقض، أو يأتلف ويختلف... إلى غيرها من آثار الطباع الإنسانية فيما يعتريها من نقص أو كلال أو غفلة، ومما هو صورة في الكلام لوجوه اختلافها بالقوة والضعف في أصل الخلقةِ وطريقةِ النشأة.....". (١٦٠)

ولا شك في بقاء إعجاز القرآن، وبقاء إعجازه دليلٌ على بقاء تلك الرسالة الخاتمة، وأنها رسالة لعموم البشَر، وبقاء تلك الرسالة الخاتمة بقاءٌ لتلك الشريعة الخالدة، فهي إذًا شريعة خاتمة خالدة. **والحمد لله رب العالمين.**

المبحث الثاني: الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني

وفيه خمسة مطالب:

التجاوز والتوسع في أوجه إعجاز القرآن

ذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه إعجاز القرآن غير محصورة في الإعجاز البياني –وإن كان أهمها – بل هناك وجوه أخرى للإعجاز وذلك : كالإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي،(١٦١) والإعجاز الغيبي، والإعجاز التأثيري، وهؤلاء اختلفت آراءهم وتباينت في عدد وجوه الإعجاز — وإن اتفقوا على وجه الإعجاز البياني –، فالخطابي مثلاً يرى أن الإعجاز يقع في وجهين، والباقلاني في ثلاثة أوجه، والرماني في سبعة أوجه (١٦٢)، والسيوطي أوصلها إلى خمسة وثلاثين وجهًا، وذكر أن بعضهم أوصلها إلى ثمانين وجهًا، ورجح أنه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن الكريم (١٦٣)، والزرقاني

١٦٠–إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: (ص: ١٦٦). بتصرف يسير

١٦١ – سيأتي معنا في طيات البحث الكلام عما يسمى بـ"الإعجاز العلمي" وأقوال العلماء فيه بشيء من التحقيق.

(١٦٢) يُنظر: مباحث في علوم القرآن. للقطان ص/ ٢٦٨. مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

(١٦٣) يُنظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي ١/٥. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٣.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أوصلها إلى آلاف المعجزات باعتبار أن كل آية أو أكثر بمقدار سورة الكوثر فهي معجزة بحد ذاتها، إضافة إلى وجوه الإعجاز الأخرى (١٦٤).

وهذا الكلام فيه توسع بين، ولا يؤخذ على إطلاقه، فقد توسع الكثير ولاسيما في الزمن الحاضر في أنواع الإعجاز ولاسيما باب ما يُسمى بالإعجاز العلمي، وزادوا أشياء لا علاقة لها بالتفسير كذلك كالإعجاز المسمى بالإعجاز الرقمي، وكل إعجاز ليس على طريقة تناول السلف للتفسير لا يُعد تفسيرًا أبدًا، كما أنه لا يحق لأحد أن يُخضع كلام الله لتجارب البشر بحجة أن هذا إعجاز علمي، فتجارب البشر قد تصيب وقد تخطيء، كما أنه قد يتراجع عنها أصحابُها، والخطأ حين ذلك سيُنسب للقرآن غالبًا.

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة

الإعجاز لغة:

"أعجز: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء " (١٦٥) والإعجاز مصدر للفعل (أعجز) **وهذا اللفظ يأتي في اللغة بعدة معانٍ:**

منها: الفوت والسبق، تقول: أعجزه الشيء، **أي:** فاته، وذلك كقوله تعالى: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ] {فاطر:٤٤}، " أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائنًا ما كان فيهما " (١٦٦).

ومنها: التضعيف والتوهين، أي: إضعاف الخصم سواء في الأقوال أو الأفعال، **قال الرازي:** " والعجزُ الضُّعف" (١٦٧)، وذلك كقوله تعالى في خبر ندم قابيل: [أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا

---

(١٦٤) يُنظر: مناهل العرفان ٢/٢٣٢، ٢٣٥ وما بعدها. مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

(١٦٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس , ص/ ٧٣٨. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

(١٦٦) فتح القدير، للشوكاني ٤/٣٥٦.

(١٦٧) مختار الصحاح, ص/٤١٣. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي] {المائدة:٣١}، أي: أضعفت أن أستر جثة أخي (١٦٨)، (قلت): ولذلك أطلق على المرأة المسنة الهرمة لفظ:(عجوز)، لعجزها وضعفها عن الحمل والإنجاب وعن كثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها، قال تعالى: [قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ] {هود:٧٢}.

ومنها: التثبيط والنسبة إلى العجز، تقول: عجَّزه تعجيزًا إذا ثبطه أو نسبه إلى العجز، وذلك كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ] {الحج:٥١}، أي:

ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج" (١٦٩) (قلت): بمعنى، أنهم نسبوا إليه سبحانه العجز في بعثهم وحسابهم وعذابهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة

المعجزة لغة: المعجزة لغة اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أَعجزت الخصمَ، أو: أُعجز بها الخصمُ عند التحدي، والهاء للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله ولم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له.(١٧٠).

تنبيه هام جدًا:

سيأتي معنا بيان شرط التحدي في تعريف المعجزة، وأنه من كلام الأشاعرة ومن نحى نحوهم في تعريفها، وهذا الشرط خارج عن تعريف أهل السنة.

---

(١٦٨) يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني ١/٣٣٩.

(١٦٩) فتح القدير، للشوكاني ٣/٤٦٠.

(١٧٠) انظر: لسان العرب لابن منظور ٦/٩٧، ٩٨، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ٢/١٨٠، ٨١، ومختار الصحاح للرازي ص/ ٤١٣،٤١٤، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/ ٧٣٨، ٧٣٩.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا

أ- المعجزة اصطلاحًا: للعلماء تعريفات عديدة للمعجزة، منها المقتضب، ومنها ما هو أكثر منه، وما يعنينا هو تعريفها عند أهل هي السنة.

مفهوم المعجزة عند أهل هي السنة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله-:

هي: " الدلائل والأعلام التي تدل على صدق النبي وأنه مرسل من عند الله تعالى، وصفتها التي تمتاز بها هي عجز الإنس والجن عنها لأنهما المخاطبان بالرسالة ". (١٧١) **ومن خلال التعريف نبين ما يلي:**

١- الأولى في تسمية المعجزة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) - رحمه الله-:

"وتسميتها آية وبرهانًا أولى من تسميتها معجزة أو أمرًا خارقًا، لأن التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من غيرها، ولأن التعبير بالاصطلاحات الحادثة قد أوجب غلطًا كثيرًا وإيهامًا حيث يدخل فيها الحق والباطل ".(١٧٢)

والمعجزة: قد تسمى إضافة لما مضى ذكره "سلطانًا وبينة"، وأما تسميتها: بـ"آية" فهو المسمى الغالب استعماله في وحيي التنزيل-الكتاب والسنة-.

٢ - الإحداث في تسمية المعجزة:

وأما تسمية "المعجزة" بهذا اللفظ عوضًا عن المسمى الصحيح الثابت في وحيي التنزيل فإنما الذي أحدثه هم مبتدعة أهل الكلام والجدل، وهو كما أخبر شيخ الإسلام بأنه تعريف حادث، وهو بخلاف ما عليه المتقدمون، والحقيقة نقول: إنه ليس كل ما شاع وانتشر استعماله فهو حق وصواب.

١٧١- النبوات: (٢/٩٨٤،٨٦٤،٧٧٨). النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.

١٧٢-المرجع السابق: (٢/٨٦٧،٨٢٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣-الآيات من أجل مقاصدها تصديق وتأييد من أتى بها في دعواه

والتحدي ليس بمقصود في تلك الآيات، وإنما المقصود هو تأييد من ظهرت على يديه تلك الآيات تصديقًا له في دعواه وهو النبي أو الرسول.

٤- خاصية قصد التحدي بالقرآن

وأما القرآن الذي هو الآية العظمى الدالة على صدق نبوة النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم-، فهي آية قصد بها التحدي المقرون بالدلالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

٥- دلائل إعجاز القرآن

وأما دلائل إعجاز القرآن فهي دالة كذلك على صدق نبوة من نزل عليه القرآن، وليست من الدلائل والآيات التي قُصِد بها التحدي، كآيات وسور القرآن، كما هو معلوم.

والمعجزة: " قد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد". (١٧٣)،وهذا التعريف موافق لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **- رحمه الله-:**

" قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة ". (١٧٤)

تسمية المعجزة:

أما عند أهل هي السنة فهي:

الآية والدليل والبرهان والسلطان والبينة، وتسميتها آية أكثر استعمالًا في وحيي التنزيل.

وأما عند المعتزلة وأهل الكلام فهي: المعجزة

وأما الأشاعرة فقد انطلقوا من مصطلح « المعجزة » المفسر عنهم بخرق العادة، وزادوا قيودًا على هذا التفسير قصدوا بها تمييز المعجزة عن غيرها، وقد اختلفوا في ذلك اختلافًا واسعًا.

١٧٣- يُنظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر: (١٢١).

١٧٤- مجموع الفتاوى/المجلد الحادي عشر/قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي محض الكلام عن أقوال متقدمي الأشاعرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

" هي الفعل الخارق للعادة المقترن بدعوى النبوة والاستدلال به وتحدي النبي من دعاهم أن يأتي بمثله وشرط بعضهم أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه، هذه الأربعة هي التي شرط القاضي أبو بكر(الباقلاني) ومن سلك مسلكه ". (١٧٥)

وقال د. فضل عباس: " المعجزة في الاصطلاح هي ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم"(١٧٦).

وهذا التعريف في نظر الباحث القاصر من أسلم التعاريف، وهو موافق كذلك لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي، غير إنه قد سمَّاها معجزة.

وقال الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ) **– رحمه الله–:**

"المعجزة: هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقهُ الله تعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه"(١٧٧).

(قلت): غير أن معجزة القرآن ليست مخلوقة فالقرآن الكريم كلام الله ﷻ وصفته، ومن الأولى أن يُقال(يُظهره) بدلًا عن قوله: (يخلقهُ).

و**الزرقاني** قد أحسن في تعريفه هذا، وهو لم يذكر فيه التحدي صراحة، ولكن لوح به ولمح وأشار إليه، وذكر العجز عن الإتيان بمثله وكونه خارقًا للعادة، والمقصود الأول من المعجزة هو تصديق من أظهر الله المعجزة على يديه في دعواه.

وشرط كون الآية خارقة للعادة شرط لا نعلم دليلًا يدل عليه، أو أنه نقل عن أحد من السلف.

قال العلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) **– رحمهُ اللهُ–:**

"المعجزة عند أهل العلم هي أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الرسول تأييدًا له وقد سماها أكثر أهل العلم بالمعجزات، والأولى أن تسمى بالآيات التي هي العلامات على صدق الرسول وصحة ما جاء به كما سماها الله عز وجل بذلك، وهي أبين وأظهر من المعجزات أي من هذا اللفظ،

---

١٧٥ –النبوات (١/٦٠٠).

(١٧٦) إعجاز القرآن الكريم، ص/٢١.

(١٧٧) مناهل العرفان ١/٧٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فالأَولَى أن تسمي معجزات الأنبياء بآيات الأنبياء، والآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة حسية ومعنوية أرضية وأفقية أخلاقية وعملية فهي متنوعة وأعظمها وأبينها كتاب الله عز وجل كما قال الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (العنكبوي:٥٠-٥١). (١٧٨).

وحول شرط كون الآية خارقة للعادة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

"وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم...." (١٧٩)

ولربما من قال به من أهل السنة يقصد معناه من "جهة اللغة " كما مر معنا قول شيخ الإسلام، والتعريف المعني والمقصود إنما هو التعريف الاصطلاحي كما لا يخفى.

ب– الإعجاز اصطلاحًا

الإعجاز هو: إعجاز الخصوم عن معارضة الأنبياء في معجزاتهم التي أظهرها الله على أيديهم.

قال الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ) **– رحمه الله–:**

" إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"(١٨٠).

وقال الحمصي– رحمه الله–: "إعجاز القرآن: فهو كونه أمرًا خارقًا للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس لها"(١٨١).

وقال مناع القطان(ت: ١٤٢٠هـ)**– رحمه الله–:**

"والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم"(١٨٢).

١٧٨– سلسلة لقاء الباب المفتوح– المسجلة– شريط ٠٨٤ – الوجه الثاني.

١٧٩– النبوات (١٦٣/١).

(١٨٠) مناهل العرفان ٣٣١/٢.

(١٨١) فكرة إعجاز القرآن، ص/٩.

١٨٢– مباحث في علوم القرآن، ص/٢٦٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(قلت): وإعجاز القرآن: كونه خارقًا للعادة والمألوف، أظهره الله على يد نبيه ﷺ، أعجز الإنس والجن عن أن يأتوا ولو بمثل سورة قصيرة من سوره، وقد تصدى البعض لذلك كمسيلمة الكذاب ففشلوا فشلاً ذريعًا.

وقد مضى معنا كلام شيخ الإسلام حول شرط كون الآية خارقة للعادة، فلا حاجة لإعادته وتكراره.

المطلب الرابع: تعدد اتِّجاهات المفسرين في أوجه إعجاز القرآن

يقول محمد الخضر حسين(ت: ١٣٧٧هـ)– رحمه الله–:

"وللبحث في إعجاز القرآن نواحٍ كثيرة اتَّجه إليها المفسرون وعلماء البيان بتفصيل، فكشفوا الغطاء عن كثير من أسرارها، ووضعوا أيديهم على جانب عظيم من حقائقها، والناحية التي سنحدثك عنها في هذا المقال هي ناحية بلاغته وحسن بيانه.

بلاغة القول:

أن تكون ألفاظه فصيحة، ونظمُه مُحكمًا، ودلالته على المعنى منتظمة وافية.

أمَّا فصاحة ألفاظه:

فبِأَنْ يسهل جريانُها على اللسان، ويخف وقعها على السمع، ويألفها الذوق غير ناب عنها، وهي مع ذلك جاريةٌ على ما يَنطق به العَرَبُ أو يَجْرِي على قياس لغتهم.

وأمَّا إحْكامُ نَظْمِه:

فبِأَنْ تقع كلُّ كلمةٍ منه موقعها اللائق بِها، بحيثُ تكونُ كلماتُه مُتناسبةً يأخذ بعضها برقاب بعض، فلا يُمكنك أن تضع يدك على كلمة وتقول: ليت هذه الكلمة تقدَّمَتْ عن تلك الكلمة أو تأخَّرتْ عنها.

وأمَّا انتظام دلالته:

فبأن يطرق اللفظ سَمعَك فيخطر معناهُ في قلبك، وحصول المعنى في القلب بسرعة أو بعد مهلة يرجع إلى حال السامع من الذكاء أو بُطْءِ الفهم، وحال المعنى من جِهَةِ ظُهورِه وقُرْبِ مأخذِه، أو دقته وغرابته.

ويتحقَّقُ انتظامُ دلالة الكلام بإخراج المعانِي في طرقٍ تُريكها في أقوم صورة وأعلقها بالنفس، كالتشابيهِ وضرب الأمثال، والاستعارات والكنايات المصحوبة بقرائن تجعل قصد المتكلم قريبًا من فهم السامعين.

وأمَّا كون الدلالة على المعنى وافية:

فبأن يؤدي اللفظ صور المعاني التي يقصد المتكلم البليغ إفادتَها للمخاطَبين على وجه أكمل، بحيث تكون العبارة بِمُفرادتِها وأسلوبِها كالمرآة الصافية تعرِضُ عليْكَ ما أودعْتَ من المعاني، لا يفوت ذهنَكَ منها شَيْءٌ، ونريد من المعاني الَّتِي يُؤَدِّيها الكلام غَيْرَ مَنْقُوصةٍ ما يشمل المعاني التي يراعيها البليغ زائدة على المعنى الأصلي الذي يقصد كُلُّ متكلِّم إلى إفادته، وهي المعاني الَّتِي يُبْحَثُ عنْها في علم البيان، وتُسمَّى: "مستتبعات التراكيب"، وكثيرًا ما نُنَبِّهُ لَها فيما نكتب من التفسير.

هذه الوجوه التي يرجع إليها حسنُ البيان يتنافس فيها البلغاء من الكتاب والشعراء ويتفاضلون فيها، درجات، فترى كلامًا في أدنى درجة، وآخر فيما هي أرفع منها، ولا تزال تصعِّد نظرك في هذه الدرجات المتفاوتة إلى أن تصل إلى كلام يبهرك بفصاحة مفرداته، ومتانة تأليفه، وانتظام دلالته، وبهجة معانيه المالئة ما بين جوانبه.

فإذا أردنا أن نتحدث عن بلاغة القرآن، أتينا إلى البحث عنها من هذه الوجوه التي وضعناها بين يديك، فننظر في ألفاظه من جهة فصاحتها، وفي نظمه من جهة أخذ كل كلمة الموضع اللائق بها، وفي دلالته من جهة تصوير المعاني، وإيصالها إلى الأذهان من غير تعسف ولا التواء، ثم في جمله من جهة ما تحمل من المعاني التي يستدعي المقام مراعاتها.

أمَّا فصاحة مفرداته،

فلا تَمُرُّ بك كلمة منه إلا وجدتَها محكمة الوضع، خفيفة الوقع على السمع.

وأمَّا متانة نظمه،

فقد بلغت الغاية التي ليس وراءها مطلع، فلا يمكنك وأنت العارف بقوانين البيان، الناظر في منشآت البلغاء بإمعان، أن تشير إلى جملة من جمله **وتقول**: ليتها جاءت على غير هذا الوضع، أو تشير إلى كلمة من كلمها **وتقول**: لو استبدل بها كلمة أخرى لكانت الجملة أشد انسجامًا، وأصفى ديباجة.

يصل الكلمة بما يلائمها، ويعطف الجملة على ما يناسبها، ويضع الجملة معترضة بين الكلمتين المتلائمتين، أو الجملتين المتناسبتين، فترى الكلمتين أو الجملتين مع الجملة المعترضة بينهما كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، فلا يكاد الفكر يشعر بأنه انقطع بالجملة المعترضة عن الكلمة الأولى أو الجملة، ثم عاد إلى كلمة أو جملة مرتبطة بها ارتباطًا وثيقًا.

وأمَّا انتظام دلالته على ما يقصد إفادته وإحضاره في الأذهان،

فإنك ترى فيه التشابيه الرائعة، والأمثال البارعة، والاستِعارات الطريفة، والمِجازات اللَّطيفة، والكنايات المنقَطِعة النَّظير، والتعريض الذي يقتضيه المقام، فيكون أقرب إلى حسن البيان من القول الصريح.

وقد يخطر على بالك أن في القرآن آيات مشكلة، أو متشابهة، والحق الذي لا مرية فيه أنْ لا إشكال في القرآن عند مَن يتدبره بروية، ويأتي إلى التفقه فيه وقد تزود بقوانين لغة العرب، واستضاء بمعرفة فنون بيانها.

وليس في القرآن متشابه على معنى أن في الآيات ما لا يظهر تأويله للناس، بحيث يتلونه أو يستمعون إليه ولا يعودون بفائدة علمية أو أدبية.

وأمَّا استيفاؤه للمعاني التي يستدعي الحال الإفصاح عنها أو الإيماء إليها،

فإنك تنظر في الآية، وتتدبَّر المعنى الذي سيقت من أجله، فتعود منها ويدُكَ مَملوءة من الفوائد التي تَقَعُ إليْها، من حيثُ تُقَرِّرُ شريعة، أو تُقِيمُ حُجَّة، أو تلقي موعظة، أو ترسل حكمة، إلى نحو هذا مِمَّا تَستبينُ به سبيلُ الرشد، وتنتظم به شؤون الحياة، وترتفع به النفوس إلى أعلى درجات الفلاح في دُنْياها وآخِرَتِها.

بلغ القُرآن الطرف الأعلى من حسن البيان، على الرغم من أشياء اجتمعت له، ولو عرضت لكلام مخلوق لنزلت به عن المكانة العالية إلى ما هو أدنى.

ترى البليغ من البشر يحسن البيان، ويأخذك لبَّك بالمنشآت الرائقة، حتَّى إذا طال به مجال القول وقطع فيه أشواطًا واسعة، رأيت في جمله أو أبياته تفاوتًا في البراعة، وأمكنك أن تبصر فيها ضعفًا، وتستخرج بنقدك الصحيح من أواخر كلامه مآخذ أكثر مما تستخرج من أوائلها.

ولكن القرآن الكريم على طول أمده، وكثرة سوره، نزل متناسبًا في حسن بيانه كما قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر: ٢٣]، ثم قال: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء:٨٢).

وترى البليغ من البشر يخوض في فنون من الكلام متعددة، فإذا هو يرتفع في فن وينحط في آخر.

ولكنَّ بلاغة القرآن الكريم جاءت بتصرُّفٌ في فنون كثيرة؛ مثل الوعظ، وإقامة الحجج، وشرع الأحكام، والوصف، والوعد والوعيد، والقصص، والإنذار، وغير ذلك منَ الوُجوه الَّتِي تتَّصل بِالهداية العامَّة، فلا تتفاوت فيها ألفاظه الرشيقة، وأساليبه البديعة.

والمعروف أنَّ القرآن أَتَت فيه حقائق تأسَّست بِها شريعة واسعةَ النطاق، وليس من شأن هذه المعاني أن تظهر فيها براعةُ البُلغاء كما تظهر فيما ألفوه من نحو المديح والرثاء والتهنئة والغزل ووصف المشاهد، إلى غير ذلك مِمَّا يطلقون لأفكارهم فيه العنان، فتذهب مع الخيال كل مذهب، وترتكب من المبالغات ما استطاعت أن ترتكب، وجاء التعبير في القرآن الكريم عن تلك المعاني التي تَسْتَدْعِي صِدْقَ اللهجة وصوغ الأقوال على أقدارِ تِلْكَ الحقائق، فَتَرى الفصاحةَ ضاربةً أطنابَها، والبلاغة مرسلة أشعتها.

في بلغاء البشر من تحس من شعره أو خطبته أو رسالته أنه لم يكن يتصنع فيما يقوله؛ ذلك أنك تجد في كلامه الجيد، والوسط، والرديء، وفيهم مَنْ تُحِسُّ فيما يقولُه التَّصَنُّع وهذا هو الذي يَغْلِبُ على كلامِه المنظوم أوِ المنثور الجودةُ في تَصوير المعنَى، والتعبير عنه بكلام موزون، أو غير موزون.

ولكنَّ بلوغ الغاية من حسن البيان وردت في القُرآن الكريم، فلا يَجِدُ فيه الرَّاسِخُ في نَقْدِ المنْشآتِ البليغة ما يَنْزِلُ عنِ الدَّرَجَةِ العُليا؛ بَلْ يُحِسُّ رُوحَ البلاغة التي لا يَحوم عليها شَيْءٌ منَ التَّصَنُّع سارية في آياته وسوره، سواء في ذلك تصويره للمعاني، أو نظم الألفاظ الناطقة بها.

ومن مظاهر بلاغة القرآن، أن ترد القصة فيه في أوفى درجة من حسن البيان، ثم تعاد في سورة أخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتى إذا عقدت موازنة بين ذكرها هنا وذكرها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة لا تَنزِلُ إحْدَاهُما عن الأخرى بحال، أمَّا البليغ من البشر، فقد يسوق إليك القصة في عبارات أنيقة، ثم يريد أن يعيدها مرة أخرى فإذا هي في درجة من البراعة منحطة عن درجتها الأولى. (١٨٣)

و"هذا الكتاب الذي جاء به محمد – صلَّى الله عليه وسلم – كتاب بَهَرَ بالإعجاز، ولقي عدوه بالإرجاز، ما حذي على مثال، ولا أشبه غريب الأمثال، ما هو من القصيد الموزون، ولا في الرجز من سهل ولا حزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة ذوي الأرب". (١٨٤).(١٨٥)

١٨٣- بلاغة القرآن لـ محمد الخضر حسين (٦/٢). بتصرف في بعض الألفاظ.

١٨٤- رسالة الغفران (٤٧٢ – ٤٧٣). رسالة الغفران – تأليف: أبي العلاء المعري – تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) – دار المعارف – مصر – ط ٧ – ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٨٥- أَبُو العَلاء المعَرّي- (٣٦٣ هـ – ٤٤٩ هـ) (٩٧٣ -١٠٥٧م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب، لُقب (رهين المحبسين) أي محبس العمى ومحبس البيت وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

عقيدته وآراؤه في الدين:

شبكة الألوكة www.alukah.net

بديع نظمه:

وحول بديع نظمه يقول الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) **– رحمه الله–:**

" إنه بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه ". (١٨٦)

ويقول ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) **– رحمه الله–:**

" التحدي وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ". (١٨٧)

ويقول القاضي عياض(ت: ٤٥٥هـ) **– رحمه الله–:**

" إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه، ووقفت مقاطع آيِهِ وانتهت فواصل كلمات إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدانت دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر" (١٨٨)

كان المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان، وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم، وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية، حيث كان يؤمن بأن الدين ''خرافة ابتدعها القدماء'' لا قيمة لها إلا لأولئك الذين يستغلون السذج من الجماهير.، وقد رفض المعري ادعاءات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى مصرحًا:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماء

فلا تحسب مقال الرسل حقًا ولكن قول زور سطّروه

وكان الناس في يمنٍ رغيدٍ فجاءوا بالمحال فكدروه

دين وكفر وأنباء تقص وفر قان يُنَصُّ وتوراة وإنجيل.

وللاستزادة، يُنظر، نرجس توحيدي فر: أبو العلاء دراسة في معتقداته الدينية. دار صادر بيروت ٢٠١١. ص. ٦٦، عائشة عبدالرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته. دار المعارف. ص. ٢٦٤-٢٦٥، طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه. دار المعارف. الطبعة الرابعة عشرة. ص. ٤٤-٤٥، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون، أبو العلاء، ويُنظر الموسوعة الحرة، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون، أبو العلاء.

ومن أشهر ما قيل في وصفه، ما وصفه به الباخرزي(ت: ٤٦٧هـ) حيث يقول: "ضرير ليس له في الأدب ضريب، مكفوف في قميص الفضل ملفوف، طال في دوحة الإسلام آناؤه ولكن ربما رشح بالإلحاد إناؤه. وعندنا خبر بصره والله أعلم ببصيرته ". يُنظر: دمية القصر وعصرة أهل العصر – لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، (المتوفى: ٤٦٧هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ

١٨٦–إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧م) ط ٥، تحقيق: السيد أحمد صقر، ص ١٧.

١٨٧– المحرر الوجيز، (٢ /٥٢).

١٨٨– الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤ هـ) بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م (١ / ٢٦٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: وجوه إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور

ووجوه الإعجاز عند الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) **ترجع إلى ثلاث جهات أساسية، وهي:**

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما لا يمكن (١٨٩) أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيّاتٍ في نظمه مفيدةٍ معاني دقيقةً ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصلُ وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرةً لا يدانيها شيءٌ من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدع في القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة ". (١٩٠)

معنى الإعجاز البيانيّ

"القرآن الكريم هو كلام الله المعجِز في ألفاظه وتراكيبه ونظمه ومضمونه، وقد ثبت عجز أهل اللغة عن الإتيان بمثل آياته، وينقسم الإعجاز في القرآن الكريم إلى عدّة أنواعٍ، منها: والإعجاز البيانيّ الذي يُظهر جمال نظم الكلمات القرآنيّة، بحيث تُوصل هذه الكلمات المعنى بأدقّ أبدع تعبيرٍ ووصف؛ بحيث لو وضعت كلمةٌ عربيّةٌ أخرى لتؤدّي ذات المعنى في التركيب القرآني لم يوجد أفصح وأدقّ من اللفظ القرآنيّ المختار، وقد أدرك العرب القدامى دقّة الكلمات القرآنية في سياقها، وأقرّوا بفصاحته التي عجزوا عن بلوغها، حتى أنّ منهم من قال عند سماعه: "والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه، وما هو بقول بشر"(١٩١)، وفي ذلك شهادةٌ من الذين عادوا النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ورفضوا دعوته على عظمة هذا الكتاب وتفوّقه في الفصاحة والبلاغة والبيان عليهم، وهم أهل فصاحةٍ وبيانٍ.(١٩٢)

١٨٩–الأصل هكذا في المطبوع " يمكن "، ولعل الصواب "لا يمكن" بالنفي، ليستقيم الكلام وينتظم والله أعلم.

١٩٠– التحرير والتنوير (١/١٠٤).

١٩١ يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة المدثر – مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة:(١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.، ويُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ: "جَنَى الحُرُفَةِ في إبطالِ القولِ بالصَّرْفةِ: (ص: ٤٣). بحث منشور، مجلة البحوث الإسلامية(مجلة محكمة) العدد الستون، صفر١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ.

١٩٢– من أسرار الكلمات في القرآن الكريم، د. طارق طبل. (د. ص) بتصرّف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: إعجاز القرآن في الإخبار عن المغيَّبات

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أنواع الْمُغَيَّبات الواردة في القرآن إجمالًا

مِن أبرز وجوه الإعجاز في القرآن إعجازُه في الإخبار عن الأمور الغيبية، وتلك الأمور الغيبية منها ما هو متعلق بالماضي، ومنها ما هو متعلق بالوقت والزمن الحاضر الْمُعاصِر لنزول القرآن، ومنها ما هو متعلق بالمستقبل.

فـ "مِن وجوه إعجاز القرآن إعجازُه في الإخبار بالْمُغَيَّبات،

وهذه الْمُغَيَّبات قد تَتَعلَّق بالماضي السَّحِيق الْمُوغِل في القِدَم ممَّا لم يشهَدْه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، الذي خاطَبَه ربُّه سبحانه فقال:(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (آل عمران: ٤٤).، وذلك تعقيبًا على قصة امرأة عمران، وتمهيدًا للحديث عن مريم عليها السلام.

ومنها: ما يتعلَّق بالحاضر الواقع في زمنِ نزول القرآن عن أمور مُتَعَلِّقة بغُيُوبٍ لِمَن هم في عصْر الرسالة.

ومنها: ما يَتَعلَّق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة لم تكن وقعَت في عهده صلَّى الله عليه وسلَّم، وممَّا يكُون في يوم القيامة ". (١٩٣)

والله سبحانه قد جعل للحق علامات وآيات باهرات متعددات ومتنوعات تدل على الحق الذي أرسل به رسله الكرام عليهم السلام، وهذه العلامات وتلك الآيات تدل على صدق المرسَل الذي هو "الرسول" وصدق المرسَل به وهو "الرسالة" لتقوم به الحجة على كل معاند وجاحد ومنكر لها، ويطمئن بها قلب كل مؤمن ومصدق ومتبع لها.

ومن تلك الآيات الباهرات التي جعلها الله تعالى علامة على أن القرآن وحيه الذي أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يمكن أن يكون لبشر قدرة على أن يقول بمثلها أبدًا، الأخبار المستقبلية التي ذكرها الله في كتابه، وقد قعت كما أخبر بها سبحانه وتعالى.

١٩٣- يُنظر: إعجاز القرآن- أ. طاهر العتباني-عن موقع الألوكة- بتاريخ: ٢-/٥/١٤٣١هـ.

يقول الباقلاني(ت: ٤٠٣هـ) – **رحمه الله– في الإعجاز الغيبي:**

"وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أنه سيُظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(التوبة:٣٣)، ففعل ذلك". (١٩٤)

المطلب الثاني: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الماضي

تضمُن القرآن بعض الغُيُوب في الماضي:

لا شك: " أن القرآن معجز بتضمنه بعض أنباء الغيب الماضي (١٩٥)، حيث أتى بمجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتتلمذ على يد أحد، ولم يكن يعرف عن ذلك شيئًا قبل نبوته، قال تعالى: [وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] {العنكبوت:٤٨}" (١٩٦).

ولقد قص الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أخبار من سبقه من المرسلين قصصًا لم يكن يعرفها من قبل، فقال الله تعالى مخاطبًا له صلى الله عليه وسلم في الإخبار عن نبأ نوح عليه السلام: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا) (هود: ٤٩).

وقال له في نبأ الإخبار عن موسى عليه السلام: (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ... وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) (هود: ٤٤-٤٦)

وقال له في نبأ الإخبار عن كفالة مريم عليها السلام ورعايتها: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (آل عمران:٤٤)

وقال له في نبأ الإخبار عن أنباء الرسل عليهم السلام: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ) (هود: من آية:١٢٠).

ونسوق أمثلة عن بعض ما ورد في القرآن من المغيبات الماضية التي أخبر الله تعالى وأنبأ عنها.

١٩٤-إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٣).

(١٩٥) ما غاب عنك في الماضي يعتبر غيبًا بدليل قوله تعالى عقب قصة يوسف عليه السلام: [ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...] {يوسف:١٠٢}

(١٩٦) يُنظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص / ٦٤، ٦٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أولًا: ذكر نبأ أبينا آدم أبي البشر عليه السلام، وما قصه الله من خبر خلقه ونشأته، وخبره مع الملائكة، وخبره مع إبليس، وخبر معصيته وخروجه من الجنّة بسببها ثم هبوطه إلى الأرض.

١-مبدأ قصّة خلق آدم عليه السلام

وإنما كان مبدأ ذلك عندما أخبر الله تعالى ملائكة الكرام عليهم السّلام، بأنّه سيخلق في الأرض بشرًا يخلف بعضُهم بعضًا، كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)،(البقرة: ٣٠)

٢-تقدير خلق آدم من طين وأمره سبحانه الملائكة بالسجود له، ثم بيان عصيان وتمرد إبْليس

وقد أخبر سبحانه وتعالى ملائكته أنه قضى وقدر خلق آدم من طين؛ كما قال تعالى:

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧)) (ص: ٧١-٧٧).

ولقد سجد الملائكة كلّهم أجمعون لآدم كما أمرهم ربُّهم، إلا إبليس أبى واستكبر، فقال له الله تعالى:(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)، فكان ردّ إبليس بكلّ كبرياء وحسدٍ: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)، فحلّت عليه لعنة الله تعالى، وطُرِدَ من رحمته إلى الأبد، كما قال ربنا: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)، ثمّ جاء طلبه بالإنظار بعد ذلك كما في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)(ص: ٧٩-٨٣).

٣- إسكان آدم عليه السلام وزوجه الجنة، وأكلهما من الشجرة، وهبوطهما إلى الأرض

قال تعالى: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) [الأعراف: ١٩ – ٢٥]

٤– كما أخبر عن قصّة و نَبَأ ابنَي آدم

كما في قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة:٢٧)

ثانيًا: ذكر نبأ نوح عليه السلام،

١– الإخبار نوح عليه السلام وعن دعوته

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) (العنكبوت: ١٤)، وتأمل أيضًا سورة نوح بأكملها

٢– الإخبار عن طوفان نوح عليه السلام

وفي ذلك يقول ربنا: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)) (يونس: ٧١–٧٣)، ثم تأمل ما ورد من خبره مع قومه وولده في سورة هود كذلك.

ثالثًا: الإخبار عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

١– الإخبار عن إعلامِ اللهِ لإبراهيم عليه السلام مكان البيت

قال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (الحج: ٢٦).

٢– الإخبار عن بناء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام للبيت العتيق

قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: ١٢٧)، ثم تأمل فيما تلاها من آيات.

٣– تأمل في نبأ ابتلاءِ اللهِ لإبراهيم عليه السلام

قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقر': ١٢٤)، ثم تأمل فيما تلاها من آيات كذلك.

٤- الإخبار عن محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود بن كنعان

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ٢٥٨).

٥- الإخبار عن طلب إبراهيم عليه السلام اليقين من ربه

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)) (البقرة:٢٦٠)

٦- الإخبار عن ضَيْفِ إبراهيم عليه السلام من الملائكة وبشراهم له بغلام عليم، وبعذاب قوم لوط

قال تعالى: (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)) (الحجر:٥١-٦٠).

وتأمل كذلك إن شئت خبر ابتلاء إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في إسكان ذريته بواد غير ذي زرع عن البيت المحرم، وابتلائه كذلك في ذبح ولده وفلذة كبده، ثم ابتلائه بإلقائه حيًا في النار، وغير ذلك مما أكثر الله ذكره من الغيبيات في حقه عليه السلام.

والحديث عن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في القرآن يطول جدًا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. (١٩٧)

١٩٧- يُنسب هذا المثل لـ"عقيل بن علفة"، يُنظر: مع الجواهر في الملح والنوادر(١/٤٦).

رابعًا: الإخبار عن موسى عليه السلام في القرآن فهو أكثر من أن يُحصى،

حتى قال بعض السلف: "كاد القرآن أن يكون كله لموسى:(١٩٨)

ومن الغيبيات التي أعادها الله وثنَّاها في القرآن تكرارًا ومرارًا قصة موسى عليه السلام.

ولقد جاء ذكر موسى عليه السلام وقصته وخبره في كثير من سور القرآن الكريم.

فقد ذكر اسمه قرابة مائة وست وثلاثين مرة. وذلك في أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم،

وها هى مرتبة على الترتيب العددي التنازلي على النحو التالي:

١- سورة الأعراف: ٢١مرة

٢- سورة القصص: ١٨ مرة

٣- سورة طه: ١٧ مرة

٤- سورة البقرة: ١٣ مرة

٥- سورة يونس: ٨ مرات

٦-سورة الشعراء: ٨ مرات

٧-سورة غافر: ٣ مرات

٨- سورة النساء: ٣مرات

٩- سورة المائدة: ٣ مرات

١٠- سورة الأنعام: ٣ مرات

١١- سورة إبراهيم: ٣ مرات

١٢- سورة النمل: ٣ مرات

١٣- سورة هود: ٣ مرات

١٤- سورة الإسراء: ٣ مرات

١٥- سورة الكهف: مرتان

١٦- سورة المؤمنون: مرتان

١٧- سورة الأحزاب: مرتان

١٨- سورة الصافات: مرتان

١٩٨- قال السيوطي: " ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم كاد القرآن أن يكون كله موسى".

يُنظر: الإتقان: (١/١٥٧).

١٩- سورة الأحقاف: مرتان

٢٠- سورة آل عمران: مرة واحدة

٢١- سورة مريم: مرة واحدة

٢٢- سورة الأنبياء: مرة واحدة

٢٣- سورة الحج: مرة واحدة

٢٤- سورة الفرقان: مرة واحدة

٢٥- سورة العنكبوت: مرة واحدة

٢٧- سورة السجدة: مرة واحدة

٢٧- سورة فصلت: مرة واحدة

٢٨- سورة الشورى: مرة واحدة

٢٩- سورة الزخرف: مرة واحدة

٣٠- سورة الذاريات: مرة واحدة

٣١- سورة النجم: مرة واحدة

٣٢- سورة الصف: مرة واحدة

٣٣- سورة النازعات: مرة واحدة

٣٤- سورة الأعلى: مرة واحدة

ولنتخير بعض المواضع من آي القرآن التي ورد فيها ذكر خبر موسى عليه السلام على النحو التالي:

قال تعالى في سورة البقرة:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً) (البقرة ٦٧).

وقال تعالى في سورة النساء:

ًرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) {١٦٤ النساء}

وقال تعالى في سورة الأعراف:

(وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)

﴿١٤٢: الأعراف﴾

وقال تعالى في سورة الأعراف أيضًا:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) ﴿١٤٣: الأعراف﴾

وقال تعالى في سورة الأعراف أيضًا:

(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) ﴿١٤٨: الأعراف﴾.

قال تعالى في سورة إبراهيم:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم:٥).

وقال تعالى في سورة الكهف:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) ﴿٦٠: الكهف﴾

وقال تعالى في سورة الإسراء:

(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) (الإسراء:٢).

وقال سبحانه في سورة الإسراء أيضًا:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا) ﴿١٠١ الإسراء﴾

وقال عز وجل في سورة الدخان:

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (الدخان:١٧).

وقال سبحانه في سورة والنازعات:

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) (النازعات:١٥).

هذا كله غيض من فيض عن بعض ما ورد ذكره من قصة موسى وخبره في القرآن الكريم.

ومثالًا عن تلك الغيبيات التي أعادها الله وكررها وثنَّاها في القرآن الكريم وذكرها تكرارًا ومرارًا ذكر قصته عليه السلام وخبره مع فرعون وقومه، وهي من الغيبيات المشتملة على العبر المؤثرات العظام، والحكم البالغات الجسام، والمواعظ النافعات الكبار، ولقد ذكرت تلك القصة في القرآن قرابة عشرين مرة.

ولنتأمل ذلك كمثال في صدر سورة القصص وما تبعها من آيات

قال تعالى: (طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤)) (القصص: ٢-٤).

وقد ذكر الله تعالى خبر موسى عليه السلام في القرآن الكريم في مائة وست وثلاثين مرة. وذلك في أربع وثلاثين سورة من سور القران الكريم كما مر بنا ذلك آنفًا، وأغلب السور المكيه تناولت قصته عليه السلام قبل خروجه من مصر، أما السور المدنية؛ فأبرز ما ورد فيها من قصته –عليه السلام– معاناته مع بنى إسرائيل بعد خروجه من مصر وغرق فرعون وقومه....

و موسى أُلقِى في اليم طفلًا رضيعًا، و نشأ وترعرع في قصر فرعون، وخرج خائفًا يترقب حتى وصل أرض مدين وعاش فيها وتزوج ابنة الرجل الصالح، ثم عاد قافلًا إلى مصر، وفي الواد المقدس كلمه ربه تكليمًا وأوحي إليه تكليفًا وتكريمًا، ثم عالج صراعًا مع فرعون وقومه سنين عدة، ثم كان بعد ذلك ما أخبر الله به من إغراقه لفرعون وقومه، ونجاة موسى عليه السلام وقومه، ثم تأمل جيدًا قصته وخبره مع الخضر عليه السلام، ثم أعد التأمل فيما دار بينهما من حوار في خبر أصحاب السفينة، ثم خبر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام، ثم خبر الجدار الذي أقامه، هل كان ذلك كله تخمينًا وضربًا من الخيال، وكيف يتنبأ بذلك نبي أمي لم يتلق كتابًا قبله قط، فلا يمكن أن يكون ذلك أبدًا إلا وحيًا أوحاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) **– رحمه الله–:**

"أحسن أحاديث الأنبياء حديث تكليم الله لموسى عليه السلام ". (١٩٩)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

"قصة موسى عليه السلام هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن، وهي أكبر من غيرها، وتبسط أكثر من غيرها". (٢٠٠)

وقال– رحمه الله– أيضًا–:

" وثنى قصة موسى مع فرعون؛ لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليمًا لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله ولم يكن أيضًا للرسل من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى وفرعون أعظم

١٩٩– مجموع الفتاوى: (١٧/٣٢).

٢٠٠– شرح العقيدة الأصفهانية: (ص: ٢٠٩).

القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر؛ ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقص على أمته عامة ليله عن بني إسرائيل وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة". (٢٠١)

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله–:**

" يذكر سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبديها ويسلي رسوله صلى الله عليه وسلم." (٢٠٢)

وقال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله – :**

" وكثيرًا ما يذكر الله تعالى قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون في كتابه العزيز لأنها من أعجب القصص". (٢٠٣)

وقال ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) **– رحمه الله –:**

" وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى عليه السلام ؛ لأنه عالج فرعون وجنوده، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وشريعته وكتابه التوراة هو مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –،وله من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره". (٢٠٤).

وقال – رحمه الله – أيضًا–:

" أعاد الباري تعالى، قصة موسى وثناها في القرآن ما لم يثن غيرها، لكونها مشتملة على حكم عظيمة وعبر، وفيها نبأه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن". (٢٠٥)

وقال السيوطي (ت: ٩١٠هـ) **– رحمه الله–:**

" ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم كاد القرآن أن يكون كله لموسى". (٢٠٦)

٢٠١– مجموع الفتاوى: (٩/١٢).

٢٠٢– جلاء الأفهام: (ص:١٩٩).

٢٠٣– تفسير ابن كثير: (٢٨٥/٤).

٢٠٤– تفسير ابن سعدي: (ص: ٢٢٣).

٢٠٥– تفسير ابن سعدي: (ص: ٥٨٩)

٢٠٦– يُنظر: الإتقان: (١٥٧/١). وقد سبق ذكره آنفًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما كانت قصة موسى عليه السلام في القرآن أكثر من نحيط بها في بحث أو مقال، فاكتفينا بمثال ليوضح الحال، ولعل في الإشارة ما يغني عن العبارة.

خامسًا: الإخبار عن عيسى عليه السلام

١- بشرى الملائكة لمريم عليها السلام باصطفاء الله لها

ذكر الله تعالى من خبر بشرى الملائكة لمريم باصطفائه تعالى لها فقال سبحانه:

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (آل عمران: ٤٢-٤٣).) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ

٢- بشرى الملائكة لمريم بـ "عيسى" عليهما السلام

كما قال تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلًا) (آل عمران :٤٥-٤٧).

٣- بشرى جبريل عليه السلام لمريم بميلاد عيسى عليه السلام

قال سبحانه: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا- فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا - قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا- قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا - قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا - قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا) (مريم:١٦ - ٢١).

٤- إخبار الله تعالى عن حمل مريم بعيسى عليه السلام

فلما أخبرها جبريل بذلك الأمر الجلل استسلمت لقضاء الله ورضيت بقدره، فجاءها ونفخ في جيب درعها.. (فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًا - فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا) (مريم:٢٢ - ٢٣).

٥- إخبار الله تعالى عن بعث الطمأنينة في نفس مريم، وسوق رزقها إليها

قال تعالى: (فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا - وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا - فكلي واشربي وقرّي عينًا فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا) (مريم :٢٤ - ٢٦).

٦- إخبار الله تعالى عن ريبة قوم مريم منها واستنكارهم لشأنها

قال تعالى: (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا - يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا - فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا) (مريم:٢٧ - ٢٩).

٧- إخبار الله تعالى عن معجزة نطق عيسى عليه السلام في المهد تبرأة لأمه

أخبر الله تعالى عن شأن عيسى حينما أنطقه في المهد بقول سبحانه: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا - وجعلني مباركًا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا - وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًا - والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا) (مريم:٣٠ -٣٣).

٨- إخبار الله تعالى عن امتراء بني إسرائيل في عيسى عليه السلام

قال تعالى.. (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون - ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون - وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم - فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) (مريم:٣٤ -٣٧).

٩- إخبار الله تعالى ببشرى تشريفه سبحانه لعيسى عليه السلام بالنبوة والرسالة, وتأييده بالمعجزات

قال تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل - ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين - ومصدقًا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (آل عمران: ٤٨ -٥١).

وما أخبر الله في كتابه عن الغيبيات الواردة في حق عيسى عليه السلام كثيرة ومعلومة.

سادسًا: الإخبار عن الكثير من قصص الأولين وأخبار السابقين،

ومنه: الإخبار عن نبأ قوم عاد (٢٠٧) وثمود (٢٠٨) وما أصابهما من بلاء ونكال وصواعق وعذاب شديد، تأمل ذلك في مواضع شتى من كتاب الله

٢٠٧-عن إسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك... أن عادًا كانوا أصحاب أوثان يعبدونها فبعث الله لهم هودًا... فدعاهم إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه، وان يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه.. وكانت

١- ومن ذلك ما ورد في قوله الله تعالى في سورة فصلت:

(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)(فصلت:١٣-١٨).

٢- وما ورد عن نوعي العذاب الذي أصابهما أيضًا، وذلك في قوله تعالى في سورة الحاقة:

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)) (الحاقة: ٤-٨).

٣- ويقول الله تعالى عن نبأ إهلاكهما في سورة النجم أيضًا:

. (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١)) (النجم:٥٠-٥١)

-ويقول الله تعالى عن نبأ ثمود في سورة الذاريات أيضًا: (...وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)(الذاريات:٤٣-٤٥).

٤- ويقول الله تعالى عن نبأ عاد وثمود وفرعون وما أصابهم من العذاب في سورة الفجر أيضًا:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا

منازلهم بالأحقاف، والأحقاف الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن، وكانوا مع ذلك قد أفسدوا في الأرض كلها، وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله. (اهـ). يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٤٩٧). بتصرف

٢٠٨- ثمود قبيلة من العرب سميت باسم جدهم ثمود ابن عاد بن إرم بن سام بن نوح... وعن عمر بن العلاء: أنهم سموا بذلك لقلة مائهم، فالثمد: الماء القليل... وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى... يُنظر: تفسير المنار (٨/ ٥٠٣).

فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤))
(الفجر:٦-١٤)

٥- ومنه: الإخبار عن العزير

تأمل قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٥٩).

٦- ومنه: الإخبار عن أبرهة الأشرم وحادثة الفيل، ثم تأمل ذلك في سورة الفيل.

واعلم أن الإخبار عن تلك الغيبيات الماضية منذ مبدأ الخلق إلى مولده عليه الصلام والسلام يدل دلالة واضحة لا تدع أي مدخل أو ريبة في أن القرآن كلام الله حقًا، ووحيه صدقًا، وأن الله تعالى قد أوحاه لنبي أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتلق أي علم من بشر، وقد قال الله عن افتراء الكفار في ذلك: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) (الفرقان:٤)

وقال سبحانه: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الفرقان:٥). وقال سبحانه أيضًا: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: ١٠٣)، فرد الله جل في علاه عليهم شبهاتهم وأبطل مزاعمهم ودحض أباطيلهم بقوله سبحانه: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (العنكبوت: ٤٨)

بل هو كما وصفه ربنا بقوله: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد) (فصلت: ٤١-٤٢).

المطلب الثالث: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الزمن الحاضر الْمُعاصِر والواقع في زمنِ نزول القرآن عن أمور مُتَعَلِّقة بغُيُوبٍ لِمَن هم في عصْر الرسالة

لقد أنزل الله آيات بينات فضحت أهل النفاق من خلال مواقف وأحداث لم يحضرها رسول صلى الله عليه وسلم فجاء الوحي بإخباره وإعلامه بها.

ومن ذلك:

١- ما ورد في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ) (البقرة:٢٠٤)

قال السدي السدي(ت: ١٢٧هـ)**- رحمه الله-: - رحمه الله-:**

"هذه الآية وثلاث آيات بعدها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك.

وعن ابن عباس-(ت: ٦٨هـ) **- رضي الله عنهما-:**

أنها نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خبيب وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع، وعابوهم فأنزل الله ذم المنافقين، ومدح خبيبًا وأصحابه.

وقيل: بل ذلك عام في المنافقين كلهم، وهذا قول قتادة، ومجاهد، والربيع بن أنس، وغير واحد، وهو الصحيح". (٢٠٩)

وفي قوله تعالى: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ) (التوبة:٦٤)

قال الطبري(ت: ٣١٠هـ)**- رحمه الله-:**

يقول - تعالى ذكره - : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم (سورة تنبئهم بما في قلوبهم (يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم.

وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذكروا شيئًا من أمره وأمر المسلمين، قالوا: " لعل الله لا يفشي سرنا! " فقال الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : قل لهم: (استهزئوا) متهددًا لهم متوعدًا (إن الله مخرج ما تحذرون) (٢١٠).

ومن ذلك أيضًا:

٢-ماورد في قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) (التوبة:٧٤)

فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم معهم هؤلاء جميعًا: (إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ) (النساء: من آية: ١٠٨).

٢٠٩-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى وهو ألد الخصام (٢٣٢٥).

٢١٠- تفسير الطبري (٣٣٢/١٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك أيضًا:

٣-فضْحُ مَكايد المُنافِقين ومُؤامراتهم؛ كما حدَث في اتخاذهم لمسجد الضرار؛ الذي قال تعالى في شأنه: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)) (التوبة: ١٠٧ - ١٠٨).

يقول ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله–:

"سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له: " أبو عامر الراهبُ "، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، فألَّبهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه، وكُسِرت رباعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه. وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمرَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمَنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه، ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه

وسلم إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله)(٢١١)، فلما قفل عليه الصلاة والسلام راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة.

كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس –رضي الله عنهم– في قوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله عز وجل: (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) إلى (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))

وكذا رُوي عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وقتاد، وغير واحد من العلماء.

وقال محمد بن إسحاق بن يَسَار، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَر بن قتادة، وغيرهم، قالوا: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني من تبوك – حتى نزل بذي أوان – بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار(٢١٢) – وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال: (إني على جناح سَفر وحال شُغل – أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه) (٢١٣)، فلما نزل بذي أوان أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسول الله صلى الله عليه

٢١١– سيأتي بطوله مع تخريجه بعد قليل.

٢١٢– يُنظر: السير والمغازي لابن إسحاق: (٤/١٥٥-١٥٦).

٢١٣– قلت هكذا أورده الحافظ ابن كثير عن طريق ابن إسحاق عن الزهري عن الجماعة المذكورين مرسلًا، وهو في السيرة لابن هشام: (٤/١٧٥-١٧٦) بهذا السياق بدون إسناد، وأما السيوطي فأورده في "الدر المنثور": (٣/٢٧٦-٢٧٧) بهذا السياق من تخريج ابن إسحاق وابن مردويه عن أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وكان من الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة قال فذكره، ومن تخريجهما عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصرًا. والله أعلم.

يُنظر: إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل: (٥/٣٧٠-٣٧١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وسلم مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي – أو: أخاه عامر بن عدي – أخا بني العجلان فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه). فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدّخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل أهله فأخذ سَعَفا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يَشتدَّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا، وهم:

١-خذام بن خالد، من بني عُبَيد بن زيد، أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق.

٢- وثعلبة بن حاطب، من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد.

٣- ومعتِّب بن قُشي، من بني ضُبَيعة بن زيد.

٤- وأبو حبيبة بن الأذعر، من بني ضُبَيعة بن زيد.

٥- وعَبَّاد بن حُنَيف، أخو سهل بن حنيف، من بني عمرو بن عوف.

٦- وجارية بن عامر.

٧- وابناه: مُجَمِّع بن جارية.

٨- وزيد بن جارية.

٩- ونَبْتَل بن الحارث، من بني ضبيعة.

١٠- وبحزج وهو من بني ضبيعة.

١١- وبجاد بن عُثمان وهو من بني ضُبَيعة.

١٢- ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر.

وقوله تعالى: (وَلَيَحْلِفُنَّ) أي: الذين بنوه: (إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى) أي: ما أردناه ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس.

قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: فيما قصدوا وفيما نوَوا، وإنما بنوه ضِرارا لمسجد قُباء، وكفرا بالله، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الفاسق، الذي يقال له: " الراهب " لعنه الله.

وقوله: (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) نهي من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، والأمة تَبَع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي: يصلي فيه أبدًا.

ثم حثه على الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله وطاعة رسوله، وجمعًا لكلمة المؤمنين، ومَعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالى: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف، رواه علي بن أبي طلح، عن ابن عباس. ورواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الزهر، عن عُرْوَة بن الزبير. وقاله عطية العوفي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والشعبي، والحسن البصري، ونقله البغوي عن سعيد بن جُبَي، وقتادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو في جوف المدينة

هو المسجد الذي أسس على التقوى. وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ". (٢١٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) اقتضاء الصراط المستقيم– رحمه الله–:

"وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي صلى الله عليه وسلم، وفراره إلى الكافرين، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، والقصة مشهورة في ذلك، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله، بل لغير ذلك ". (٢١٥)

ويقول شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) –رحمه الله– في مجموع فتاويه–:

"مسجد الضرار بني على نية فاسدة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) والمتخذون هم المنافقون، وغرضهم من ذلك:

مضارة مسجد قباء: ولهذا يسمى مسجد الضرار ١–

٢–الكفر بالله: لأنه يقرر فيه الكفر – والعياذ بالله – ؛ لأن الذين اتخذوه هم المنافقون.

٣–التفريق بين المؤمنين: فبدلًا من أن يصلي في مسجد قباء صف أو صفان يصلي فيه نصف صف، والباقون في المسجد الآخر، والشرع له نظر في اجتماع المؤمنين.

٢١٤– تفسير ابن كثير: (٤/٢١٠-٢١٤).

٢١٥–اقتضاء الصراط المستقيم: (ص:٤٣١). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٤-الإرصاد لمن حارب الله ورسوله يقال: إن رجلا ذهب إلى الشام، وهو أبو عامر الفاسق، وكان بينه وبين المنافقين الذين اتخذوا المسجد مراسلات، فاتخذوا هذا المسجد بتوجيهات منه، فيجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المكر والخديعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، قال الله تعالى: (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى)، فهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة ". (٢١٦)

وليُعلَمَ أن القصة مروية في عدد من التفاسير المسندة بأسانيد صحيحة من طرق عدة، فلتراجع في مظانها.(٢١٧)

وكذلك في سورة براءة-"التوبة"-المدمرة -المبعثرة -الفاضحة التي فضحت المنافقين، فيها بيانٌ لكثيرٍ مِن المغَيَّبات التي كانت حاضرة وقتَ نزول القرآن، وقد أُخبِرَ بها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ولم يكُن يَعلم بها حتى نزَل القرآنُ بها

وبَيّنها وجلاها؛

ومِن ذلك أيضًا:

٤- مواقف المنافقين التي بينها الله تعالى في كتابه الكريم؛ والتي منها قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)) (التوبة: ٧٥-٧٨).

٢١٦- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٩/٢٢٦-٢٢٧). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر: دار الوطن - دار الثريا الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ عدد الأجزاء: ٢٦.

٢١٧- وقصة مسجد الضرار قد وردت تفاصيلها في كتب التفسير المسندة من طرق عدة، منها: طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس – كما في تفسير ابن أبي حاتم (رقم/١٠٠٦٠) بسند صحيح، ومن طرق صحيحة أخرى إلى جماعة من التابعين، ولما كان أصل تفسير القصة ثابتًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بالسند الصحيح، كان ذلك كافيًا في توضيح الحادثة، والآثار الأخرى الواردة عن تلاميذ ابن عباس من التابعين وغيرهم تزيد القصة وضوحًا وبيانًا، والحمد لله. ويُنظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في كتاب الكشاف " للزيلعي (٢/٩٩-١٠٢)، " الدر المنثور للسيوطي" (٤/٢٨٤-٢٨٨)، " زاد المعاد " (٣/٥٤٩)، " السيرة النبوية " لابن هشام (٥/٢١١) وغيرها.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله – عز وجل – يوم القيامة

عياذًا بالله من ذلك." (٢١٨)

ومِن ذلك أيضًا:

٥– ما ذكر الله تعالى وأَخبَر به في كتابه مِن شأن المنافقين:

موقف رأس النفاق وزعيم المنافقين عبدِ الله بن أُبَيّ بن سَلُول الأزدي الخزرجي والذي ترأس النفاق في أرض الهجرة، وهو يظن نفسه كما قيل: " لص الدار لا تراقبه الأنظار"، ولكن الله كان له بالمرصاد ففضحه في عقر داره، فقال عنه سبحانه:

(هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)) (المنافقون: ٧–٨)، ثم تأمل مطلع السورة كذلك، وما تلاها وتبعها من آيات في وصف النفاق والمنافقين.

عن زيد بن أرقم (ت: ٦٦هـ)– **رضي الله عنه– قال –:** (٢١٩)

كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزاة، فسمعت عبد الله بن أُبيّ ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من عنده، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلَّ. فحدَّثتُ به عمّي، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، فدعاني رسول الله، فأخبرته، فبعث إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه، فجاؤوا، فحلفوا بالله ما قالوا، فصدَّقه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذَّبني، فدخلني من ذلك همٌّ، وقال لي عمّي: ما أردتَ إلى أن كذَبك رسول الله، ومقتَك، فأنزل الله : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ)، فدعاهم رسول الله، فقرأها عليهم، ثم قال: "إن الله قد صدقَكَ يا زيد". (٢٢٠).

٢١٨– تفسير ابن كثير (١٨٤/٤).

٢١٩– زَيْد بْن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، (ت: ٦٦هـ)، الاستيعاب (١٠٩/٢، التقريب ٢٢٢).

٢٢٠– متفق عليه، البخاري (١ / ٣٢٧) برقم (٤٩٠٠)، مسلم (٤ / ٢١٤٠) برقم (٢٧٧٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه فسبق أبو بكر عمر فأقسم عمر ألا يبادره بعدها إلى شيء، وجاء النبي فأخذ بأذن زيد وقال: "وفت أذنك يا غلام". (٢٢١)

وابن سلول قال تلك الكلمة الشنيعة في حقِّ خير خلق الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فأسرع زيدُ بنُ أرقم- رضي الله عنه- فأَخبَر بها رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا سُئِل ابن سلول عن ذلك أَنكَر أشد الإنكار، فأنزل الله تعالى تلك الآيات تصْديقًا لزيدِ بنِ أرقم- رضي الله عنه-، وهذا وشبهه في حال المنافقين في القرآن كثير.

المطلب الرابع: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة

تضمُن القرآن بعض الغُيُوب المستقبلية:

أي: إن القرآن معجز بتضمنه بعض أخبار الغيب المستقبلي، وهذا لا يقدر عليه إلا الله ولا يستطيعه البشر، ولا سبيل لهم إليه، ومن ذلك وعد الله لنبيه صلوات الله وسلامه عليه بإظهار دينه على كل الأديان، وذلك قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشْرِكُونَ] {التوبة:٣٣} وقد تحقق كثير من هذا الوعد في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وفي العهود اللاحقة. (٢٢٢)

وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم من قبَلهم أول الأمر

قال تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ...) (الروم: ٢ – ٤) إلى قوله سبحانه: (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: ٦).

وكلمة " بِضع " في اللغة تدل على ما بين ثلاث وتسع، وقد جاء انتصار الروم على الفرس بعد سبع سنين من نزول الآية.

٢٢١-وقصة عَبد الله بن أَبي بن سلول أخرجها أحمد: ٤ / ٣٦٨ و٣٧٠، والبخاري: ٦ / ١٩٠، والتِّرْمِذِيّ (٣٣١٤) من رواية مُحَمَّد بْن كعب عن زيد. وأخرجها أحمد: ٤ / ٣٧٣، وعَبدُ بن حُميد (٢٦٢)، والبخاري: ٦ / ١٨٩ و١٩١، ومسلم (٢٧٧٢)، والتِّرْمِذِيّ (٣٣١٢) من رواية أَبِي إِسْحَاق عَنْ زَيْد بْن أرقم.

(٢٢٢) يُنظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص / ٦٢ وما بعدها.

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"وقوله: (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) أي: هذا الذي أخبرناك به – يا محمد – مِن أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق، وخَبَر صدق لا يُخلف، ولا بد من كونه ووقوعه". (٢٢٣)

ويقول ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) **– رحمه الله –:**

" وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته ".(٢٢٤)

٢– الإخبار عن انتصار المسلمين في غزوة بدر وتحقُق ذلك النصر

قال تعالى: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ). (القمر:٤٥).

قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ) **– رحمه الله–:**

"وهذا مِن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر ". (٢٢٥)

وقال الطاهر بن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) **– رحمه الله–:**

" وهذا بشارة لرسوله صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو يعلم أن الله منجز وعده، ولا يَزيد ذلك الكافرين إلا غرورًا فلا يعيروه جانب اهتمامهم. وأخذ العدة لمقاومته ". (٢٢٦)

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب :"بل الساعة موعدهم "...(٢٢٧)الآية، ومعنى هذا أنها نزلت والمسلمون لا زالوا بمكة مستضعفين قليلين رمتهم العرب عن قوس واحد، ولم تكن حينئذ أية فكرة قتال لدى المؤمنين – إذ الجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية من الهجرة – ولو كان القتال فلم يكن متوقعًا في ميزان القوة أن يتغلب المسلمون فيه، ولذلك روى ابن مردويه عن عكرمة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت الآية: " أي جمع يهزم أي جمع يغلب؟!) "(٢٢٨)

٢٢٣–تفسير ابن كثير (٦ / ٣٠٥)

٢٢٤–تفسير ابن سعدي (ص: ٦٣٦)

٢٢٥ – تفسير القرطبي (١٧ / ١٤٦).

٢٢٦– التحرير والتنوير (٢٧ / ٢٣١).

٢٢٧– صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن(٤٧٠٧).

٢٢٨– مختصر تفسير: ابن كثير(٤١٣/٣٤١٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثبت عند البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْر: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ" فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ- وَهُوَ فِي الدِّرْعِ - فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ). (القمر:٤٥-٤٦).(٢٢٩)

ثم تأمل ما ثبت عند مسلم من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْف، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

"اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلّ: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال: ٩)، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ. (٢٣٠)

"وتمر الأيام ويتميز معسكر الكافرين عن معسكر المؤمنين وتقع غزوة بدر فيعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد جاء اليوم الموعود، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :" فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتب في الدرع ويقول:" سيهزم الجمع.." فعرفت تأويلها يومئذ".(٢٣١)

٣- الإخبارٌ عن موت أبي لهب وامرأته على الكفر وتحقُق ذلك

قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ .سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) (المسد: ١-٣).

"فقوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب) أي: خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه) وتب)أي: وقد تب تحقق خسارته وهلاكه.

٢٢٩- رواه البخاري (٢٩١٥).

٢٣٠- رواه مسلم (١٧٦٣).

٢٣١ - مختصر تفسير: ابن كثير(٤١٣/٣٤١٢).بتصرف.

ف الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه. وأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة. وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

(وامرأته حمالة الحطب(وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده; فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم. ولهذا قال: (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له.

قال سعيد بن المسيب(ت: ٩٤هـ)**– رحمه الله–:**

كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد يعني: فأعقبها الله بها حبلًا في جيدها من مسد النار.

وقال مجاهد(ت: ١٠٤هـ)**– رحمه الله–:**

(في جيدها حبل من مسد) أي: طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدًا؟ (٢٣٢)

"وفي هذه الآيات إخبارٌ من الله تعالى أن عمَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أبا لهب سيموت على الكفر ولن يدخل في الإسلام، وهو أمر غيبي أوحاه الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام، وكان بإمكان أبي لهب أن يعلن إسلامه ليكذِّب هذا الخبر – ولو في الظاهر – لكنه لم يفعل، وقد أحدثت هذه الآيات وقعًا عظيمًا على بعض الكفار الذين أرادوا البحث في القرآن عن أخطاء ليشككوا المسلمين بكتاب ربِّهم تعالى، فأبهرتهم هذه الآية – من ضمن آيات كثيرة – فما كان من هذا الراغب بالتشكيك بالقرآن إلا أن يُعلن إسلامه ويصير من الدعاة للإسلام، وهو الدكتور " جاري ميلر "(٢٣٣)، ومما قاله في صدد

هذه الآيات: "هذا الرجل يعني– أبا لهب – كان يكره الإسلام كرهًا شديدًا لدرجة أنه كان يتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا

٢٣٢– تفسير ابن كثير (٨/٥١٤-٥١٦). بتصرف

٢٣٣–الدكتور/ جاري ميلر، كان مبشرًا ومنصرًا وواعظًا في الكنيسة الكندية، وبعد أن هداه الله للإسلام تسمى بـ "عبد الأحد عمر"، وعرف بحب الرياضيات، وكان أستاذًا لها في جامعة تورنتو، وكان مهتمًا بعلم المنطق كذلك. يُنظر: https://arz.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D9%8A_%D9%85%D9%8A%D9%84%D8%B1 - cite_ref-1حقيقة إسلام العالم الكندي "غاري ميلر". بتصرف.

رأى الرسول يتكلم إلى أناس غرباء فإنه ينتظر حتى ينتهي الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه ليذهب إليهم ثم يسألهم ماذا قال لكم محمد؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود! ولو قال لكم ليل فهو نهار! والمقصد أنه يخالف أي شيء يقوله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويشكك الناس فيه.

وقبل عشر سنوات من وفاة أبي لهب نزلت سورة في القرآن اسمها " سورة المسد "، هذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار، أي بمعنى آخر: أن أبا لهب لن يدخل الإسلام، وخلال عشر سنوات كاملة كل ما كان على أبي لهب أن يفعله هو أن يأتي أمام الناس ويقول: " محمد يقول إني لن أسلم وسوف أدخل النار ولكني أعلن الآن أني أريد أن أدخل في الاسلام وأصبح مسلمًا، الآن ما رأيكم هل محمد صادق فيما يقول أم لا؟ هل الوحي الذي يأتيه وحي إلهي؟ "، لكنَّ أبا لهب لم يفعل ذلك تمامًا، رغم أن كل أفعاله كانت هي مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يخالفه في هذا الأمر، يعني القصة كأنها تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي لهب أنت تكرهني وتريد أن تُنهيني؟ حسنًا لديك الفرصة أن تنقض كلامي! لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات كاملة! لم يسلم، ولم يتظاهر حتى بالإسلام! عشر سنوات كانت لديه الفرصة أن يهدم الاسلام بدقيقة واحدة! ولكن لأن الكلام هذا ليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه وحي ممن يعلم الغيب ويعلم أن أبا لهب لن يسلم.

كيف لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت ما في السورة، إن لم يكن هذا وحيًا من الله؟ كيف يكون واثقًا خلال عشر سنوات كاملة أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟ لكي يضع شخص هذا التحدي الخطير ليس له إلا معنى واحد هذا وحي من الله". (٢٣٤).

وختامًا لهذا الأمر الجلل نقول:

لو أن أبا لهب قام بعد نزول هذه السورة ونطق بالشهادتين، لاختلت الموازين، ولكن هيهات هيهات، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فهناك رب علام للغيوب، وأن هذا لن يخطر ببال أبي لهب ولا امرأته أبدًا وأنه سيختم لهما بخاتمة السوء، وأنهما سيموتان على الكفر.... ثم من أطلع نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن أبا لهب وامرأته سوف يموتا على الكفر؟ والتاريخ شاهد على أن هناك من كانوا على الشرك مثلهما تمامًا، بل كانوا من ألد أعداء الإسلام، وحاربوا وقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مواطن شتى، وقد شرح الله صدورهم للإسلام وأنار الله بصائرهم وهدى

٢٣٤- الأخبار المستقبلية في القرآن والسنَّة وتحقق وقوعها من أدلة صدق هذا الدِّين، مقال عن موقع الإسلام سؤال وجواب، بتاريخ:٢٠١١/٥/١٩م. بتصرف

قلوبهم، ومن أبرز هؤلاء: عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أسلم قبل الهجرة، قيل في سنة ستة من البعثة، وعمرو بن العاص رضي الله عنه أسلم قبل الهجرة كذلك، قيل في السنة الثامنة من البعثة، وخالد بن الوليد رضي الله عنه أسلم قبل الهجرة كذلك، قيل في السنة الثامنة من البعثة بعد الحديبية، وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أسلم عام الفتح في السنة الثامنة، وأبو سفيان بن حرب رضي الله عنه مع شدة عدواته وقيادته لقريش في قتال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عدة معارك حاسمة طاحنة ومتتابعة، وقد أسلم عام الفتح في السنة الثامنة كذلك، وغيرهم، أليس هذا إعجازا بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى.

٤- توعد رب العزة تبارك وتعالى الوليد بن المغيرة بالعذاب الأليم والإخبار عن سوء خاتمته وموت على الكفر وتحقُق ذلك

قال تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢)وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)) (المدثر:١١-٣٠). و "لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي". (٢٣٥)

"يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر.

قال مجاهد:)سأرهقه صعودًا(أي: مشقة من العذاب. وقال قتادة عذابًا لا راحة فيه واختاره ابن جرير.

وقوله عز وجل (سأصليه سقر) أي: سأغمره فيها من جميع جهاته.

وقوله سبحانه وتعالى: (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم". (٢٣٦)

٥- تصديق الله لرؤيا رسوله – صلى الله عليه وسلم- وتحقُق الفتح المبين

قوله تعالى: (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ٢٧)

٢٣٥- تفسير البحر المحيط (٣٧٣/٨).

٢٣٦- تفسير ابن كثير (٢٦٦/٨-٢٦٨).

قال الطبري(ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله–:**

"يقول – تعالى ذكره – : لقد صدق الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصرًا بعضهم رأسه، ومحلقًا بعضهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقوله: (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) قال: النحر بالحُديبية, ورجعوا فافتتحوا خيبر, ثم اعتمر بعد ذلك, فكان تصديق رؤياه في السنة القابلة ". (٢٣٧).

قال البغوي(ت: ٥١٠هـ) **– رحمه الله–:**

"وذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رءوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

ثم قال: أخبر أن الرؤيا التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق". (٢٣٨).

والإخبار عن المغيبات المستقبلية أكثر من أن يحصيه بحث أو مقال، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.(٢٣٩) **والحمد لله على كل حال.**

٢٣٧-تفسير الطبري (٢٢/٢٥٧).

٢٣٨-تفسير البغوي(٧/٣٢٣).

٢٣٩-يُنسب هذا المثل لـ"عقيل بن علفة"، يُنظر: مع الجواهر في الملح والنوادر(١/٤٦)،. وقد سبق الإشارة إليه سابقًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: أُصول المغيبات في القرآن

أما عن أُصول المغيبات في القرآن فإنها ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإخبار عن رب العزة تبارك وتعالى، وعن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، والإخبار عن عالم الملائكة وعالم الجن وعالم البرزخ،

والإخبار عن أمر المعاد وما يكون فيه من بعث وحشر ونشر وحساب وثواب وعقاب، ومجازاة أهل الإيمان والإحسان بالإحسان، ومجازاة أهل الكفر والطغيان بالعذاب والجحيم والنكال، وقد ورد ذكر تلك الغيبيات بكثرة في القرآن ولاسيما في المكي منه، وتلك الغيبيات لا تعرف بالحسّ ولا تدرك بالعقل.

الأمر الثاني: الإخبار عن الأُمم السابقة وأحوالها، وعن أخبار أتباع الرسل، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وعن صراع الرسل عليهم السلام مع أممهم، وبيان أحوال ومصير المعاندين منهم الذين جحدوا دين ربهم وكذبوا رسله الكرام عليهم السلام، وتلك الأمم قد خلت وهلكت عن بكرة أبيها وأصبحت نسيًا منسيًا، فلا ترى لها أثرًا ولا تُحِس لها خبرًا، فمساكنهم أبيدت، ومعالم مواطنهم محيت، فذكر الله تلك الغيبيات، كما ذكر من أخبارهم وقَص علينا من قصصهم في محكم كتابه الكريم، ولا يمكن لأي عقل أن يدرك تلك الغيبيات إلا بالوحي المعجز المنزل من عند الله تبارك وتعالى.

الأمر الثالث: الإخبار عن بعض آيات الكونية وما يجري فيها من قضاء الله وقدره، وعن أخبار الساعة، وما سيحدث في الكون من مقدمات بين يد الساعة، كعلاماتها الكبرى التي ورد ذكر بعض منها في القرآن، وورد ذكر بعض منها في السنة.

وقد ثبت في كتاب الله تعالى أن للقيامة علامات وأمارات تتقدمها وتكون بين يديها، كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة الثابتة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم والتي استفاضت بأحاديث كثيرة والتي من أجمعها وأبرزها حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ(٢٤٠)، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ". (٢٤١)

٢٤٠- حذيفة بن أسيد الغفاري: صحابي شهد الحديبية، وقيل: إنه بايع تحت الشجرة، وشهد فتح دمشق. له أربعة أحاديث انفرد مسلم بحديثين، وعنه أبو الطفيل والشعبي، ترجمه ابن حجر في الإصابة (١: ٣١٧)، وله ترجمة في الثقات (٣: ٨١).

٢٤١- صحيح مسلم - الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١)، سنن الترمذي - الفتن (٢١٨٣)،سنن أبي داود - الملاحم (٤٣١١)، مسند أحمد - أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين (٦/٤).

وليست أعلم نصوصًا صحيحة وصريحة في ترتيب تلك العلامات، وإنما يستفاد ترتيب بعضها من جملة ما ورد من نصوص.

وقد سئل شيخنا العلامة الفقيه ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ) **– رحمه الله–هل أشراط الساعة الكبرى تأتي بالترتيب؟**

فأجاب: "أشراط الساعة الكبرى بعضها مرتب ومعلوم، وبعضها غير مرتب ولا يعلم ترتيبه، فمما جاء مرتبًا نزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال فإن الدجال يبعث ثم ينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج. وقد رتب السفاريني رحمه الله في عقيدته هذه الأشراط، لكن بعض هذا الترتيب تطمئن إليه النفس، وبعضها ليس كذلك، والترتيب لا يهمنا، وإنما يهمنا أن للساعة علامات عظيمة إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قربت، وقد جعل الله للساعة أشراطًا؛ لأنها حدث هام يحتاج الناس إلى تنبيههم لقرب حدوثه ".(٢٤٢)

والإخبار عن المغيبات، أو الإعجاز الغيبي، هو أحد وجوه الإعجاز القرآني، وهو من أبرزها وأشهرها وأهمها، والإخبار عن المغيبات من الأمور التي يستحيل للعقول إدراكها أو التنبؤ بها، أو الاطلاع على شيء منها، أو التخمين فيها بما يسمى بالحسابات المادية، أو بإعمال الفكر أو العقل فيها، لأن هذه الأمور لا يمكن إدراكها بالعقل، ولا يمكن أبدًا إدراكها إلا بالوحي، وبالوحي وحده.

وقد عدّ علماء الإعجاز الغيبي في كتاب الله تعالى هو أحد وأهم وجوه الإعجاز، فأطالوا البحث والتنقيب عنه وإبرازه وبيانه وشرحه وإيضاحه، وممن أطال البحث فيه من المتقدمين وأجاد وأفاد:

١–الخطابي: وهو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الشافعي المعروف بالخطابي: (ت: ٣٣٨) في كتابه: بيان إعجاز القرآن.

٢–الرماني: وهو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ) في كتابه: النكت في إعجاز القرآن.

٣–الباقلاني: وهو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: (ت: ٤٠٣هـ) في كتابه إعجاز القرآن.

٢٤٢– مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢/ ١٣٧).

المبحث الرابع: الإعجاز التشريعي

وفيه أربعة مطالب:

والكلام عن الإعجاز التشريعي هو الكلام عن أحد خصائص إعجاز القرآن.

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي تحدى الله الجن والإنس على أن يأتوا بمثله كما قال تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨) فعجزوا كما عجز أهل الفصاحة والبيان من أهل اللغة واللسان أن يأتوا بمثله، فتحداهم أن يأتوا بعشر سورة من مثله مفتريات كما قال تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) (هود:١٣)، فعجزوا، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال سبحانه: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (يونس: ٣٨) فعجزوا كذلك.

والقرآن هو المعجزة الخالدة الباقية على مر الدهور والعصور، وإنَّ جوانبَ إعجازه لتجلُّ عن العد والحصر والوصف؛ فهو معجز في ظاهر أساليبه. وجلي في نظمه وتراكيبه، وواضح في مَعانيه وظاهر في مقاصده ومراميه، وقوي في حُججه وبَراهينه، وصادق في قصصه وأخباره ومحكم في حكمه وأحكامه، وكامل في تشريعاته، ومصلح في إرشاده ودلالاته وهداياته.

ومن أبرز أوجه إعجازه "الإعجاز التشريعي"، وقبل الخوض في بيان أهم وأبرز جوانبه لابد من بيان مفهومه ومعناه في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم التشريع في اللغة

الشَّرع في اللغة: مصدر شَرَعَ بالتخفيف، والتَّشريع مصدر شرَّع بالتشديد، والشَّريعة في أصْل الاستعمال اللُّغوي: مَورد الماء الذي يُقصد للشُّرب، ثُم استعملها العربُ في الطريقة المستقيمة، وذلك من حيثُ إنَّ الماء سبيلُ الحياة والسلامة، ومثل ذلك أيضًا الطريقة المستقيمة، التي تهدي النُّفوس فتحييها.

قال الراغب: "الشَّرع: نَهجُ الطَّريق الواضح، يُقال: شرعت له طريقًا، والشَّرعُ مصدر، ثُم جُعِل اسمًا للطَّريقِ النَّهْجِ، فقيل له: شَرَعَ، وشَرْع وشَرِيعة، واستعير ذلك للطَّريقة الإلهيَّة"(٢٤٣)

٢٤٣- كتاب الشين، للراغب، (ص: ٢٥٨).

المطلب الثاني: مفهوم التشريع اصطلاحًا

والتشريع مأخوذ من الشريعة: وهي ما شرعه الله تعالى لعباده من شرائع وأحكام الدين، ومنه قوله سبحانه:(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣).

و**الشريعة هي**: الدين كله، الذي اصطفاه الله لعباده ليخرجهم به من الظلمات إلى النور، وهو ما شرعه لهم وبينه لهم من الأوامر والنواهي والحلال والحرام، فمن اتبع شريعة الله فأحل حلاله وحرم حرامه فقد فاز، ومن خالف شريعة الله فقد تعرض لمقته وغضبه وعقابه.

قال الله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الجاثية: ١٨).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: ١٧٠هـ) **– رحمه الله–:**

الشَّريعة والشّرائع: ما شرع الله للعباد من أمر الدين، وأمرهم بالتمسك به من الصلاة والصوم والحج وشبهه، وهي الشِّرْعَةُ. (٢٤٤)

وقال ابن حزم(ت: ٤٥٦هـ) **– رحمه الله–:**

الشريعة هي ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانة، وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله، والحكم منها للناسخ.

وأصلها في اللغة: الموضع الذي يتمكن فيه ورود الماء للراكب، والشارب من النهر، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى: ١٣) (٢٤٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ الشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَصْلُحُ لَهُ فَهُوَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنَّا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ٥٩) وَقَدْ أَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي

---

٢٤٤ – العين (١/ ٢٥٣)، وينظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٣٦).

٢٤٥ – الإحكام (١/ ٤٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

آيٍ كَثِيرٍ مِنْ الْقُرْآنِ، وَحَرَّمَ مَعْصِيَتَهُ وَمَعْصِيَةَ رَسُولِهِ وَوَعَدَ بِرِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَأَوْعَدَ بِضِدِّ ذَلِكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ، فَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ عَالِمٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ عَابِدٍ أَوْ مُعَامِلٍ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا هُوَ قَائِمٌ بِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَحَقِيقَةُ الشَّرِيعَةِ: اتِّبَاعُ الرُّسُلِ وَالدُّخُولُ تَحْتَ طَاعَتِهِمْ كَمَا أَنَّ الْخُرُوجَ عَنْهَا خُرُوجٌ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ وَطَاعَةُ الرُّسُلِ هِيَ دِينُ اللَّهِ. (٢٤٦)

وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء:

الشريعة هي ما أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله إلى الناس، ليقوموا به على وجه التعبد به لله، وابتغاء القربى إليه به، وفق ما أمرتهم به رسلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والطريقة المعتبرة السائرة وفق هذا، أي: وفق منهاج الله الذي أنزله على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)، ووفق قوله صلى الله عليه وسلم: (وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أنا علَيهِ وأَصحابي) (٢٤٧)

فهي داخلة في الشريعة.

أما الطريقة المخالفة لهذا؛ كالطرق الصوفية، والتيجانية، والنقشبندية، والقادرية، وغيرها، فهي طرق مبتدع، لا يجوز إقرارها، ولا السير فيها إلى الله سبحانه. (٢٤٨)

ويمكن أن يُقال كذلك إن الشريعة:

هي الأحكام التي سنها الله تعالى لعباده وشرعها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من العقائد الدينية والأحكام الشرعية والتي تشمل العبادات، والمعاملات والأخلاق، وغير مما يربط علاقة المخلوقين بخالقهم وينظم لهم سبل الحياة المستقيمة الطيبة التي بها سعادتهم وصلاح شأنهم في الحال والمآل وفي العاجل والآجل، ومن ذلك قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣).

٢٤٦- مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٩).

٢٤٧-حسنه الألباني في صحيح الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما برقم: (٢٦٤١).

٢٤٨-فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٢١٩)، وينظر الإسلام موقع: سؤال وجواب، إجابة عن سؤال رقم(٢١٠٧٤٢)، بتاريخ: ٢٠١٤/٥/٣م..

شبكة الألوكة www.alukah.net

وشريعة الله هي:

دينه القويم ومنهجه المستقيم، وهو فطرته التي فطر الله الناس عليها، والتي يحفظ بها البشرية من الزيغ والضلال ويجنبها سبل الغواية وشر الشيطان ونزغاته، ولذا كانت الغاية العظمى من تحقيق عبودية الخلق لخالقهم هو تأهيلهم لكرامته ونيل فضله ورحمته، وبذلك تتحقق لهم السعادة في الدنيا بلزوم أمره والتمسك بدينه وشرعته، وفي الآخرة بدخول جنته.

المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز التشريعي في القرآن

لقد أنزل الله القرآن وفصل في كل ما يصلح حال البشرية في معاشها ومعادها، وما ترك الله فيه شيئًا مما فيه قوام حياتهم وتنظيم علاقتهم التي تنظم حياتهم جميعًا أفرادًا وشعوبًا، بينها لهم على أكمل الوجوه، قال ربنا: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨)، فبين لهم ما يجب عليهم تجاه ربهم وخالقهم من وجوب تحقيق العبودية باجتناب الشرك ولزوم التوحيد الذي هو حق الله على جميع العبيد، وأمرهم بلزومه طاعته واجتناب معصيته، كما حذرهم من كل أسباب سخطه، وأمرهم بطاعة رسله الكرام عليه السلام أجمعين، والاستسلام والانقياد لما جاءوا به من عند الله تعالى، وشرع لهم أحكامًا تكفل لهم سعادة الدارين، ونظم لهم كل ما يحتاجه الفرد والجماعة في المجتمع المسلم وأسس لهم قواعد بنيان الأسرة المسلمة وتشريعاتها وما تحتاجه من أحكام لقوام حياتها، ووفى لهم فيه بكل احتياجاتهم فيه عبر الزمان والمكان، أما القوانين الأرضية الوضعية فقد أظهرت عجزها وأعلنت إفلاسها وأثبت قصورها عن مسايرة إصلاح أوضاع مجتمعاتها وسد ثغرات احتاجتها التي تجدد بين الفينة والفينة.

فهل تستطيع البشرية كلها قاطبة ومجتمعة أن تأتي بتشريع مثل تشريع بارئها وفاطرها. فإثبات عجزها عن الإتيان بِمثل تشريعات وتنظيمات علاقة الفرد والجماعة وما وضع الله فيه من أحكام محكمة تشمل كل ما شرعه الله تعالى لعباده وبما يتَعلَّق بالفرد والأُسْرة والمجتمع المسلم في كل مجالات الحياة، فهل يستطع أي تشريع بشري أن يفي بأحكام فيها من القوة والإحكام ما شرعه الله لعباده في كتابه من تشريعات محكمة وعادلة ووافية، وما جعل فيها من أحكام ومبادئ وتشريعات كلها عدل ورحمة مع ما تفي به من مقومات الحياة السعيدة المطمئنة. وهذا هو مفهوم الإعجاز التشريعي باختصار.

المُرادُ من الإعجاز التَّشريعي في القرآن

والمرادُ من الإعجاز التَّشريعي هو إثْبات نبوته النبي الله عليه وسلم وتصدِيْقه في البلاغ عن الله تعالى، وأن القرآن كلام الله حقًا ووحيه الذي أوحاه لنبيه صدقًا، وليس المراد هو إثبات الإعجاز فحسب كما قال ربنا: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ(49) (العنكبوت: ٤٨-٤٩).

وكما قال ربنا: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (الشورى: ٥٢)

المطلب الرابع: أبرز وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن

لا يمكن الإحاطة بجوانب الإعجاز التشريعي وبيان معالمه وضوابطه وأصوله كلها، ولكن فقط نشير إلى أبرز تلك المعالم والأصول، وذلك لعظم هذا الشأن وجلالة قدره ولا يحيط به إلا من تكلم به وأنزله سبحانه.

ولذا سنشير إلى أبرز تلك الجوانب التي تناول أهل العلم بيانها جملة وبشيء من الإيضاح مع بيان مبهمها وتفصيل مجملها, وبإيجاز نجمل بيان ذلك فيما يلي:

أ- شمولية أحكامه بحيث تستغرق جميع جوانب الحياة والتي من أبرزها ما يلي:

١- في جانب تنظيم العلاقة بين الراعي والرعية

حيث أمر الله بطاعة الولاة في المعروف وبين لهم أن المرجع عند التنازع هو حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩)، كما أمرهم بالتشاور بينهم لما في ذلك من جمع الكلمة وتأليف القلوب ووحدة الجماعة المسلمة فقال سبحانه: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (آل عمران: من آية ١٥٩).

٢- في مجال الحكم بين العباد بالقسط وإرساء قواعد العدل في المجتمع

قال تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المائدة:٤٢)

٣- في مجال المعاملات المادية وإثبات ضمان حقوق العباد فيما بينهم

قال تعالى في أطول آية في محكم كتابه: (يَآ أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ اِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ.....) (البقرة: من الآية ٢٨٢) وتأمل الآية إلى نهايتها، ثم تأمل تاليتها في قوله سبحانه:

(وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(البقرة: آية: ٢٨٣) ومثلها كثير في القرآن.

٤- في جانب الكسب أحل البيع وحرم الربا

كما قال تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة: ٢٧٥)

ولم يجعل المال محسورًا بين الأغنياء ولا يصل إلى الفقراء قال تعالى: (مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ) (الحشر: من آية٧) أي حتى لا يتداوله الأغنياء ولا يناله الفقراء.

وجعل للفقير حق في مال الغني فقال تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩)، ولذا فرض الزكاة في أموال الأغنياء لتُرد إلى الفقراء والمساكين ومن في نحوهم فقال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠)

٥- في جانب إرساء قواعد الوفاء بالعقود والعهود

ففي الوفاء بالعقود قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة: من آية ١)،

وفي الوفاء بالعهود قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (النحل: ٩١)

٦- في مجال حفظ قوام الأسرة المسلمة

فقد بين الله تعالى في القرآن كل ما يتعلق بالأسرة من أحكام وهو ما يسمى بالمعنى المعاصر بـ " قانون الأحوال الشخصية "، فبين أهداف تكوينها كما بين مراحل هذا التكوين والسبل المؤدية لسعادتها واستقرارها.

فبين كل ما يتصل بذلك وما يتعلق به من أحكام، كأحكام النكاح وعقوده، والنفقة والحضانة والطلاق والظهار واللعان والخلع والإيلاء والرجعة والعدة والرضاع وقواعد حقوق القرابة والمواريث وما يتعلق بذلك كله، وتوسع في أحكامها وجعلها مرنة قابلة لاجتهاد العلماء والفقهاء وأهل الاستنباط للأحكام بما يوافق الزمان والمكان، ولك أن تتأمل ذلك كله في مواضع شتى من كتاب الله تعالى،

في النكاح: قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١)

وفي الطلاق وأحكامه: قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا) (الطلاق:١) ولك أن تتأمل ما تلاها من آيات ليكتمل أمام ناظريك عناية الله بعباده ولطفه بهم حتى في قضايا الطلاق وما يتعلق به من أحكام، ولا شك أن هذا من أعظم الدلائل على كمال الشريعة من كل وجه، كما أنه من أعظم البراهين الدالة على كمال الجانب الإعجازي التشريعي في كتاب الله تعالى.

وفي حقوق الأولاد: قال تعالى: (...وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...) (البقرة: ٢٣٣)

وفي تقسيم المواريث: قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ . ابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ١١)

٧-الجانب الجنائي:

والجانب الجنائي يُعد من أعظم البراهين الدالة على عظم شأن التشريع الذي حكم الله فيه بين عباده وأنزله شرعة محكمة في كتابه، وهو سبحان أعلم بما يصلح شأن عباده كما قال سبحانه: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك:١٤).

وقد بين الله أنواع الجرائم في كتابه وبين حرمتها وحذر من اقترافها بل حذر كذلك من اقترابها، ولما شرع في حق مرتكبها عقوبة بنى تلك العقوبة على أساس من العدل والمساواة والرحمة وجعلها زاجرة ورادعة لمرتكبها، وتحذيرًا وتخويفًا وتهديدًا لكل من تسول له نفسه بالاقتراب منها أو اقترافها كما قال ربنا: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:١٧٩)، وفي ذلك كله حفاظًا على أمن الفرد والجماعة المسلمة، وإرساء لقواعد الأمن والسلامة ليعيش المجتمع المسلم الحياة الطيبة الهنيئة المطمئنة.

٨- جانب تحقيق مصالح العباد وسلامة المُجتمع:

ومن أجل تحقيق هذا المطلب العظيم الذي به قوام المجتمع المسلم وسلامته من الآفات والمهلكات تقرر في التشريع القرآني الحفاظَ على الكليَّات أو الضرورات الخمس والتي هي:

١-حفظ الدين

٢-حفظ النفس

٣- حفظ النسل(العرض)

٤- حفظ العقل

٥- حفظ المال

ثم حفاظًا على هذه الضرورات الخمس وحماية لجنابها شرع في حق من اقترفها حدًا رادعًا وعقوبة زاجرة لكل من اقترفها، وتحذيرًا وتخويفًا وتهديدًا لمن تسول نفسه بالاقتراب منها أو اقترافها كما مر معنا بيان ذلك في بيان الجانب الجنائي.

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله–:**

"قد اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري". (249)

وقال الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) **– رحمه الله–:**

"ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ورفعها مصلحة.

وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح". (٢٥٠)

ولقد توافرت دلالات الكتاب العزيز على وجوب حفظ هذه الضروريات الخمس، وقد وردت في كتاب الله تعالى آيات كثيرة مجتمعة ومتفرقة تحفظ تلك الكليات وتصون تلك الضرورات من جانب الوجود ومن جانب العدم.، ومن أمثلة الآيات التي وردت مجتمعة في ذلك من كتاب الله ما يلي:

249- الموافقات (٨٣/١)، وانظر بالتفصيل: (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية) للدكتور: محمد سعد اليوبي ص(١٨٣) وما بعدها

٢٥٠- المستصفى (٤٨٢/٢).ويُنظر: محاسن الإسلام من خلال حفظه للضروريات الخمس، مقال من موقع المنبر.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١- قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

ففي هذه الآيات الكريمات السابقات تظهر العناية بحفظ هذه الضرورات ظهورًا جليًا واضحًا.

أ-فقد جاء حفظ الدين في النهي عن الشرك في قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)[الأنعام: ١٥١]

ب-وجاء حفظ النفس في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَدَكُمْ مّنْ إمْلاق) [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى:(وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاّ بِٱلْحَقّ) [الأنعام: ١٥١]

ج-وجاء حفظ النسل: في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) [الأنعام: ١٥١]

د- وجاء حفظ المال: في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) [الأنعام: ١٥٢]

هـ - وأما حفظ العقل: فإنه يؤخذ من مجموع التكليف بحفظ الضرورات الأخرى؛ لأن الذي يفسد عقله لا يمكن أن يقوم بحفظ تلك الضرورات كما أمر الله، ولعل في ختام الآية الأولى: (ذلِكُمْ وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الأنعام: ١٥١] ما يدل على ذلك. (251)

٢- وقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ

251- الإسلام وضرورات الحياة (ص ١٦- ١٧). ويُنظر، محاسن الإسلام من خلال حفظه للضروريات الخمس، مقال من موقع المنبر

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٢٣- ٣٦].

أ- جاء ما يدل على حفظ الدين: في قوله سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ). [الإسراء: ٢٣].

ب- وجاء حفظ المال: في قوله تعالى: (وَءاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا). [الإسراء: ٢٦] وفي قوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ) [الإسراء: ٣٤] وقوله تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) [الإسراء: ٣٥]

ج- وجاء حفظ النفس: في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ) [الإسراء: ٣١]

وقوله تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلحَقّ) [الإسراء: ٣٣]

د- وجاء حفظ النسل: في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً) [الإسراء: ٣٢]، والزنا من أعظم الفواحش ويكفي وصف الله له بأنه فاحشة.

د- وأما حفظ العقل: فقد سبق بيانه إثر الدليل السابق، فهذه الآيات نصوص محكمة تدل على عناية الشريعة بهذه الضروريات، وأن حفظها هو مقصد الشارع الحكيم من شريعته.

٣- وقوله تعالى: {يأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الممتحنة: ١٢]

أ- جاء حفظ الدين: في قوله تعالى:(لا يشركن بالله)

ب- وجاء حفظ النفس: في قوله تعالى:(ولا يقتلن أولادهن)

ج- وجاء حفظ النسل: في قوله تعالى:(ولا يزنين)

د - وجاء حفظ المال: في قوله تعالى:(لا يسرقن)

هـ- وجاء حفظ العقل: على نحو ما ذُكر في الدليلين السابقين من آيات الأنعام، والإسراء.

ونضيف إلي ما سبق بيانه أيضًا أنَّ من يقوم بما دلت عليه تلك الآيات فهذا دلالة رجحان عقله، ومن فعل خلاف ما أرشدت إليه فهذا دلالة على فساد عقله.

وكما أن حفظ الكليات أو الضرورات الخمس ورد في القرآن جملة في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، فإنه قد ورد كذلك كثيرًا مفردًا في مواضع شتى من كتاب الله، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظم شأن هذه الضرورات وأن حياة البشر لا يمكن أن تقوم وتستقيم إلا بها، ونسوق منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ما يلي:

١- حفظ الدين:

لقد قرَّر الإمام الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ)**- رحمه الله- أنَّ حفظ الدين يقوم على جانبين**

الأول: حفظ الدين من جانب الوجود، وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده.

الثاني: حفظ الدين من جانب العدم، وذلك برفع الفساد الواقع أو دفع الفساد المتوقع". (٢٥٢)

أما عن حفظ الدين من جانب الوجود(الطلب):

فقد بين الله في كتابه أن الدين الحق الذي لا يرتضي دينًا سواه هو الإسلام كما قال سبحانه: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران: ٨٥].

وبيَّن لعباده أنه قد أكمل لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، وأنه لا يحق لأحد من خلقه أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه فقال سبحانه: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...(٣)﴾[سورة المائدة].

وفي جانب الوجود قال تعالى :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وأما عن حفظ الدين من جانب العدم(المنع):

فقد جاءت الأوامر بحفظ الدين من جانب العدم في كتاب الله في مواطن عدة، ومنها ما ورد في النهي عن كل ما يخل بجناب التوحيد ويوقع في الشرك، قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) الآية [الأنعام ١٥١]،

فشرع الله لعباده الجهاد في سبيله لحماية التوحيد وإقامة الدين، وحتى تزول فتنة الشرك والكفر التي في زوالها إبقاء للدين، قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ) [الأنفال: ٣٩].

٢٥٢- الموافقات، الشاطبي: (٢ / ١٨) تحقيق: مشهور حسن آل سلمان.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد جمع الله حفظ جانبي الوجود والعدم جميعًا في آية واحدة:

فقال سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: ٣٦).

٢- حفظ النفس:

وكذلك حفظ النفس، حفظها الله تعالى في كتابه من جهة الوجود ومن جهة العدم

فأما عن حفظها من جانب الوجود: فقال تعالى:) وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) (النساء: ٢٩)

وأما عن حفظها من جانب العدم: فقال تعالى﴿...مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِي الاَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنَ اَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...(٣٢)﴾ [سورة المائدة].

٣- حفظ النسل(العرض):

وكذلك حفظ النسل، حفظه من جانب الوجود ومن جانب العدم،

أما عن حفظ النسل من جانب الوجود: فقد رغب في النكاح فقال سبحانه: (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ][النور: ٣٢].

أما عن حفظ النسل من جانب العدم: فقد حرم قربان الفواحش فقال سبحانه: ﴿...وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...(١٥١)﴾ [سورة المائدة].

وحرم كذلك قربان الزنا بتحريم كل الطرق والسبل المؤدية إليه بداية بالنظر الحرام ومرورًا بمصافحة الأجنبية والخلوة بها إليه فقال سبحانه: (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى) (الإسراء: ٣٢).

وشرع حد الزنا حماية للعرض وصيانة للنسل وحفظًا له وإبقاء عليه في حدود ما أباحه من النكاح والتسري فقال سبحانه: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) (النور: ٢)، كما شرع لحمايته كذلك حد القذف.

٤-حفظ العقل: حفظه من جانب الوجود ومن جانب العدم

إن العقل نعمة عظيمة من أجل نعم الله التي أنعم بها على خلقه، التي تميز بها الإنسان عن الحيوان الأعجم، وبها تحفظ عليه كرامته، وبها يميّز النافع من الضارّ والحسن من القبيح، وبها يميز سبل الهدى والرشاد من سبل الغواية والضلال،

وعليها يدور مدار التكاليف الشرعية التي يترتب عليها المساءلة والمحاسبة والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فجاءت الشريعة بحفظها تلك النعمة والمحافظة عليها وتحريم كلَّ ما يذهبها أو يُخلُّ بوظائفها؛ من خَمْر ومُسْكر، ومُفَتِّر ومُخَدِّر، فحذر منها ورتب على من تجاوز حدود الله فيها بتعاطيها حد الجلد، وحفظها من جانب الوجود والعدم.

فأما عن حفظ العقل من جانب الوجود:

فقد حثَّ الله تعالى عباده طلب العلم ورغبه فيه بقوله سبحانه: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. } [العلق: ١–٥]، ولا تتم هذا النعمة العظيمة لمخلوق إلا بالإدراك بواسطة العقل الذي هو مناط التكليف، والآيات التي تخاطب العقل في القرآن أكثر من أن تُحصى كثرة وعددًا، وتنوعًا في الخطاب والأسلوب، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: ٢٤].

وأما عن حفظ العقل من جانب العدم:

فقد حرم الخمر كما حرم المسكرات والمخدرات بكل أنواعها، وقد الله أمر الله عباده باجتنابها ووصفها في كتابه بأشنع وصف تحقيرًا لها ولشأنها، وتنفيرًا لعباده من اقترافها فقال سبحانه: ﴿ يَآ أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنصَابُ وَالاَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّن عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠)﴾[سورة المائدة].

ثم أعقب تلك الآية ببيان بعض الآثار السيئة المترتبة على تعاطيها، وأنها من أعظم الأسباب الجالبة والموقعة للعداوة والبغضاء فيما بينهم، فبيَّن تعالى أنَّ الخمر لها تأثير سيء على متعاطيها، وأنها من أعظم جلب العداوة والبغضاء التي تقع بينهم، فمن غاب عقله بتعاطيها، فإنَّه لا غرابة في أن يعتدي على عباد الله، ولا غرابة في أنها تقوده وتوقعه في الموبقات كلها، لما لا وهي أم الخبائث.

قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاء فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ} [المائدة:٩١].

٥–حفظ المال: حفظه من جانب الوجود ومن جانب العدم

فأما حفظه من جانب الوجود:

فقد حث على السعي في طلب الرزق من وجوهه المشروعة، فأباح للعباد المعاملات التي يحتاجون إليها في صلاح معاشهم، فأباح لهم أنواعًا شتى من العقود كالبيع والإجارة والرهن والشركة والمساقاة والمزارعة وغيرها ورغبهم في طلب الرزق الحلال وفتح لهم أبواب طلبه بيعًا وشراءً وتجارة، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك:١٥).

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله–:

" أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا إلا أن ييسره الله لكم". (٢٥٣).

وأمر الله عباده بكتابة الدين والإشهاد عليه حفظًا على حقوقهم المالية فيما بينهم، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ} إلى قوله سبحانه {وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ}[البقرة:٢٨٢].

وأما حفظه من جانب العدم: فحرم الربا وحرم الخيانة والغش بأنواعه والتعدي على أموال الناس بكل صوره، وحرم أكلها بالباطل وذم التبذير ونهى عنه، كما حرم السرقة وحد لحفظ المال حد السرقة.

ففي النهي أكل الأموال بالباطل قال تعالى: ﴿وَلاَ تَاكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَاكُلُواْ فَرِيقًا مِّنَ اَمْوَالِ النَّاسِ بِالاِثْمِ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(١٨٨)﴾[سورة البقرة].

وفي ذم التبذير قال تعالى: (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(27)) (الإسراء: ٢٦-٢٧) فذمه وعابه ووصفه بأسوأ وصف تنفيرًا لعباده منه.

وفي عقوبة السرقة أوجب حد القطع ليحفظ على العباد أموالهم التي بها قوام معيشتهم، وليزجر به كل من تسول نفسه التعدي على أموال الناس بالسرقة فقال سبحانه:﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٣٨) فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣٩)﴾[سورة المائدة].

المطلب الخامس: القرآن هو المعجزة الكبرى التي وقع بها التحدي

إن القرآن الكريم هو كتابُ اللهِ تعالى المعجِزُ بلفظه الذي تَحَدَّى الله تعالى به الأوَّلين والآخِرين مِن الإنس والجنِّ على أنْ يأتوا بمثله، كما قال تعالى: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨) فعجَزُوا عن ذلك عجزًا بيِّنًا تامًا، وهو مُعجِزة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم التي تُثبِت نبوَّته ورسالته، وقد كان كلُّ نبيٍّ يُرسِله اللهُ تعالى إلى قومه مُؤَيَّدًا بمُعجِزة تأييدًا له في دعواه؛ ولقد كانت مُعجِزة رسولنا صلى الله عليه وسلم هذا القرآنَ.

٢٥٣- تفسير ابن كثير ٤/٤٢٤

شبكة الألوكة www.alukah.net

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يختلف عن سائر النبيين والمرسلين، في كونه صلى الله عليه وسلم خاتمهم فلا نبي بعده، وكون دعوته عامة لجميع الثقلين، وكونها باقية إلى قيام الساعة، فناسب ذلك أن تكون آية نبوته ورسالته العظمى الدالة على صدقه باقية كذلك إلى قيام الساعة، وأن تكون محفوظة بحفظ الله لها من أي زيادة أو نقصان، محفوظة من أي تغيير أو تبديل كما قال ربنا: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)، ولابد أن تكون حجة لمن بلغته الرسالة، وأن يقيم الله بها الحجة على جميع المعاندين خاصة، ويهدي بها الله كذلك من شاء من عباده ممن شرح الله صدورهم للإسلام وأنار بصائرهم بالقرآن من أصحاب القلوب السليمة والفطر السويَّة، فكانت آيته العظمى الدالة على صدق نبوته ورسالته هذا القرآن، وإن كانت لكافية لبلوغ الحجة وإيضاح المحجة وهي تُغني عن أية معجزة أخرى، وقد قصد بها التحدي والإعجاز، ومع ذلك فقد أعطاه الله تعالى أيضًا من الآيات الحسية التي هي أكثر من أن تُحصى كتكثير الماء ونبْعه من بين أصابعه الشريفة، وتكثير الطعام القليل؛ ليشبع العدد الكثير، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسليم الحجر، وامتثال جبل أحد لأمره صلى الله عليه وسلم لما قال له: "اسكن أُحد" (٢٥٤)، وغير ذلك من المعجزات الحسية، والتي لم يُقصد بها التحدي، وهذا هو منهج أهل السنة في تعريفهم للمعجزة، خلافًا للأشاعرة ومن نحى نحوهم وهم الذين قالو أن المعجزة قُصِدَ بها التحدي، وسيأتي معنا-بإذن الله- في طيات البحث في موضعه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للمعجزة عند أهل السنة والجماعة في كتابه الماتع "النبوات"، وأن شرط التحدي لا يُعرف عند أهل السنة، وإنما هومن قول الأشاعرة ومن نحى نحوهم.

ولقد روى البخاريُّ بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (٢٥٥)

قوله: (وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيا أَوْحَى الله إِلَيَّ):

٢٥٤- فعن أنس - رضي الله عنه - قال: صعِد النبي - صلى الله عليه وسلم - أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجَف، فقال: (اسكُن أُحد - أظنُّه ضربه برِجله - فليس عليك إلا نبي وصِدِّيق، وشهيدان). البخاري (٣٦٩٧).

٢٥٥- أخرجه البخاري في: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل: حديث: (٤٩٨١)، ومسلم حديث: (١٥٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) **– رحمه الله–:**

" اختلف فيه على أقوال؛

أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال أنا أكثرهم تابعًا....

والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع بلوغ كمال الإعجاز في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة". (٢٥٦)

والمعنى الأخير هو الأظهر، وقد اختاره الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) **– رحمه الله– وقد قال بعدما أورده:**

" وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده، وقيل المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرًا". (٢٥٧)

وليس المراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآية العظمى والأعم والأبقى.

ويقول – رحمه الله– أيضًا–:

" وليس المراد حصر معجزاته فيهن ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره". (٢٥٨)

فالقرآن الكريم إذًا هو مُعجِزة رسولنا صلى الله عليه وسلم، الذي أَعْجَزَ الخَلْقَ أن يأتوا بمثله، وقد تَحَدَّاهم الله أن يأتوا بمثله فعجَزُوا، وإنما كان إثبات نُبُوَّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بُنِيَتْ

٢٥٦– شرح النووي لصحيح مسلم: (٢/ ٣٦٤). بتصرف يسير من الباحث.

وقد سبق ذكره وتخريجه بطوله: وذلك في المطلب الرابع: شمولية إعجاز القرآن، من المبحث الأول: القرآن معجز بلفظه ومتحدى به(في الفصل الثاني).

٢٥٧– الفتح: (٩/ ٧).

٢٥٨–الفتح: (٩/ ٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

على هذه المعجِزة الخالدة الباقية، وهذه المعجزة قرينة الرسالة، وهي مُعجِزة قد عمَّتْ عموم الثَّقَلَيْن، وهي باقِيَة بقاءَ الدهر، ولُزُوم الحجَّة بها ماض مِن أوَّل وُرودها إلى أن يرث اللهُ تعالى الأرضَ ومن عليها.

قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) (التوبة: ٦)

أي: وإنِ استأمَنَك- يا محمَّدُ- أحدٌ مِن المشرِكينَ الذين أمرتُك بقِتالِهم، فأمِّنْه حتى (٢٥٩) تتلوَ عليه القرآنَ، ويسمعَه، ويفهمَ ما أُنزِل عليك؛ ليكونَ على بصيرةٍ مِن أمرِه، وتقومَ عليه حُجَّةُ اللَّهِ.(٢٦٠)

وعليه: فلو لم يكن سماع القرآن يُعَدُّ حجَّة على من سمعه لم يُوقف أمْر المشْرك على سماعه، ولا يمكن أي يكون القرآن حجَّةً إلَّا إذا كان معجزة أولًا كذلك.

وإعجاز القرآن باقٍ أبد الدهر، والتحدي به باق بقاء الدهر كذلك، وبقاء إعجازه دليلٌ على بقاء تلك الرسالة الخاتمة، ودلالة على عمومها لجميع البشَر، وبقاؤها بقاءٌ لتلك الشريعة الخاتمة كذلك، فهي إذًا شريعة خاتمة خالدة باقِيَة بقاء الدهر.

والقرآن الكريم كتاب الله تعالى هداية للبشرية قاطبة، أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وليهدي به من شاء من عباده سبل السلام، ويرشدهم به لأحسن الطرق وأقوم السبل، ويدلهم على أسباب صلاح أحوالهم في الحال والمآل، ويبصرهم بأسباب سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

قال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٥-١٦)

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"أي: يهديهم هذا القرآن إلى طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة، وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة." (٢٦١)

٢٥٩- تفسير الفخر الرازي: (١٥/٥٣١).

٢٦٠- تفسير ابن كثير (٤/ ١١٣-١١٤).

٢٦١- المرجع السابق: (٢/ ٤٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال سبحانه: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (إبراهيم:١).

"أي: هذا القُرآنُ كتابٌ عظيمٌ أنزَلْناه إليك- يا مُحَمَّدُ- لتُخرِجَ به النَّاسَ- عرَبَهم وعَجَمَهم- مِن ظُلماتِ الكُفرِ والجَهلِ والمعاصي إلى نورِ الإيمانِ والعِلمِ والطَّاعةِ، وذلك بإرادةِ اللهِ تعالى وتوفيقِه لهم؛ فهو الهادي لِمَن قدَّرَ له الهدايةَ على يَدَي رسولِه المبعوثِ عن أمرِه سُبحانَه". (٢٦٢)

فإذا عُلِمَ ذلك فلا ينبغي محاولة لي عنق النصوص بعاطفة أو غيرها من الدوافع إلى الخروج بآيات كتاب الله تعالى عن سياقها الذي سيقت من أجله، وأنزلت له،

قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (الشورى: ٥٢)

يقول مالك بن دينار (ت: ٧٤٨هـ): "الروح هو القرآن، وسماه روحًا لأن فيه حياة من موت الجهل". (٢٦٣)

و"لأنه يُهتدى به، ففيه حياة من موت الكفر". (٢٦٤)

ويقول ابن سعدي(ت: ١٣٧٦) – رحمه الله–:

وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحًا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. (٢٦٥)

٢٦٢- يُنظر: تفسير الطبري (٥٨٨/١٣)، تفسير القرطبي(٣٣٨/٩)، تفسير ابن كثير (٤٧٦/٤)، تفسير ابن سعدي (ص: ٤٢١)، تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٢٤١/٢).

٢٦٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٣/١٦).

٢٦٤-فتح القدير (١٣٣٤/١).

٢٦٥-تفسير السعدي (١٦٠٢/٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير

وفيه خمسة مباحث:

توطئة:

حينما شاع في عصرنا الحاضر وكثرة البحث فيما يُسمى بـ "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم"، أخذا الباحثون في هذا الجانب يتعرضون لكلام الله تعالى بتلك الطريقة جاعلين البحوث العلمية أساسًا لتفسير كلام الله تعالى ضاربين عُرض الحائط بأسس وقواعد وطرق التفسير التي صار عليها السلف الصالح وتلقتها الأمة بالقبول والتي هي:

١- تفسير القرآن بالقرآن

٢- تفسير القرآن بالسنة

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين

٥ -تفسير القرآن بمدلولات اللغة.

وفي نحو ذلك روى الإمام عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، قال حدثنا الثوري **قال: قال ابن عباس** (ت: ٦٨) **– رضي الله عنهما –:**

" تفسير القرآن على أربعة وجوه:

الأول: تفسير يعلمه العلماء.

والثاني: تفسير تعرفه العرب.

والثالث: تفسير لا يعذر أحد بجهالته–يقول من الحلال والحرا.

والرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب". ([٢٦٦])

وهذا الأثر قد تُكُلِمَ فيه. ([٢٦٧])، إلا أن قبوله اشتهر عند علماء التفسير لأنه منطبق وموافق لواقع وحال التفسير.

٢٦٦- يُنظر: تفسير الطبري، ط: الحلبي (٣٤/١)، وإيضاح الوقف والابتداء (١٠١/١)، الدر المنثور: ٤٦٢/٣. وقد اعتمد الطبري (ت:٣١٠) على هذا الأثر في ذكر الوجوه التي من قِبَلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن، قال: «... ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله....

٢٦٧- وأثر ابن عباس رضي الله عنهما: قد أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/١) من طريق أبي الزناد عن ابن عباس به. قلت: وهذا إسناد منقطع؛ فأبي الزناد لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وتقسيم الحبر ابن عباس رضي الله عنهما: إنما هو تقسيم باعتبار القرآن نفسه وما احتواه من المعاني.

وفي نحو ذلك يقول الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) **– رحمه الله– في البرهان:**

للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما قاله الحاكم في تفسيره.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل (بلسان عربي مبين) (الشعراء:١٩٥). وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه –وقد سئل عن القرآن تمثل له رجل ببيت من الشعر، فقال: ما يعجبني. **فقيل:** ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد.

وقيل: الكراهة تحمل على من يصرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة، يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبًا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن مالك بن أنس(ت: ١٧٩هـ) **قال:**

لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا". (٢٦٨)

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). (٢٦٩). (٢٧٠).

وبهذه العلة ضعف الأثرَ الشيخُ المحقق عبد الله الجُدَيْع في كتابه النفيس ((المقدمات الأساسية في علوم القرآن)) (ص/٢٨٠).

إلا أن الأثر له إسناد آخر صححه بعضهم، وقد أخرجه الفريابي في القدر (٤١٤)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (١٢٨٥) من طريق :مُحَمد بن حرب الخولاني، حَدَّثَنَا أبو سلمة سليمان بن سليم، حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ عن أبي صالح مولى أم هانئ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٦٨– أثر مالك أخرجه البيهقي شعب الإيمان: (٢/٤٢٥)

٢٦٩– والحديث مروي بروايات وألفاظ متباينة ومتقاربة المعنى منها:

أ– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلاَءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: (مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟)، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) رواه البخاري (١٤٣)، ومسلم(٢٤٧٧)

ب– وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ) "رواه البخاري (٧٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الأول: المصدر الأول: تفسير القرآن بالقرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحسن طرق التفسير هي: تفسير القرآن بالقرآن

قد مر معنا في التوطئة بين يدي هذا المبحث الهام ذكر أسس وقواعد وطرق التفسير إجمالًا وهنا يُشْرعُ الكلام عليها تفصيلًا:

وإن أسس وقواعد وطرق التفسير هي التي صنف لها شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) كتابه الماتع المختصر" مقدمة في أصول التفسير"،

ويجيب على طريقة الفنقلة(٢٧١) **فيقول– رحمه الله–:**

"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر ". (٢٧٢)

ج– ما رواه الإمام أحمد في " المسند " (٤ / ٢٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي – أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، شَكَّ سَعِيدٌ – ثُمَّ قَالَ:

(اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة" (٦ / ١٧٣).

٢٧٠– يُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي: (ص: ٣٣).

٢٧١– **و"الفنقلة** "معناها "إذا قلتم كذا قلنا كذا."

ولقد جرى المحققون على" التفصيل" و" الفنقلة"، و"الفنقلة" عندهم منحوتةٌ، من قولهم: (فإن قيلَ، قلنا)، كالبسملة والحيعلة. وهي من أحسن الطرق في نفي الشبهة عن جواب المفتي والمدرّس، وتجدها عند أبي العباس وتلميذه . رحمهما الله .، ومن المعاصرين شيخنا ابن عثيمين رحمه الله ..

وقد قلتُ في ذلك:

إذا سطرْتَ جوابًا في مُساءلةٍ.....فحرّرِ القولَ فيها وفصّلِ

وبيّنِ الحكمَ فيها ولا تدَعْ.....تعقيبَ هذا باحترازٍ وفنقِلِ.

التفصيل والفنقَلَة، مقال لأبي عبد الله النجدي نقلًا عن موقع أهل الحديث. (د ت).

يُنظر: عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ: (٢/٤٠٥).

٢٧٢– مقدمة في أصول التفسير (ص/٩٣). مقدمة في أصول التفسير المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م عدد الأجزاء: ١.

ويقول – رحمه الله–:

وقد اصطلح على تسميتها بـ (طرق التفسير)، ذكر منها أربعة، وهي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين في التفسير. (٢٧٣)

وتفسير القرآن بالقرآن يُعد أول طريق من طرق تفسير القرآن وأبلغها.،

" وإنما يُرْجَع إلى القرآن لبيان القرآن؛ لأنه قد يَرِدُ إجمالٌ في آية تبيّنه آية أخرى، وإبهامٌ في آية توضّحه آية أخرى، وهكذا". (٢٧٤).

المطلب الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن

وتفسير القرآن بالقرآن على نوعين:

أما النوع الأول:

فقد يكون صريحًا جليًا، فيكون بذلك حجة ملزمة واجبة الاتباع، ولا يصح بأي وجه مخالفتها والحيد عنها.

وأما النوع الثاني:

فقد يكون اجتهادًا من المفسّر نفسه، ومن أمثلة ذلك جمع المفسّر بين الأشباه ونظائرها؛ وهذا النوع من التفسير لا شك أنه أقل درجة من النوع الأول، وذلك أن المفسّر أعمل فيه اجتهاده، واجتهاده هنا قد يصيب فيه كما أنه قد يخطئ فيه كذلك، وذلك كتفسير معنى ورد في آية بمعنى وارد في آية أخرى بنوع اجتهاد من المفسر، ومن ذلك أيضًا كتفسيره الآية المخصصة بآية عامة، وهو من باب حمل العام على الخاص، وكتفسير الآية المبيّنة بآية مجملة، وهو من باب حمل المجمل على المبين، وكتفسير الآية المقيدة بآية مطلقة، وهو من باب حمل المطلق على المقيد، وكتفسير الكلمة المبهمة في آية ما بكلمة أكثر منها اشتهارًا واستعمالًا منها في آية أخرى في موضع آخر، وأمثلة ذلك كثير في نوع تفسير القرآن بالقرآن الذي يعمل فيه المفسر اجتهاده.

٢٧٣- يُنظر: المرجع السابق: ص٩٣ وما بعدها.

٢٧٤- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تحقيق: طه شاهين، (ص:١١٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني: المصدر الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهميّة ومكانة تفسير القرآن بالسنّة

إن للسنّة النبويّة مكانة عظيمة في تفصيل وبيان ما أجمل في القرآن الكريم؛ كما لا يخفى أن النبي الله – صلّى الله عليه وسلّم– يُعَدّ المرجعَ الأوّل في إيضاح معاني آيات القرآن الكريم، لأنه مُؤيَّدٌ بالوَحي؛ كما أخبر ربنا بذلك في قوله سبحانه: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم: ٣–٤) وقد أوكل الله – تعالى– إلى رسوله – صلّى الله عليه وسلّم– مهمة بيان المجمل في القرآن الكريم إليه، وتوضيح ما المشكل فيه عليه كما قال ربنا في محكم كتابه وكلامه موجه إليه – صلوات الله وسلامه عليه–: (وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ) (النحل: ٤٤) ولذا فقد كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– حريصًا كل الحرص على بيان آيات القرآن الكريم لأصحابه الكرام –رضي الله عنهم–، وعلى إيضاح ما أشكل عليهم فَهمه؛ **وهذا ما عناه ابن مسعود**(ت: ٣٢هـ) **–رضي الله عنه– بقوله:** (ما من شيء إلا بُيِّن لنا في القرآن، ولكن فهمنا يقصر عن إدراكه، فلذلك قال تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ})(٢٧٥).

والإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) **– إمام أهل السنة– يدلل على هذا المعنى فيقول– رحمه الله–:**

"السنة عندنا آثار رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن"(٢٧٦).

وقال أبو عمرو بن العلاء البصريّ(ت: ١٥٤هـ)**–أحد القراء السبعة– رحمه الله–:** "الحديث يفسر القرآن"(٢٧٧).

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي(ت: ١٩٨هـ)**– – رحمه الله–:**

"الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب، الحديث يفسر القرآن"(٢٧٨).

---

٢٧٥ – أورده السيوطي في (مفتاح الجنة) ص ٥٨ رقم (١٠١)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

٢٧٦– أخرجه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) ١: ١٥٦ رقم (٣١٧)، وابن أبي يعلى في (طبقات الحنابلة) ١: ٢٤١، وهو جزء من نص طويل في بيان عقيدة الإمام أحمد بن حنبل.

فائدة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠: ٢٤٩) أن الإمام أحمد له رسالة مشهورة في الرد على من يزعم الاستغناء بظاهر القرآن عن تفسير سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

٢٧٧– ينظر: تهذيب الكمال ٣٤: ١٢٧.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد يُفهم التفسير من السنة كذلك- فعلية كانت أو قولية أو تقريرية- لأنها جاءت مبينة ومفصلة لمجمل القرآن وموضحة لمبهمة كذلك.

والسنة عند المحدّثين هي:

"ما أُثِرَ عن النَّبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ، أو فِعْلٍ، أو تقريرٍ، أو صِفةٍ خَلْقِيَّةٍ، أو سِيرةٍ سواء كان قبل البعثة أو بعدها". (٢٧٩)

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله–:

"عليك بالسُّنة؛ فإنها شارحة للقرآن، ومُوَضِّحة له". (٢٨٠)

ومَنَ عطَّل السُّنةَ فقد عطَّل القرآن، وفي نحو ذلك يقول أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ (ت:١٣١هـ) **– رحمه الله–:**

"إذا سمعتَ أحدَهم يقول: لا نريدُ إلاَّ القرآنَ! فذاك حين ترك القرآنَ". (٢٨١)"

فالسختياني – رحمه الله– هنا يبين ويجلي حقيقة هامة ألا وهي: أن من ترك السنة وجحدها فهو في الحقيقة إنما هو تارك للقرآن نفسه؛ لأن الله أمر في القرآن بالأخذ بالسُّنة، وهي خير بيانٍ للقرآن الكريم وأتمه وأوفاه؛ وهي وحي كذلك من الله تعالى كالقرآن تمامًا.

وقال ابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧هـ)–رحمه الله–:

"إن الله عز وجل ابتعث محمدًا رسوله –صلى الله عليه وسلم– إلى الناس كافة، وأنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء، وجعله موضع الإبانة عنه: فقال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)، وقال عز وجل: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي اخْتَلَفُوا فيهِ}. (النحل: ٤٤) فكان رسول الله صَلى الله عَليه وسَلم هو المبين عن الله عز وجل أمره، وعن كتابه معاني ما خُوطب به الناس، وما أراد الله عز وجل به وعني فيه، وما شرع من معاني دينه وأحكامه وفرائضه وموجباته وآدابه ومندوبه وسننه التي سنها، وأحكامه التي حكم بها وآثاره التي بثها. فلبث صَلى الله عَليه وسَلم بمكة والمدينة ثلاثًا وعشرين سنة، يقيم للناس معالم الدين، يفرض الفرائض، ويسن السنن، ويمضى الأَحكام ويحرم الحرام ويحل الحلال، ويقيم الناس على منهاج الحق بالقول والفعل.

٢٧٨- أخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) ٢: ١٨٦، وفي (الكفاية) ص ١٦.

٢٧٩- يُنظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (ص٤٧)؛ مكانة السنة في التشريع الإسلامي، د. محمد لقمان السلفي، (ص: ١٧).

٢٨٠- تفسير ابن كثير (١/ ٤).

٢٨١- رواه الهروي في (ذم الكلام)، (٢/ ٥٩)، (رقم٢١٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلم يزل على ذلك حتى توفاه الله عز وجل وقبضه إليه صَلى الله عَليه وسَلم وعلى آله أفضل صلاة وأزكاها، وأكملها وأذكاها، وأتمها وأوفاها فثبت عليه السلام حجة الله عز وجل على خلقه بما أدي عنه وبين، وما دل عليه من محكم كتابه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما بشر وأنذر. قال الله عز وجل: (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ). (النساء: ١٦٥). (٢٨٢)

ويقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله– مبيّنًا عِظَمَ منزلة السنة من القرآن:

"كان السَّلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ على مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِرَأْيٍ أو قِيَاسٍ أو اسْتِحْسَانٍ أو قَوْلِ أَحَدٍ من الناس كَائِنًا مَنْ كان، وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذلك، وَيُنْكِرُونَ على مَنْ يَضْرِبُ له الأَمْثَالَ، وَلاَ يُسَوِّغُونَ غير الانْقِيَادِ له وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلاَ يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ في قَبُولِهِ حتى يَشْهَدَ له عَمَلٌ أو قِيَاسٌ أو يُوَافِقَ قَوْلَ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (الأحزاب: ٣٦) (٢٨٣).

ونفى – رحمه الله – أن يكون هناك ثم تعارض بين نصوص الشريعة، ومَنْ ظنَّ ذلك فإنما أوتى من سوء فهمه، فقال:

ونُصوصُهُ ليست تُعارِضُ بعضها.....بعضًا فَسَلْ عنها عليمَ زمانِ

وإذا ظننتَ تعارُضًا فيها فذا .....مِنْ آفةِ الأفهامِ والأذهانِ

أو أنْ يكونَ البعضُ ليس بثابتٍ.....ما قالَهُ المبعوثُ بالقرآنِ. (٢٨٤)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم. (٢٨٥)

---

٢٨٢ – يُنظر: مقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: (١/١). الجرح والتعديل المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٢٨٣– إعلام الموقعين، (٤/ ٢٤٤). إعلام الموقعين عن رب العالمين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م عدد الأجزاء:٤.

٢٨٤– يُنظر: نونية ابن القيم، المسومة بـ "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية": (ص: ٥٩٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: الرد على مَنْ يدَّعي الاستغناءَ عن السُّنة بالقرآن

عن الحسن قال: بينما عِمرانُ بنُ حُصينٍ – رضي الله عنه – جالس وعنده أصحاب له يُحدِّثهم، فقال رجل: لا تُحَدِّثُنا إلاَّ بالقرآن، أو لا نريدُ إلاَّ القرآن، فقال:

"أرأيتَ لو وُكِلْتَ أنتَ وأصحابُك إلى القرآن، أكنتَ تجدُ صلاةَ الظهر أربعًا وصلاة العصر أربعًا؟ وصلاة المغرب ثلاثًا يقرأ في الركعتين الأُوليين، أرأيتَ لو وُكِلْتَ أنت وأصحابُك إلى القرآن، أكنتَ تجدُ في كلِّ مائتين خمسة؟([٢٨٦]) وفي الإبل كذا وكذا، وفي البقر كذا وكذا؟ أرأيتَ لو وُكِلْتَ أنت وأصحابُك إلى القرآن، أكنتَ تجد الطوافَ بالبيت سبعًا؟ وبين الصفا والمروة كذا وكذا". (٢٨٧)

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **أنَّ السنة مفسر القرآن، فيقول – رحمه الله–:**

"سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي التي تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه، فالسنَّة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن للناس لفظ القرآن ومعناه". ([٢٨٨]).

وعن علاقة بيان السنة للقرآن يقول ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله– في الطرق الحكمية:**

"والذي يجب على كل مسلم اعتقاده: أنه ليس في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة سنَّة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

المنزلة الأولى: سنَّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

المنزلة الثانية: سنَّة تفسر الكتاب، وتبين مراد الله منه، وتقيد مطلقه.

المنزلة الثالثة: سنَّة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب، فتبيّنه بيانًا مبتدأً.

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة وقد أنكر الإمام أحمد على من قال " السنة تقضي على الكتاب " فقال : بل السنَّة تفسر الكتاب وتبينه.

والذي يشهد الله ورسوله به أنه لم تأت سنَّة صحيحة واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض كتاب الله وتخالفه ألبته، كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين لكتاب الله، وعليه

٢٨٥- مجموع الفتاوى: (٢٧/١٣).

٢٨٦- يعني من الغنم.

٢٨٧- رواه الطبراني في (الكبير)، (١٨/ ١٥٦)، (رقم٣٦٩)؛ والحاكم في (المستدرك)، (١/ ١٩٢)، (رقم٣٧٢)؛ والهروي في (ذم الكلام)، (٢/ ٨٠)، (رقم٢٤١)؛ وابن حجر في (المطالب العالية)، واللفظ له، (١٢/ ٧٣٤)، (رقم٣٠٩٨).

٢٨٨- مجموع الفتاوى (١٧٦/٤) .

شبكة الألوكة www.alukah.net

أنزل، وبه هداه الله، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده؟!.

ولو ساغ رد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب لردت بذلك أكثر السنن، وبطلت بالكلية.

وما من أحد يُحتج عليه بسنَّة صحيحة تخالف مذهبه ونحلته إلا ويمكنه أن يتشبث بعموم آية، أو إطلاقها، ويقول: هذه السنة مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تقبل.

حتى إن الرافضة قبحهم الله سلكوا هذا المسلك بعينه في رد السنن الثابتة المتواترة، فردوا قوله صلى الله عليه وسلم (لا نُورث ما تركنا صدقة) (٢٨٩) وقالوا: هذا حديث يخالف كتاب الله، قال تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) (النساء من الآية : ١١).

وردت الجهمية ما شاء الله من الأحاديث الصحيحة في إثبات الصفات بظاهر قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى من الآية:١١).

وردت الخوارج من الأحاديث الدالة على الشفاعة، وخروج أهل الكبائر من الموحدين من النار بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردت الجهمية أحاديث الرؤية مع كثرتها وصحتها بما فهموه من ظاهر القرآن في قوله تعالى (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الأنعام من الآية:١٠٣).

وردت القدرية أحاديث القدر الثابتة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردت كل طائفة ما ردته من السنة بما فهموه من ظاهر القرآن.

فإما أن يطرد الباب في رد هذه السنن كلها، وإما أن يطرد الباب في قبولها، ولا يرد شيء منها لما يفهم من ظاهر القرآن، أما أن يرد بعضها ويقبل بعضها – ونسبة المقبول إلى ظاهر القرآن كنسبة المردود –: فتناقض ظاهر.

وما مِن أحد رد سنَّة بما فهمه من ظاهر القرآن إلا وقد قبل أضعافها مع كونها كذلك.

وقد أنكر الإمام أحمد والشافعي وغيرهما على من ردَّ أحاديث تحريم كل ذي ناب من السباع

٢٨٩-أخرَجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النَّضير(٦٧٢٥)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة (١٧٥٧) من طريق يحيى بن يحيى، قال: أخبَرنا سفيان بن عُيينة عن مَعْمرٍ عن الزُّهْري. والحديث مَرْوي في الصحيحين من طرق كثيرة مُطَوَّلة ومُختصرة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

بظاهر قوله تعالى (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا) (من الآية : ١٤٥) وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من رد سنَّته التي لم تذكر في القرآن، ولم يدَّعِ معارضة القرآن لها: فكيف يكون إنكاره على من ادعى أن سنَّته تخالف القرآن وتعارضه؟ ". (٢٩٠)

وللعلامة المحدث شيخنا الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) **– رحمه الله – رسالة بعنوان:** " منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن" فمن أراد الاستزادة فليرجع إليها لما فيها من عظيم النفع وجليل الفائدة.

المبحث الثالث: المصدر الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة – رضي الله عنهم–

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مكانة جيل الصحابة – رضي الله عنهم–

لقد دلت نصوص الوحيين ومن بعدها الشواهد التاريخية والوقائع الفعلية على أن جيل الصحابة رضى الله عنهم أفضل أجيال هذه الأمة المرحومة, وأن لهم من الفضل والسبق وعلو القدر والمكانة ما ليس لغيرهم, فهم أعلم هذه الأمة وأتقاها وأخلصها وأصفاها وأحقها بالاتباع, وأهل السنة والجماعة يبجلونهم لما لهم من السبق للإسلام ونصرة الدين وحسن الصحبة لخاتم النبين والمرسلين صلى الله عليه وسلم، ولما قاموا به من أعمال جليلة عظيمة من الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته سبحانه وتعالى والذب عن حياض دينه ونشره في أرجاء المعمورة, وبذل مهجهم وأرواحهم لتمكين دين الله في الأرض, ولما خصهم الله تعالى به من الشهادة لهم بالصدق والإيمان, وبما تحقق لهم من رضاه سبحانه عنهم والتوبة عليهم, ولما تحقق لهم من محبة نبيهم صلى الله عليه وسلم ورضاه عنهم وشهادته سبحانه لهم بالفضل والخيرية وعلو المنزلة وأنهم خير قرون هذه الأمة, ولما نهى عموم الخلق عن التعرض لهم بالسب والأذى, وقد دأبت الأمة جيلًا بعد جيل على الترضي عنهم وذكر محاسنهم وإفشاء مناقبهم وذكر فضائلهم لتتأسى بهم الأجيال وتتخذهم قدوة وأسوة حسنة.

وهم الذين اصطفى الله بعد الرسل، كما في قوله سبحانه: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُون} [سورة النمل:٥٩].

قال سفيان: "هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم". (٢٩١)

٢٩٠-الطرق الحكمية: (٦٥ – ٦٧) الطرق الحكمية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة دار البيان الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ عدد الأجزاء: ١.

ولقد كان القرآن منذ مهد التنزيل هو شغلهم الشاغل- رضي الله عنهم-، وهو المرجع الرئيس في ذلك لهم، فهم يتلونه في صلواتهم ومحاريبهم، ويرتلونه في ليلهم ونهارهم.

ولقد كانوا عربًا خلصًا يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومقاصده ومراميه، ولا يعكر هذا الفهم عليهم أي عجمة، فالعربية كانت سليقتهم بطابع الجبلة والصبغة والفطرة، مع ما أكرمهم الله به من حسن الديانة وسلامة المعتقد وحسن التلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)- رحمه الله- مبينًا لمكانتهم وأهمية لزوم طريقتهم:

"علموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامًّا وخاصًّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يُرضى، أو حُكيَ لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه سنة، إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله". (٢٩٢)

ويقول الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) - رحمه الله-:

"وإنَّ تأْويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه، أو أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيله، وما قصه الله له في القرآن، وما عني به، وما أراد به أخاصٌّ هو أم عامٌّ، فأمَّا من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من الصحابة، فهذا تأويل أهل البدع". (٢٩٣)

ويؤكد الإمام ابن القيّم (ت:٧٥١هـ) هذا المعنى، وأن علم الشريعة محقق عند الصحابة، والناس تبع لهم في ذلك، فيقول- رحمه الله-:

"كل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة

٢٩١- تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٥٠).

٢٩٢- يُنظر: أعلام الموقعين: (١/ ٩٠).

٢٩٣- يُنظر: الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣٠٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا". (٢٩٤)

المطلب الثاني: أهمية تفسير الصحابة – رضي الله عنهم–

وتبرز أهمية تفسير الصحابة رضي الله عنهم فيما يلي:

١– معرفة معاني اللغة وأسرارها ومعرفة أسباب النزول:

فهم" يعرفون معاني اللغة وأسرارها، وقد عاشوا فترة نزول الوحي مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعرفوا أسباب النزول، وأدركوا ما أحاط القرآن من ظروف وملابسات تعين على فهم كثير من الآيات.

ولا شك في أن مما برز تفسيرهم كذلك معرفتهم بأسباب النزول، ومما يجلي هذا المعنى قول الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)– رحمه الله–:

"لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها".(٢٩٥)

وعلم أسباب النزول كان محل عناية الرعيل الأول من جيل الصحابة والتابعين.

ومن أمثلة ما يدل على عناية الصحابة – رضي الله– عنهم بذلك:

ما أخرجه البخاري بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ". (٢٩٦)

وأما التابعين: فقد كان لهم الحظ الأوفر من هذا العلم، وقد جاء عنهم ما يدل على اهتمامهم به، كما ذكر السيوطي في الإتقان عن أيوب السختياني قال: سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن، فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع". (٢٩٧)

قال أبو عمر ابن عبد البر(ت: ٤٦٣هـ) في الاستيعاب– رحمه الله–:

وروينا عن: يزيد بن أبي حكيم عن الحكم بن أبان، قَالَ: سمعت عكرمة، يقول:

٢٩٤– مدارج السالكين (١/١٣٩)، ونقله ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٠) ويُنظر: موقع مركز سلف للبحوث والدراسات، بإشراف: د. محمد إبراهيم السعيدي. كذلك.

٢٩٥– شحاتة، عبد الله، علوم التفسير، (٢٠٠١م): القاهرة، دار الشروق الأول (ص: ١٧)

٢٩٦– صحيح البخاري: حديث رقم: (٤٧٣٦).

٢٩٧–الإتقان: (٩/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الرجل الذي خرج من بيته مهاجرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ضمرة بن العيص. قَالَ عكرمة: طلبت اسمه أربع عشرة سنة حتى وقفت عليه". (٢٩٨)

كما كان علم أسباب النزول محل عناية علماء الإسلام القدامى كذلك، وفي نحو ذلك **يقول الزركشي**(ت:٧٩٤هـ) **– رحمه الله– في برهانه:**

(٢٩٩) فقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم، وأفردوا فيه تصانيف"."

وفي هذا الصدد يقول السيوطي(ت:٩١٠هـ) **– رحمه الله–:**

لقد" أفرده بالتصنيف جماعة، أقدمهم علي بن المدِينِي شيخ البخاري، ومن أشهرها كتاب الواحدي، على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري، فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئًا، وألَّف شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابًا مات عنه مُسْوَدَّةً(٣٠٠). فلم نقف عليه كاملاً، وقد ألفْتُ فيه كتابًا موجزًا محرَّرًا لم يؤلَّف مثله في هذا النوع.(٣٠١)"سميته: "لباب النقول في أسباب النزول

وقد ذكره السيوطي في الإتقان وعدَّه النوع التاسع من أنواع علوم القرآن.

كما سبقه الزركشي لذلك، وقد عدَّه في البرهان النوع الأول من علوم القرآن، فقال: النوع الأول: معرفة أسباب النزول.

٢٩٨-الاستيعاب لابن عبد البر:(٢/ ٧٥٠). وقد أخرجه ابن بشكوال كذلك في غوامض الأسماء المبهمة، قال: "وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَه الله قَالَ أثنا مُحَمَّدُ بْنُ نَبَاتٍ قَالَ ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ) مجهول (ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ) مجهول (ثَنَا ابْنُ وَضَّاحٍ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ) مجهول الحال (قَالَ ثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ قَالَ ثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ طَلَبْتُ اسْمَ رَجُلٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ اسْمُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ يُقَالُ إِنَّهُ ضَمْرَةُ بْنُ الْعَيْصِ".

يُنظر: غوامض الأسماء المبهمة: لابن بشكوال: (١/ ٤٨٤).

٢٩٩-البرهان: (٢٢/١).

٣٠٠- ولعل والله تعالى أعلم أن كتاب ابن حجر الذي أشار إليه السيوطي هو "العجاب في بيان الأسباب".

٣٠١-الإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن فوائد معرفة أسباب النزول:

يقول الزركشي(ت:٧٩٤هـ) في البرهان – رحمه الله–:

"التفسير علم يُفهَم به كتاب الله المنزَّل على نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ". (٣٠٢)

ويقول أبو الفتح القشيري(٣٠٣) – رحمه الله–:

"بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز".(٣٠٤)

فهذا العلم يُعد من العلوم الهامة، والركائز المتينة لعلم أصول وقواعد التفسير، التي لا بد منها لمن تصدر للتفسير، وأن يكون مُلِمًّا بها إلمامًا تامًا، وقد يهون البعض من علم أسباب النزول.

وفي نحو ذلك يقول الزركشي(ت:٧٩٤هـ) في موضع آخر من برهانه– رحمه الله–:

"وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته؛ لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد". (٣٠٥)

فمعرفة أسباب النزول تبين الأحوال والملابسات التي نزلت فيها الكثير من الآيات.

كما أن "معرفة أسباب النزول رافعة لكل مشكلٍ في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بدّ، ومعنى معرفة السبب هو معنى مقتضى الحال". (٣٠٦)

---

٣٠٢ –البرهان: (١/١٣).

٣٠٣– هو أبو الفتح محمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، المعروف بابن دقيق العيد، شاع اسمه وذاع ذكره في حياة مشايخه واشتهر بالتقوى حتى لُقِّبَ بتقي الدين، انتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، ثمَّ ولي قضاء مصر ومشيخة دار الحديث الكاملية والفاضلية وغيرهما، كان وقورا قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم، له رحلة في طلب الحديث، خرَّج وصنَّف فيه إسنادًا ومتنًا مصنفات عديدة نافعة، منها: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، و«الإلمام في أحاديث الأحكام»، و«الاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح»، وله ديوان خطب مشهورة، وشعر رائق، توفِّي سنة (٧٠٢هـ).

للاستزادة من ترجمته يُنظر: «دول الإسلام» للذهبي (٢/ ٢٠٧)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٢٧)، «الديباج المذهب» لابن فرحون (٣٢٤)، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢/ ٢٢٩)، «طبقات الشافعية» للإسنوي (٢/ ١٠٢)، «مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٢٤٦)، «طبقات الحفَّاظ» للسيوطي (٥١٦)، «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٢٢٩)، «فوات الوفيات» للكتبي (٣/ ٤٤٢)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٥)، «الفتح المبين» للمراغي (٢/ ١٠٦)، «الرسالة المستطرفة» للكتاني (١٨٠)، «الفكر السامي» للحجوي (٢/ ٤/ ٢٣٥).

٣٠٤–البرهان:(١/ ٤٠).

٣٠٥–البرهان: (١/ ٢٢).

٣٠٦– الموافقات، ج٣ ص.٢٢٥. بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب" (٣٠٧).

ويقول – رحمه الله–:

"لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ."(٣٠٨)

ويقول الواحدي(ت:٤٦٨هـ) – رحمه الله–:

"ولا يحل القول في أسباب النزول، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدُّوا في الطلاب". (٣٠٩)

ولما كان الموضوع ليس محلًا للبحث فاكتفينا بالإيماء بالإشارة عن كثير من الإفصاح بالعبارة.

إذًا لماذا يُفسَّر القرآن الكريم بأقوال الصحابة رضي الله عنهم؟.

ويُعد ما نقل عنهم من التفسير حجّة في اللغة لأنهم أهل اللسان والحجة والفصاحة والبيان.

و" لما كان القرآن نزل بلغتهم، فإنهم أعرف به من غيرهم، وهم في مرتبة الفصاحة العربية، فلم تتغيّر ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا في الفصاحة، ولذا فَهُم أعرف من غيرهم في فهم الكتاب والسنة، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صحّ اعتماده من هذه الجهة ". (٣١٠)

ألم تر أننا أُمِرنا بالاقتداء بهم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ العظيمُ﴾ (التوبة:١٠٠)

وقد أخبر الله أن من آمن بمثل ما آمنوا به فقد اهتدى، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ (البقرة:١٣٧).

ومن هنا تظهر لنا أهمية تفسير الصحابة رضي الله عنهم للقرآن، إذا علمنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بين لهم معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك، قال تعالى: (لتبين للناس ما نزل إليهم){النحل: ٤٤}، وقال تعالى: (هذا بيان للناس) {آل عمران: ١٣٨}، وقال تعالى: (وما

٣٠٧– نفس المرجع السابق.

٣٠٨–الإتقان: (١/ ٨٨).

٣٠٩–أسباب النزول: (ص: ٥). أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٣١٠–الموافقات: (٣: ٢١٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) {إبراهيم: ٤}، وقال – تعالى –: (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) {الدخان: ٥٨}، وقال تعالى: (كتاب فصلت آياته) {فصلت: ٣}، أي: بينت، وأزيل عنها الإجمال فلو كانت آياته مجملة، لم تكن قد فصلت، وقال تعالى: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) {العنكبوت: ١٨}.

وهذا يتضمن بلاغ المعنى، وأنه في أعلى درجات البيان.

والصحابة رضي الله عنهم أخذوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ، يأخذون المعاني أولاً، ثم يأخذون الألفاظ، ليضبطوا بها المعاني حتى لا تشذ عنهم (٣١١)، وسيأتي معنا بيان هذا المعنى بشيء من الإيضاح.

٢– سماع الأحاديث الكثيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذا إذا علمنا أن الصحابة رضي الله عنهم قد سمعوا من النبي – صلى الله عليه وسلم – من الأحاديث الكثيرة، ورأوا منه من الأحوال المشاهدة، وعلموا بقلوبهم من مقاصده، ودعوته، ما يوجب فهم ما أراد بكلامه، ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه، فليس من سمع وعلم ورأى حال المتكلم، كمن كان غائبًا، لم ير، ولم يسمع، وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة.

وإذا كان للصحابة رضي الله عنهم من ذلك ما ليس لمن بعدهم كان الرجوع إليهم في ذلك دون غيرهم متعينًا قطعًا.

ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو: ما كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم –وأصحابه، كما شهد لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بذلك، في قوله: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي) (٣١٢).

٣– معرفة أحوال العرب وعادتهم:

يقول الشاطبي (ت: ٩٧٠ هـ) **– رحمه الله–:**

"ومن ذلك: معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمّ سبب خاص، لا بدّ لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشّبه والإشكالات التي يتعذّر الخروج منها إلا بهذه المعرفة ". (٣١٣)

٣١١–مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٥١٠–٥١١) بتصرف. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ عدد الأجزاء: ٤.

٣١٢–المرجع السابق ص: (٥١٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: خصائص الصحابة – رضي الله عنهم–

وإنما أُمِرنَا بالاقتداء والتأسي بهم كذلك لأنهم رضي الله عنهم حماة الإسلام، وحملة الوحي وحفظته ونقلته، ولقد رضي الله عنهم ورضوا عنه سبحانه، فاصطفاهم ربهم لهذه المهمة العظيمة بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وقد حباهم ربهم من الفضائل أعلاها، ومن كريم السجايا أكملها وأوفاها، وخصهم بجليل الصفات وكريم الخصال، فنالوا بذلك شرف مرومًا، ونالوا منزلة رفيعة ورتبة عالية بالسبق للإيمان وصحبة النبي العدنان صلى الله عليه وسلم؛ وإن كان الله تعالى قد اصطفى رسوله صلى الله عليه وسلم لرسالته، فقد اصطفاهم لصحبته وحمل رسالته من بعده، فاصطفاهم لإبلاغ الحق للخلق، فإنه سبحانه يختار لوراثة النبوة من بعد رسوله صلى الله عليه وسلم من يقوم بشكر هذه النعمة العلية، ويليق بحمل أعباء الرسالة، وتليق به تلك الكرامة؛ كما قال تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام: ١٤٢) ".

وفي نحو ذلك يقول ابن القيم (ت:٧٥١هـ) **– رحمه الله– في طريق الهجرتين:**

" فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلًا وميراثًا ؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربهم ". (٣١٤)

ويقول الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) **– رحمه الله–:**

"على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء ". (٣١٥)

٣١٣–الموافقات، ج٣ ص ٢٢٩، وقد أحال في هذه المسألة على النوع الثاني من المقاصد (ج٢ص٤٤)، والموافقات، ج٣ ص ٢٢٧.

٣١٤– طريق الهجرتين (ص: ١٧١).

٣١٥–الكفاية (٤٩).

لما لا وقد قال تعالى في شأنهم: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١٠٠)

وقد بين الله في كتابه أن من آمن بمثل ما آمنوا به فقد حصل له الاهتداء، كما قال سبحانه: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) (البقرة: ١٣٧).

وفي جملة فضائلهم يقول عبد الله بن مسعود(ت: ٣٢هـ) **– رضي الله عنه–:**

" من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ". (٣١٦).

ويقول – رضي الله عنه– أيضًا–:

"إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ ". (٣١٧)

ويقول مسروق بن الأجدع (ت: ٦٢هـ) **– رحمه الله–:**

"لقد جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذ (الغدير)، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المئة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله ابن مسعود من ذلك الإخاذ". (٣١٨)

ويصف الإمامُ ابن القيم(ت:٧٥١هـ) **عِلمَ الصحابةِ بالقرآن فيقول– رحمه الله–:**

"... فعاد الصواب إلى قول الصحابة، وهم أعلم الأمّة بكتاب الله ومُراده ". (٣١٩)

٣١٦– رواه ابن عبد البر في الجامع، رقم (١٨١٠).

٣١٧– رواه أحمد في المسند (٣٧٩/١) وقال المحققون: إسناده حسن

٣١٨– يُنظر: المدخل إلى السنن الكبرى، ص ١٦.

٣١٩–بدائع التفسير، ج٢ ص٢١٦، وج٣ ص٣١٣، ٤٠٢، ٤٠٤، وشفاء العليل، ص٥٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويمكن أن نبرز أهم المزايا التي اختُص بها الصحابةُ عن غيرهم إجمالًا فيما يلي:

١ – شرف الصحبة

حصول شرف الصحبة والذي لا يعدله ولا يسبقه إلا شرف النبوة، وتزكيتهم بحصول الخيرية على جميع القرون الفاضلة فما دونها، والتي ثبتت في أحاديث كثيرة، منها ما ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم). (٣٢٠)

، وإنما كنت تلك الخيرية– خيرية علم وإيمان وعمل وسبق لكل خير وبر، ولم تكن يومًا خيرية صورية فحسب.

لما لا وقد زكاهم ربهم في مواضع شتى من كتابه سبحانه، وشهد لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم بالخيرية كما مر بنا بيان ذلك آنفًا، وإنما كان ذلك لما اطلع الله عليه من زكاة نفوسهم، وسلامة قلوبهم من الأهواء والفتن والشبهات، وصلاح سرائرهم، واستقامة أحوالهم، ولما جمعوا به بين العلم النافع المقرون بالعمل الصالح، ولاشك أن ذلك كله كان له أعظم الأثر في توفيقهم لحسن فهم معاني كلام ربهم.

٢ – ملازمة الرسول الله صلى الله عليه وسلم

تحقق لهم مع شرف الصحبة والملازمة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم –، شرف التلقي عنه، فهو المعلم الأول، ولا يخفى على ما في ذلك من عظيم الأثر وحُسن التعلم وشدة التعلق بالمعلم والتعليم على حد سواء.

وإنما نشأ ذلك عن كثرة لقائهم به صلى الله عليه وسلم، في المسجد في صلواتهم المفروضة وغيرها كحضورهم مجلسه يستمعون لوعظه وتعليمه وتدريسه ووصاياه، مع حباهم الله من حبهم الشديد له والذي دفعهم على أن يحرصوا على لقياه صلى الله عليه وسلم في كل حين وآن يتعلمون أحكام شريعة الإسلام، ويتلقون فيها حسن تلاوة وفهم كلام ربهم، ويسالونه ويستفتونه عن أمور دينهم ودنياهم وما يجد عليهم من معاملات ومسائل يحتاجون جوابها.

ولا شك في أن ذلك كلّه كان له أبلغ الأثر في معرفتهم لمعاني القرآن وفهم تفسير آياته كذلك.

٣٢٠–رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- شهود ومعاينة أحداث التنزيل

إنهم بشهودهم ومعاينتهم لأحداث التنزيل، ومعرفتهم لأحواله، وبفهمهم لوقائعه وأحداثه، وبمعايشتهم وملامستهم لوقائعه وفهمهم لقرائنه وأحواله، نالوا مالم ينله غيرهم بتلك المشاهدة والمعاينة.

ولا شك أن من أبرز ما اختُصوا به عن غيرهم، علمهم بمواضع نزول القرآن وشهودهم لوقائع تنزيله، ومعرفة أسبابه وأحواله.

٤- معرفة القراءات

ومن أبرز المزايا التي اختُص بها الصحابةُ رضي الله عنهم علمهم بالقراءات وتوجيهها وفهم معانيها، ومعرفتهم كذلك بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وكذلك معرفتهم بما نسخ من آي التنزيل، سواء كان ذلك النسخ نسخ حكم، أم نسخ تلاوة .

٥- فهم معاني القرآن بسليقتهم العربية

لقد نزل القرآن بلغتهم فهم أهل اللسان العربي المبين الذي نزل به كلام رب العالمين، فكان فهمهم له بمقتضى سليقتهم العربية، وهم مع ذلك هم عرب أقحاح تستهويهم الفصاحة وتجذبهم البلاغة، واللغة من أجل الأسباب المعينة على فهم مراد كلام الله تعالى، والموضحة والمبينة لما أُبهم من معاني التنزيل.

٦- دقة الفهم وحُسْن النية وسلامة المقصد

لقد تمتع الصحابة بدقةٍ في الفهم وحُسْنٍ في النية والإرادة وسلامة في المقصد؛ ولا شك أن هذا مما أكسب مروياتهم في التفسير ثقة كبرى وقبولًا لما نُقل عنهم من أقوال فيه، وجعلها ذات قيمة وأهمية كبرى وعظمى.

ولما سبق بيانه في فضل الصحابة رضي الله عنهم، وإن كان هذا ليس محل بيانه وتفصيله إلا أن سياق فضائلهم هنا من الأهمية بمكان لأسباب هامة من أبينها ما يلي:

١- ليُعرف لهم سبقهم وفضلهم ومكانتهم وقدرهم.

٢- وليُعرف قدر عنايتهم بكتاب الله ومكانة تفسيرهم ليُؤخذ عنهم

٣-وتم الاكتفاء بكلام أهل العلم وأئمة الإسلام في فضائلهم ومكانة تفسيره، ولم نعرج على فضائلهم الواردة بكثرة في الكتاب والسنة لكثرتها وشهرتها.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما سبق بيانه ولغيره يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"..... وحينئذ ؛ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختُصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم.. ". (٣٢١).

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) – رحمه الله–:

"لا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع، قال أبو عبد الله الحاكم في مستدركه: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع، ومراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولًا فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله وجه آخر: وهو أن يكون في حكم المرفوع بمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم معاني القرآن وفسره لهم كما وصفه (النحل:٤٤).) بقوله تعالى: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فبين لهم القرآن بيانًا شافيًا كافيًا، وكان إذا أشكل على أحد منهم معنى سأله عنه فأوضحه له، كما سأله الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) (النساء: ١٢٣) فبين له المراد، وكما سأله الصحابة رضي الله عنهم عن قوله تعالى(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (الأنعام: ٨٢) فبين لهم معناها، كما سألته أم سلمة رضي الله عنها عن قوله تعالى(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) (الانشقاق: ٨) فبين لها أنه العرض، وكما سأله عمر رضي الله عنه عن الكلالة فأحاله على آية الصيف التي في آخر السورة، وهذا كثير جدًا، فإذا نقلوا لنا تفسير القرآن فتارة ينقلونه عنه بلفظه، وتارة بمعناه، فيكون ما فسروا بألفاظهم من باب الرواية بالمعنى، كما يروون عنه السنة تارة بلفظها، وتارة بمعناها، وهذا أحسن الوجهين، والله أعلم". (٣٢٢)

و"لقد خالط حب القرآن الكريم لحومَهم ودمَائهم، فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضمّوه إلى صدورهم فانشرحت، فجعلوه لظلمتهم سراجًا، ولنومهم مهادًا، ولسبيلهم منهاجًا". (٣٢٣)

٣٢١- مقدمة في أصول التفسير: (ص:٩٥).

٣٢٢-إعلام الموقعين: (١١٧/٤).

٣٢٣- يُنظر: مقدمة كتاب: القرآن وأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأحمد خليل جمعة ص٧، ٨. بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: أسباب قلة اختلاف الصحابة في التفسير

تفسير الصحابة رضي الله عنهم مقدم على تفسير غيرهم لما تقدم ذكره من **خصائص**، وإن كانت إحداها لكافية.

ولا شك أننا إذا لم نجد تفسيرًا في الكتاب والسنة نتجه لتفسير الصحابة.

– ولابد من إخراج ما كان خارج دائرة الاجتهاد، فيخرج بهذا أمران:

الأمر الأول: ما كان في حكم المرفوع.

الأمر الثاني: أسباب النزول.

وهو مما لا مجال للاجتهاد فيه.

ويلحظ أن تفسير الصحابة رضي الله عنهم أصابه ما أصاب غيره من التفسير المرفوع، وذلك من الوضع في الحديث وخلافه.

وقع بين الصحابة رضي الله عنهم بعض الاختلافات في التفسير، وهو قليل جدًا، وأسباب قلة الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في التفسير ما يلي:

١–وجود النبي –صلى الله عليه وسلم –بينهم، فقد كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم، فيزيل ما لديهم من تساؤل ونحوه.

٢–وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – ينهاهم عن الخلاف في القرآن.

٣– سعة علم الصحابة رضي الله عنهم في العلم الشرعي، ومعرفتهم باللغة وأساليبها، ومعانيها (٣٢٤).

٤– تأثير العصر عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"كان النزاع بين الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن قليلاً جدًا وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف، والعلم، والبيان فيه أكثر"(٣٢٥).

ومع قلة الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع، لا إلى اختلاف التضاد، وهو أيسر أنواع الاختلاف.

٣٢٤– بحوث في أصول التفسير ومناهجه د. فهد الرومي (٤١).

٣٢٥– مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أنواع اختلاف التنوع:

يرجع اختلاف السلف في التفسير إلى أنواع معدودة، منها:

الأول: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى، ومثال ذلك في التفسير: "الصراط المستقيم" قيل: العبودية. وقيل: الطاعة.

فهذه الأقوال كلها تدل على ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها ([٣٢٦]).

الثاني: أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود، في عمومه وخصوصه.

ومثال ذلك: ما نقل في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) {فاطر: ٣٢}.

فمن المفسرين من قال: السابق: الذي يصلي في أول الوقت. والمقتصد: الذي يصلي في أثنائه.

والظالم لنفسه: الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار.

– ومنهم من قال:

السابق والمقتصد والظالم، قد ذكرهم في آخر سورة البقرة فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع.

– ومنهم من قال:

السابق، المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا، أو مانع الزكاة، والمقتصد: الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، وأمثال هذه الأقاويل ([٣٢٧]).

فكل قول من هذه الأقوال، إنما يذكر نوعًا مما يتناوله نص الآية لتعريف المستمع، وتنبيهه على نظائره، ولا يضاد ما ذكره غيره.

الثالث: ما يكون في اللفظ محتملاً للأمرين.

ومثاله: لفظ: "قسورة" فإنه يراد بها: الرامي، ويراد بها: الأسد.

ولفظ: "عسعس" يراد به: إقبال الليل وإدباره.

ولفظ: "القرء" يراد به الحيض والطهر ([٣٢٨]).

٣٢٦- المرجع السابق (١٣/٣٣٦).

٣٢٧- المرجع السابق (١٣/٣٣٧).

٣٢٨-المرجع السابق (١٣/٣٤٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرابع: أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة.

ومثاله: أن يفسر أحدهم قوله تعالى: "أن تبسل" تحبس. ويقول الآخر: ترتهن، ونحو ذلك ([٣٢٩]).

قال الزركشي(ت:٧٩٤هـ) – رحمه الله–:

"يكثر في معنى الآية أقوالهم، واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أن في ذلك اختلاف، فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه، ونظيره والآخر: بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالبًا، والمراد الجميع، وليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات". ([٣٣٠]).

المطلب الخامس: مميزات تفسير الصحابة

يلاحظ **أن من أبين مميزات تفسيرهم:**

أولًا: أنه موجز، وأكثره يعتمد على اللغة.

ثانيًا: أنهم لا يتكلفون التفسير، ولا يتعمقون فيه تعمقًا مذمومًا، فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام، ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة فيه، فيكتفون مثلاً بمعرفة أن المراد بقوله تعالى: (وفاكهة وأبًا) (عبس: ٣١) أنه: تعداد لنعم الله –تعالى –على عباده ([٣٣١]).

ثالثًا: قلة الأخذ بالإسرائيليات، وتناولها في التفسير، لحرصه –صلى الله عليه وسلم –على اقتصار أصحابه على نبع الإسلام الصافي الذي لم تكدره الأهواء، ولم تشُبه الاختلافات، والافتراءات يدل على هذا المقصد: "غضبه –صلى الله عليه وسلم –حين رأى عمر –رضي الله عنه –، وفي يده صحيفة من التوراة"([٣٣٢]).

رابعًا: لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله، إذ أن بعض الآيات من الوضوح لديهم، بحيث لا يحتاج إلى خوض في تفسيرها، لتضلعهم في اللغة، ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك وغير ذلك.

خامسًا: قلة تدوينهم للتفسير، وأن أغلب ما روي عنهم كان بالرواية، والتلقين، وليس بالتدوين، وإن كان بعض الصحابة يعتني بالتدوين، مثل: عبد الله بن عمرو بن العاص فقد دوّن صحيفته التي تسمى "الصادقة" ولكن هذا التدوين كان نادرًا ([٣٣٣]).

٣٢٩–المرجع السابق (١٣/٣٤٣).

٣٣٠– البرهان للزركشي (٢/١٥٩–١٦٠).

٣٣١– بحوث في أصول التفسير للرومي (٢١).

٣٣٢–المرجع السابق (٢١)، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٨٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

سادسًا: التوفيق للصواب، لما خصهم الله تعالى –بعدة خصائص من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب، وكثرة المعاون وقلة الصارف، وقرب العهد بنور النبوة والتلقي من تلك المشكاة النبوية (٣٣٤).

سابعًا: قلة الإجماع، بمعنى: أن كل صحابي إذا سئل يجيب بما يفهمه، ولولا الفهم لما تميز من الصحابة مفسرون.

ثامنًا: خلو تفسير الصحابة من الشوائب العقدية، وهذا ما حصل فيه الإجماع، وكذلك كان عند التابعين.

المطلب السادس: حجية أقوال الصحابة – رضي الله عنهم– في التفسير

أولاً: تحرير محل النزاع:

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله–:**

أما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه فلا إشكال في صحته، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين، المبين لقوله تعالى: (وإن كنتم جنبًا فاطهروا) {المائدة: ٦(٣٣٥).

وكذا إن كان ما يفسره الصحابي مما لا مجال فيه للاجتهاد ولا منقولاً عن لسان العرب فحكمه الرفع، كالإخبار عن الأمور الماضية، من بدء الخلق، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية: كالملاحم، والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص، أو عقاب مخصوص فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع (٣٣٦).

ويقول أيضًا – رحمه الله– في محض الكلام عن حجيّةِ بيان الصحابة للقرآن، فيما لو اختلفوا فيه:

" **وأما الثاني:** مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنّة، فهم أقْعَدُ في فَهْمِ القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب.

٣٣٣– المرجع السابق (٢١–٢٢).

٣٣٤– إعلام الموقعين لابن القيم (٤/١٤٩–١٥٠).

٣٣٥– الموافقات (٣/٢٥١).

٣٣٦– النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر (٢/٥٣١) ط دار الراية.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فمتى جاء عنهم تقييدُ بعض المطلَقاَت، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه على الصواب، وهذا إن لم ينقل عن أحدهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية". (٣٣٧)

وكذا إن كان ما فسره الصحابي في تفسير يتعلق بسبب نزول آية محكمة الرفع أيضًا (٣٣٨).

ثانيًا: الخلاف في المسألة:

المذهب الأول: ذهب بعض أهل العلم إلى: أن تفسيرهم في حكم المرفوع.

قال أبو عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) في مستدركه– رحمه الله–:

وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع. ومراده: أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج (٣٣٩).

– قال الحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) – رحمه الله–:

أطلق الحاكم النقل عن البخاري ومسلم أن تفسير الصحابي –رضي الله عنه –الذي شهد الوحي، والتنزيل، حديث مسند (٣٤٠).

– وقال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله–:

نص الإمام أحمد على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن، إذا لم يخالفه غيره منهم.

ثم من أصحابه من يقول هذا قول واحد، وإن كان في الرجوع في الفتيا، والأحكام، إليه، روايتان، ومنهم من يقول الخلاف في الموضعين واحد (٣٤١).

– وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) – رحمه الله– في معرض رسالته إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني (ت: ٢٤٥هـ)، في مسألة الإيمان:

"وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة، تدل على معناها، أو معنى ما أراد الله –عز وجل –، أو أثر عن أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم –، ويعرف ذلك: بما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أو عن أصحابه رضي الله عنهم، فهم شاهدوا النبي –صلى الله عليه وسلم –، وشهدوا تنزيله، وما قصه لهم القرآن، وما عني به، وما أراد به، وخاص هو أو عام، فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، ولا أحد من أصحابه، فهذا تأويل أهل البدع...". (٣٤٢).

٣٣٧– يُنظر: الموافقات بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، ج٣ ص ٢١٨ ٢١٩.

٣٣٨–تدريب الراوي للسيوطي (١/٢١٥) ط مكتبة الكوثر.

٣٣٩ –إعلام الموقعين (٤/١٥٣).

٣٤٠ –النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/٥٣١)

٣٤١–إعلام الموقعين (٤/١٥٣).

٣٤٢–السنة للخلال (٤/٢٣) ت عطية الزهراني، ط دار الراية.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآن، والأحوال، التي اختصوا بها... لاسيما علماؤهم، وكبراؤهم كالأئمة الأربعة، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين... (٣٤٣). وقد مر معنا بيان ذلك.

وقال كذلك في موطن آخر– رحمه الله–:

وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة، والتابعين، فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه (٣٤٤).

وقال أيضًا في موضع آخر– رحمه الله–:

ولهذا جعل (أي الإمام أحمد) الاحتجاج بالظواهر مع الإعراض عن تفسير النبي –صلى الله عليه وسلم –، وأصحابه طريق أهل البدع (٣٤٥).

وقد رجح هذا المذهب الدكتور: محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون (٣٤٦).

المذهب الثاني: قال أبو عمرو الداني(ت: ٤٤٤هـ): إذا فسر (الصحابي) آية تتعلق بحكم شرعي، فيحتمل أن يكون ذلك مستفادًا عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، وعن القواعد، فلا يجزم برفعه، وكذا إذا فسر مفردًا، فهذا نقل عن اللسان خاصة، فلا يجزم برفعه، وهذا التحرير الذي حررناه هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة، كصاحبي الصحيح، والإمام الشافعي، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند والبيهقي، وابن عبد البر في آخرين (٣٤٧). (٣٤٨) (٣٤٩)

وبإيجاز يمكن أن نجمل حكم تفسير الصحابي بأنه يرجع إلى قسمين:

القسم الأول: إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كالأمور الغيبية، وأسباب النزول ونحوها فله حكم المرفوع يجب الأخذ به.

٣٤٣–مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٤). وقد سبق ذكر سابقًا.

٣٤٤–رسالة في علم الباطن والظاهر لابن تيمية، (مجموعة الرسائل المنيرية) (١/٢٣٦).

٣٤٥–الإيمان لابن تيمية (٣٧٥) ت الألباني. ط المكتب الإسلامي.

٣٤٦–التفسير والمفسرون (١/٩٦).

٣٤٧– النكت لابن حجر (٢/٥٣٢).

٣٤٨– وللاستزادة يُنظر: موقعي: ملتقى أهل الحديث، ومداد–عن مقال: لـ "سعد بن عبد الله السعدان" بتصرف من الباحث.

٣٤٩– يُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير مبادئ علم التفسير وتعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين (ص:١٣٦) وما بعدها...

شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الثاني: وإذا كان غير ذلك مما يرجع إلى اجتهاد الصحابي فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأوجب بعض العلماء الأخذ بموقوف الصحابي لما شاهدوه من القرائن والاحوال التي اخيصوا بها وليست لغيرهم.(٣٥٠)

المطلب السابع: مصادر التفسير عند الصحابة – رضي الله عنهم–

وأصل التفسير يرجع إلى مرجعين اثنين

الأصل الأول: ما يَرْجِعُ تفسيره إلى النقل المصدق.

والأصل الثاني: ما يرجع تفسيره إلى الاستدلال المحقق.

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

" العلم: إما نقلٌ مُصَدّقٌ، وإما استدلال محقّقٌ ". (٣٥١)

أما الأصل الأول: فيتعلق بمعرفة أسباب النزول، كما يتعلق كذلك بأحوال من نزل فيهم القرآن، وإنما يرجع ذلك إلى مشاهدة ومعاينة التنزيل.

ويشمل كذلك ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم لهم صراحة، سواء كان هذا التفسير تفسيرًا ابتداريًا ابتدائيًا منه صلى الله عليه وسلم، أو كان سببيًا صدر منه صلى الله عليه وسلم لأي سبب كسؤال سائل عن معنى آية ونحو ذلك، وهذا النوع يسمى بالتفسير النبوي الصريح.(٣٥٢)

ويشمل كذلك مرويات الصحابة في التفسير فيما بينهم بعضهم البعض، سواء كان ذلك تفسيرًا ابتدائيًا ابتداريًا، أم كان ناشئًا عن جواب عن سؤال.

ويشمل كذلك ما يروونه من الأمور الغيبية بأقسامها الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل.

٣٥٠– الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (١٤١٩ هـ: الرياض، مكتبة التوبة) ص: ٢٩

٣٥١– مقدمة في أصول التفسير، (ص: ٥٥).

٣٥٢–وقد وقفت على عنوان رسالة ولم أطلع عليها للباحث/خالد بن عبد العزيز الباتلي، واسمها "التفسير النبوي مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح" يرجع إليها للاستزادة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الأصل الثاني: فهو يتعلق بالاجتهاد والاستنباط

ويشتمل ذلك الأصل على:

أ– تفسير القرآن بالقرآن،

ب– ويشمل كذلك تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم مما ليس هو نصًا في التفسير،

والصحابي هنا يعمل اجتهاده في بيان وإيضاح معنى النص القرآني بالحديث المتعلقة بهذا المعنى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابوا في اجتهادهم أقره عليهم، وإذا أخطأوا صوبه وصححه لهم.

ج– كما يشمل كذلك التفسير باللغة التي هي أحد أسس التفسير لدى الصحابة رضي الله عنهم،

د– كما يشتمل على الأمور الاجتهادية المحضة التي تتعلق بأوجه التفسير المحتملة في النص القرآني الواحد.

"فإن لم يجد الصحابة رضي الله عنهم التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهدوا لأنهم عرب خلص شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن نزل بلسان عربي مبين ". (٣٥٣).

وكان أدوات اجتهادهم تتمثل فيما يلي:

١– معرفة أوضاع اللغة وأسرارها

٢– معرفة عادات العرب

٣– معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

٤– قوة الفهم وسعة الإدراك(٣٥٤).

والخلاصة أن الصحابة – رضي الله عنهم – كان يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على مصادر عدة من أبرزها:

الأول: القرآن الكريم

الثاني: تلقي التفسير ومعاني القرآن ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه

الثالث: تفسيرهم الآيات بما دلت عليه الأحاديث من معنى

٣٥٣– الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، (١٤١٩ هـ: الرياض، مكتبة التوبة) ص: ٢٤

٣٥٤–الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (٢٠٠٠ م: مكتب وهبه) ج ١، ص: ٤٥

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرابع: سعة الاجتهاد وقوة الاستنباط في فهم معاني القرآن بما أوتوا من فهم وقريحة، مع اعتمادهم أسباب النزول كأصل في فهم معاني القرآن كذلك

الخامس: بما دلت عليه اللغة وأساليبها، والتي هم أساطين بيانها وأهل أفانينها.

وأما القول بأن الصحابة أخذوا التفسير عن أهل الكتاب، فلم يكن ذلك اعتمادًا كليًا، ولكن كان نذرًا يسيرًا.

فكانوا إذا لم يجدوا في السنة المطهرة أخبارًا عن بعض ما ورد من أخبار تفصيلية وردت مجملة في القرآن، كالأخبار الواردة عن مبدأ الخليقة، وكالأخبار الواردة في شأن الأمم الغابرة وبعض قصص الأنبياء، أخذوا عن مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، وذلك فيما لا تعارض فيه مع ما تقرر اعتقاده عند أهل الإسلام، ولا مع ما ثبت خلافه في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي ذلك يقول مناع القطان(ت: ١٤٢٠هـ) **– رحمه الله–:**

"ولم يأخذ الصحابة عن أهل الكتاب شيئًا في تفسير القرآن من الأخبار الجزئية سوى القليل النادر". (٣٥٥)

المطلب الثامن: المشتهرون بالتفسير من الصحابة – رضي الله عنهم –

قال السيوطي في الإتقان(ت: ٩١١هـ) **– رحمه الله–:**

"اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدًا، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم. (٣٥٦)

وأكثر من روى من هؤلاء العشرة، أربعة هم: عبد الله بن عباس، عبد الله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب، رضي الله عنهم جميعًا. (٣٥٧)

٣٥٥- مباحث في علوم القرآن (٣٦٤/١)

٣٥٦- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (ص: ٤٦٦).

٣٥٧- شحاتة، عبد الله، علوم التفسير، (٢٠٠١م: القاهرة، دار الشروق الأول) (ص: ١٨)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإنما قلت الرواية في التفسير عن الخلفاء الثلاثة لأسباب، من أبرزها ما يلي:

١-لانشغالهم بأعباء ومهام الخلافة، وما يتعلق بشؤون وسياسة الدولة المسلمة من الفتوحات الإسلامية وغيرها.

٢- لتقدم وفاتهم عن الخليفة الراشد رابع الخلفاء علي بن أبي طالب، والذي توفي عام أربعين من الهجرة النبوية- رضي الله عنهم أجمعين.

٣- قلَّة الحاجة إلى النَّقل في التفسير في ذلك الوقت لعدم توافر دواعي النقل، والتي يُعد من أبرزها توافر كثرة ممن لهم علم بمعاني القرآن وأحكامه، ووقف على فهم أسراره، واكتملت فيهم خصائص العروبة من فهم لغته التي أُنزِل بها القرآن، ممن لهم علم ودراية بالتفسير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وهؤلاء العشرة يُعدون من أبرز من اشتُهرت عنهم الرواية في التفسير، إلا أن هناك كوكبة نيرة من الصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين قد تكلموا في التفسير كذلك لكن كانت الرواية عنهم لم تكن بالكثرة المتوافرة التي اشتهر بها من سبق ذكرهم من العشرة.

ومن أبرز هؤلاء:

أنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين – رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد أطال الباحث التنقيب عن تفسير الصحابة بشيء من الإسهاب والتفصيل لأهميته، ولشدة الحاج إليه، ولكونه كذلك عمدة في التفسير عند السلف.

المبحث الرابع: المصدر الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين – رحمهم الله تعالى-

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مكانة جيل التابعين

يُعد جيل التابعين من خير أتباع النبيين والمرسلين أجمعين بعد الرعيل الأول من طليعة هذه الأمة وهو جيل الصحابة رضي الله عنهم، وذلك لأنهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وذلك مع عدم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم، وتمسكوا واعتصموا بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق، فلزموه علمًا وعملًا ودعوة وبلاغًا وجهادًا، وعرفوا لأصحابه قدرهم وفضلهم وسبقهم فلزموا سبيلهم واقتفوا آثارهم واتبعوا منهجهم وتأسوا بهم وأحسنوا صحبتهم والأخذ والتلقي عنهم، وأحسنوا نقل علمهم ومنهجهم لمن بعدهم، وقرروا فضلهم وفضائلهم، كما

أنهم بينوا لمن بعدهم معالم هذا المنهج القويم ورغَّبوا الأمة في اقتفاء آثارهم والسير على نهجهم واتباعهم سبيلهم بإحسان، فجزاهم الله عن أمة الإسلام الجزاء الأوفى، وسلك بنا سبيلهم، وألحقنا بهم، وبسلفهم الصالح من الصحابة الأطهار الأبرار من المهاجرين والأنصار، في كل ما وعدهم به ربهم من جزيل الأجر وعظيم المثوبة وحسن العاقبة وعلو الدرجات.

وفي فضائلهم يقول ربنا سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠]..

فاشتملت الآية الكريمة على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم به من جنات النعيم(٣٥٨).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) **– رحمه الله–:**

إن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله تعالى: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة:٣]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا} [الحشر:١٠]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ} [الأنفال: ٧٥]. (٣٥٩)

وقال الشيخ حافظ الحكمي(ت: ١٣٧٧هـ) **– رحمه الله–:**

"وقد رتب الله تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم، ثم أردفهم بذكر التابعين في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ}". (٣٦٠)

ولقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ). (٣٦١)

٣٥٨- يُنظر: تفسير ابن كثير ٣٣١/٢

٣٥٩-أضواء البيان ٤٧٤/٢

٣٦٠- معارج القبول ٤٨٦/٢

٣٦١- روى البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ) **– رحمه الله–:**

"الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ ". (٣٦٢)

قال الطيبي: "يعني الصحابة ثم التابعين". (٣٦٣)

(ت:٤٠٥ هـ) وقال الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين– رحمه الله–:

"فخير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنهم الدين والسنن". (٣٦٤)

قال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ) **– رحمه الله– في مقدمة الجرح والتعديل**

"فخلف من بعد الصحابة التابعون، الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه، وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه... فأتقنوه، وعلموه، وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه بحيث وضعهم الله عز وجل ونصبهم له، إذ يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠]، فصاروا برضوان الله عز وجل لهم، وجميل ما أثنى عليهم، بالمنزلة التي نزههم بها عن أن يلحقهم مغمز، أو تدركهم وصمة؛ لتيقظهم وتحرزهم وتثبتهم، ولأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه، وإقامة سننه وسبله...". (٣٦٥)

المطلب الثاني: مكانة تفسير التابعين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله– في مقدمة في أصول التفسير:**

" إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين... ". (٣٦٦)

٣٦٢- شرح النووي على مسلم (٨٥/١٦)

٣٦٣- الكاشف- شرح المشكاة ٢١٤/١١.

٣٦٤- معرفة علوم الحديث ص٤٢.

٣٦٥- الجرح والتعديل ٨/١.

٣٦٦- مقدمة في أصول التفسير (ص/١٠٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي بيان ذلك يقول – رحمه الله– أيضًا –:

"وأما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعِكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضًا ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب". (٣٦٧)

وقال – رحمه الله – أيضًا –:

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها، ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، ولهذا يعتمد على تفسيره: الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم". (٣٦٨).

المطلب الثالث: منهج التابعين في تفسير القرآن الكريم

لقد سلك التابعون منهاجًا واضحًا في تفسير القرآن الكريم، فكانوا يفسرون القرآن بما يلي:

١ – يفسرون القرآن بالقرآن

٢ – ويفسرون القرآن بالسنة

٣ – ويفسرون القرآن بأقوال الصحابة

٤ – ويفسرون اللغة العربية

٥ – ويفسرون الاجتهاد وقوة الاستنباط.

أولاً: منهجهم في تفسير القرآن بالقرآن

لقد تعددت طرق التابعين في تفسير القرآن بالقرآن ومن هذه الطرق

أ. نظائر القرآن الكريم

كتفسير الآية بآية أخرى تحمل الموضوع نفسه وإن اختلف اللفظ وقد أكثر التابعون من ذلك ومن ذلك **ما ورد عن مجاهد** في تفسير الكلمات في قوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)) (البقرة، الآية:٣٧). قال: قوله: ((قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا)) (الأعراف، الآية: ٢٣). حتى فرغ منها. (٣٦٩)

٣٦٧– مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير: ص١٥.

٣٦٨– مقدمة في أصول التفسير (ص/٣٧).

وجاء عن عكرمة، والحسن: في تفسير قوله تعالى: ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)) (الإسراء:١١٠). قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال: ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)). وقال في الأعراف: ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)) (الأعراف:٢٠٥).

وفي تفسير قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) (البقرة:٩٤).

قال قتادة: وذلك أنهم قالوا: ((لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)) (البقرة، الآية:١١١). وقالوا: ((نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)) (المائدة، الآية:١٨). فقيل لهم: ((فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)). (البقرة:٩٤) (٣٧٠)

ب ـ الأشباه

والمراد بالأشباه تفسير الآية بما يشبهها من الآيات كتفسير الآية بالآيات التي تحمل بعض معناها مع تقارب اللفظ (٣٧١) فمن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير النفس بالغير، فإنه قال في تفسير قوله تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا)) (النور:١٢). قال لهم خيرًا، ألا ترى أنه يقول: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)) (النساء:٢٩).

يقول: بعضكم بعضًا و((فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)) (النور:٦١). قال يسلم بعضكم على بعض. (٣٧٢)

.ففسر مجاهد هنا النفس بالغير واستدل بورود ذلك في آيات متشابهة في القرآن تدل على هذا الجزء من المعنى. (٣٧٣)

ج ـ الدلالة على التفسير بالسياق

وفي هذا النوع يلحظ المفسّر منهم سياق الآية فيربطها بما قبلها، أو بما بعدها سواء كان ذلك في الآية نفسها، أو في مجموعة من الآيات (٣٧٤)

٣٦٩- تفسير الطبري: (٦٩/١)، زاد المسير(٥٤٥/١) زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣٧٠- فتح القدير (١١٦/١) تفسير التابعين (٦١٤/٢).

٣٧١- تفسير التابعين (٦١٥/٢).

٣٧٢- تفسير الطبري (٩٦/١٨) تفسير التابعين (٦١٥/٢).

٣٧٣ – تفسير التابعين (٦١٦/٢)

مثل تفسير قوله تعالى: ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)) (الأنعام: ٨٣). قال مجاهد في تفسيرها: هي ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) (الأنعام:٨٢). ([٣٧٥])

د. بيان المجمل

وفي هذا الطريق يقوم المفسر بالنظر في آيات القرآن التي فيها إجمال، وينظر في الآيات الأخرى التي يمكن أن تكون بيانًا لهذا الإجمال، كحمل المجمل على المبين ومن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ((خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)) (نوح: ١٤): قال: من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه. ([٣٧٦])

فأشار بقوله إلى الآيات التي فيها ذكر ذلك مثل قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) (المؤمنون : ١٢، ١٤).

هـ. تفسير العام بالخاص

وفي هذا يعمد المفسر منهم إلى آية ظاهرها العموم فيحملها على معنى آخر ذكرت فردًا من أفراد العموم ([٣٧٧]) كقوله تعالى: ((مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)) (النساء: ١٢٣).

قال الحسن البصري: الكافر ثم قرأ: ((وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) قال: من الكفار. ([٣٧٨]).

وفي رواية عنه قال: (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) يعني الكفار، لا يعني بذلك أهل الصلاة. ([٣٧٩])

فالآية الأولى جاء فيها العموم في لفظة ((من)) ليعم المؤمن والكافر، فجاء الحسن فبين أنها خاصة بالكافر مستدلاً بأسلوب الحصر في الآية الثانية. ([٣٨٠]) وأصرح من ذلك ما جاء عنه في تفسير الآية نفسها أنه قال: ((مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)) (النساء: ١٢٣) إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد كرامته، فإنه من أهل الجنة ((وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)) (الأحقاف: ١٦). ([٣٨١])

---

٣٧٤ – المرجع السابق نفسه (٦١٧/٢)

٣٧٥ – تفسير الطبري (٥٠٥/١١)

٣٧٦ – تفسير الطبري (٢٦/٢٩) الدر المنثور (٢٩١/٨)

٣٧٧ – تفسير التابعين(٦٢١/٢)

٣٧٨ – تفسير الطبري (٢٣٧/٩) زاد المسير (٢١٠/٢)

٣٧٩ – تفسير الطبري (٢٣٨/٩)

٣٨٠ –تفسير التابعين (٦٢٣/٢)

[٣٨١] –تفسير التابعين (٦٢٣/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

و ـ التفسير باللازم

المراد بالتفسير باللازم أن المفسر لا يذكر صراحة تفسيرًا للآية التي هو بصددها، بل يذكر شيئًا من لوازم ذلك، ويربطه بآية أخرى، فمن ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) (البقرة: ١٥٦)، فقد قال: لو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب، ألم تسمع: ((يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) (يوسف: ٨٤). (٣٨٢) أنه لم يكن يعرف ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))، وإلا لقالها، بدلاً من تأسفه على ذهاب يوسف. (٣٨٣)

ز ـ توضيح المبهم

ومن طرق التفسير التي اتبعها التابعون ـ أيضًا ـ إيضاح مبهم آية بآية أخرى لإزالة الإبهام. (٣٨٤)، ومن ذلك ما قام به عكرمة من رفع الإبهام الواقع في لفظه ((الحين)) استدل بالآية التي تبين أن المراد منه سنة، فعنه أنه قال: أرسل إليّ عمر بن عبد العزيز فقال: يا مولى ابن عباس: إني حلفت ألا أفعل كذا وكذا حينًا، فما الحين الذي تعرف به؟ قلت: إن من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، وأما الحين الذي لا يدرك فقول الله: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)) (الإنسان: ١). والله ما يدري كم أتى له إلى أن خلق، وأما الذي يدرك فقوله: ((تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)) (إبراهيم: ٢٥). فهو ما بين العام إلى العام المقبل، فقال: أصبت يا مولى ابن عباس، ما أحسن ما قلت. (٣٨٥)

ح ـ بيان معنى (لفظ)، أو إيضاح مشكلة

وقد كثر هذا النوع في تفسير التابعين فصاروا يتناولون آيات القرآن بالتفسير بآيات أخرى تبين هذا المعنى، وتلكم الألفاظ (٣٨٦)، ومثال ذلك كتفسير الحسن البصري ((يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)) (النازعات: ٦). قال: النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحي الموتى ثم تلا الحسن: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر: ٦٨). (٣٨٧)

والأمثلة كثيرة على تفسير التابعين للقرآن بالقرآن، ومن أراد المزيد فليراجع تفسير التابعين. (٣٨٨)

٣٨٢- تفسير الطبري (٣/٢٢٤).

٣٨٣- تفسير التابعين(٢/٦٢٣).

٣٨٤- تفسير التابعين (٢/٦٢٣).

٣٨٥-المصدر نفسه (٢/٦٢٤)

٣٨٦-المصدر نفسه (٢/٦٢٤)

٣٨٧- تفسير الطبري (٣٠/٣١)، تفسير التابعين (٢/٦٢٧)

٣٨٨ - تفسير التابعين (٢/٦٠٨ - ٦٢٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: منهجهم في تفسير القرآن بالسنة

لا شك أن السنة مبينة للقرآن موضحة له قال الشاطبي: وهي راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله، وبسط مختصره (٣٨٩)، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعلم بكلام الله وأكثر قدرة على فهم نصوص الآيات من غيره مع ما أوحاه الله تعالى من المعاني، فهو صلى الله عليه وسلم كما وصفه ربه بقوله: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) (النجم: ٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه). (٣٩٠)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

فإن قال قائل، فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن... إلى أن يقول . فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)) (النساء: ١٠٥). وقال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (النحل: ٤٤). وقال تعالى: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (النحل: ٦٤) (٣٩١)

وقد اتفق العلماء على أن الأخذ بالسنة واجب والعمل بها حتم وتحكيمها فرض بل **جاء عن مكحول التابعي**(ت: ١١٣هـ) **– رحمه الله– أنه قال:**

"القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن.

قال يحيى بن أبي كثير–(ت: ١٢٩هـ) **– رحمه الله–:**

السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة.

وقال الفضل بن زياد(ت:؟؟) **– رحمه الله–:**

سمعت أبا عبد الله يعني أحمدَ بن حنبل، وسئل عن الحديث الذي روى أن السنة قاضية على الكتاب، فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه".(٣٩٢)

---

٣٨٩ – تفسير التابعين (٦٢٨/٢) الموافقات (١٢/٤)

٣٩٠ – صحيح رواه أحمد في المسند (٢٨ / ٤١٠) (١٧١٧٣) وأبو داود في سننه (٤ / ٢٠٠) (٤٦٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح السنة للمروزي: (٢٤٤).

٣٩١ – الفتاوى (٣٦٣/١٣)

٣٩٢– تفسير التابعين (٦٢٩/٢) تفسير القرطبي (٣٠/١)

وقد بين معنى ذلك السيوطي(ت: ٩١٠هـ) **– رحمه الله– بقوله:**

"والأصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له، ومفصلة لمجملاته، لأن لو جازته كنوزًا تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها فيبرزها، وذلك هو المنزل عليه صلى الله عليه وسلم، وهو معنى كون السنة قاضية على الكتاب، وليس القرآن مبينًا للسنة، ولا قاضيًا عليها، لأنها بينة بنفسها، إذ لم تصل إلى حدّ القرآن في الإعجاز والإيجاز، لأنها شرح له، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح". (٣٩٣)

ولاشك في أن كلام إمام أهل السنة–الإمام المبجل أحمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ) **– رحمه الله– أسلم وأحكم، فلله دره من إمام.**

هذا، وقد كثر عن التابعين النقول التي تدل على شدة متابعتهم للسنة، قال ربيعة للزهري: إذا سُئلت عن مسألة فكيف تضع؟ قال: أحدث فيها بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم فعن أصحابه، فإن لم يكن عن أصحابه اجتهدت رأيي (٣٩٤)، ومما يدل على عظيم احتفائهم وعنايتهم بالمروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قل أن نجدهم يخالفون ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من تفسيره.

وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على ذلك:

أ ـ فمن هذا ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) (الفاتحة، آية:٦). قال صلى الله عليه وسلم: (اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون) (٣٩٥)

وبذلك فسرها: مجاهدٍ (٣٩٦)، وسعيد بن جبير (٣٩٧) وغيرهما. قال ابن حاتم: لا أعلم خلافًا بين المفسرين في تفسير ((الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) باليهود، و((الضَّالِّينَ)) بالنصارى. (٣٩٨)

ب ـ ومنه أيضًا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في بيان قوله: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) (البقرة، الآية ١٨٧). قال صلى الله عليه وسلم: هو سواد الليل وبياض النهار

٣٩٣– مناهل العرفان – الزرقاني: ١ /٢٩٩.

٣٩٤– جامع بيان العلم وفضله (٧٥/٢) تفسير التابعين(٦٣٧/٢). جامع بيان العلم وفضله المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٢.

٣٩٥–صحيح: رواه الترمذي (٢٩٥٤)، وصححه العلامة الألباني في سنن الترمذي:(٥ /٢٠٤).

٣٩٦– تفسير الطبري (١٨٨/١)

٣٩٧ –الدر المنثور(٤١/١)

٣٩٨ – تفسير ابن أبي حاتم رقم٢٢، تفسير التابعين (٦٣٨/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

([٣٩٩])، ولم يخالف في ذلك أحد من التابعين وبه قال الحسن ([٤٠٠])، وقتادة ([٤٠١]).

جـ. من ذلك ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في تفسير معنى الظلم الذي ورد في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) (الأنعام: ٨٢). قال صلى الله عليه وسلم حين شق ذلك على أصحابه فقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم)) (لقمان:١٩) ([٤٠٢])

وهذا هو المنقول عن التابعين قال به: إبراهيم النخعي، وقتادة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. ([٤٠٣])

س. ومنه ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير للسبع المثاني في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)) (الحجر: ٨٧). قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج، فذكرته، فقال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته. ([٤٠٤])

وهذا التفسير هو المروي عن سعيد بن جبير والحسن، ومجاهد، وقتادة. ([٤٠٥]).

ش. ومن ذلك بيانه صلى الله عليه وسلم لمعنى: الأمة الوسط، التي وردت في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) (البقرة : ١٤٣). ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) قال((عَدُولاً)) ([٤٠٦])

٣٩٩- البخاري، كتاب التفسير -الفتح (١٨٢/٨)

٤٠٠- تفسير الطبري (٥١٠/٣)

٤٠١- المصدر السابق: ونفس الجزء ة الصفحة.

٤٠٢- البخاري، كتاب التفسير -الفتح (٢٩٤/٨)

٤٠٣- تفسير التابعين (٦٣٩/٢)

٤٠٤ - البخاري، كتاب التفسير -الفتح (٣٨١/٨)

٤٠٥ - تفسير التابعين (٦٤١/٢)

٤٠٦- رواه البخاري (٤٤٨٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلام يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ , قَالَ: فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ , قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قَالَ: الْوَسَطُ الْعَدْلُ) وزاد أحمد (١٠٨٩١): (قَالَ: فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلاغِ , قَالَ: ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله– في تفسير الآية:

"فمعنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها , ويكون رسولي محمد صلى الله عليه وسلم شهيدًا عليكم بإيمانكم به, وبما جاءكم به من عندي ". (٤٠٧)

وبهذا التفسير قال: مجاهد، وعطاء وقتادة.

هذه بعض الأمثلة التي اعتمدها التابعون في تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية.

المطلب الرابع: منهج التابعين في تفسير القرآن بأقوال الصحابة وأخذه عنهم

إن التابعين ما علموا كيفية التلقي من الكتاب والسنة وكذلك الاجتهاد، ونحو ذلك إلا بسبب تربيتهم على أيد الصحابة وخبرتهم بمناهجهم الاستدلالية، وتعلمهم لطرق الاستنباط وتلقيهم الرواية النبوية، ورؤيتهم التطبيق العملي لذلك كله ولقد استوعب التابعون رسالة الصحابة وعرفوا فضلهم.

فها هو مجاهد يقول: العلماء أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم– (٤٠٨).

وكان التابعون يقدمون قول الصحابي على قولهم، يقول الشعبي: إذا اختلف الناس في شيء فانظر كيف صنع عمر؟ فإن عمر لم يكن يصنع شيئًا حتى يشاور، فقال أشعث . راوي الأثر . فذكرت ذلك لابن سيرين فقال: إذا رأيت الرجل يخبرك أنه أعلم من عمر فأحذره (٤٠٩).

منهج التابعين في أخذ التفسير عن الصحابة

وكان منهج التابعين في الأخذ عن الصحابة يدور حول ما يلي:

أولًا– إذا كان تفسير الصحابي يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم، فهذا هو المطلب الرئيس، والغاية القصوى، وليس بعده قول، وكذلك ما كان من تفسير الصحابي، وهو وارد في سبب النزول بالصيغة الصريحة (٤١٠)، وكذلك فيما لا مجال للرأي فيه، فهذا يقف عنده لا يجاوزونه، لأن الصحابي شاهد التنزيل، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)) (الأنعام، آية: ٦١). فقد قال فيها ابن عباس رضي الله عنهما: إن لملك الموت أعوانًا من الملائكة رواه عنه إبراهيم النخعي.

٤٠٧–تفسير الطبري: (٨/٢)

٤٠٨– إعلام الموقعين (١٥/١)، تفسير التابعين(٦٥١/٢)

٤٠٩– الحلية (٣٢٠/٤)، تفسير التابعين (٦٥٣/٢)

٤١٠ – أي سبب نزول كذا هو كذا وكذا أو حدث كذا ونزل كذا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤١١)

ولذ جاءت الرواية من تفسير إبراهيم نفسه بالاقتصار على قول ابن عباس ولم يزد عليه شيئًا فقال: أعوان ملك الموت (٤١٢)، وكذا جاء عن قتادة، ومجاهد والربيع. (٤١٣)

ثانيًا وإذا كان التفسير الوارد عن الصحابي من باب الاجتهاد، وجار على مقتضى اللغة، فإنهم في الغالب لا يخالفونه، فإن الصحابة رضي الله عنهم أهل اللسان والبيان والفهم، ولأجل ذلك اعتمد مجاهد تفسير ابن عباس رضي الله عنهما دون غيره عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ((فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)) (الأنعام، آية: ٩٨). فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: المستقر بالأرض والمستودع عند الرحمن. (٤١٤)، وقال مجاهد: المستقر الأرض والمستودع عند ربك. (٤١٥)

وجاءت رواية عن ابن عباس– رضي الله عنهما–: أن المستقر في الرحم، والمستودع في الصلب (٤١٦)، وتأتي الرواية عن مجاهد أيضًا: أن المستقر في الرحم، والمستودع في الصلب موافقة للرواية الثانية لشيخه، وهكذا كان حال ابن جبير في تفسير الآية. (٤١٧)

ثالثًا إذا تعارضت الأقوال المنقولة في الصحابة، فإن التابعين يسلكون مسلك الترجيح بينها، والترجيح قد يكون باللغة، أو بالحديث أو بقول صحابي آخر يجمع بين الأقوال، فمن الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)) (الإسراء، آية: ٧٨). جاء عن ابن عباس في تفسيرها أن دلوكها غروبها (٤١٨)، وجاء عنه أن دلوكها: زيغها بعد نصف النهار (٤١٩)، وجاء عن ابن مسعود أن دلوكها غروبها (٤٢٠)، وجاء عنه أيضًا أن دلوكها ميلها يعني: الزوال (٤٢١).

---

٤١١ – تفسير الطبري (٤١٠/١١)، زاد المسير (٥٥/٣)

٤١٢– تفسير الطبري (٤١٠/١١)

٤١٣ – تسير التابعين (٦٥٨/٢)

٤١٤– تفسير التابعين (٦٥٨/٢)

٤١٥– تفسير الطبري (٥٧٠/١١)، زاد المسير (٩٢/٣)

٤١٦– تفسير الطبري (٥٧٠/١١)، زاد المسير (٩٢/٣)

٤١٧– تفسير الطبري (٥٧٠/١١)

٤١٨– تفسير الطبري (١٣٤/١٥)

٤١٩– فتح القدير (٢٥٤/٣)

٤٢٠زاد المسير(٧٢/٥)

٤٢١– فتح القدير (٢٥٤/٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاختار قتادة أن دلوكها زوالها، ففسرها به (٤٢٢) مع أنه نقل القول بغروبها عن ابن مسعود (٤٢٣)، ولعل سبب هذا الاختيار هو أن اللغة تدل على أن الدلوك هو الميل، فيكون المراد صلاة الظهر، ورجحه ابن جرير، وناقش الأول (٤٢٤)، وقد يكون الترجيح لأثر مرفوع، ومنه ما جاء عن قتادة وهو يحدث عن سعيد بن المسيب، قال: كان أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم مختلفين في الصلاة الوسطى، وشبك بين أصابعه (٤٢٥)، فرجح الحسن أنها صلاة العصر(٤٢٦)، متابعًا في ذلك عدًا من الصحابة رضي الله عنهم، والمرجح هنا هو الأثر المرفوع الذي رواه الحسن عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصلاة الوسطى صلاة العصر". (٤٢٧). (٤٢٨) وقد يكون الترجيح بقول صحابي آخر يقدِّم به عموم الآية على ما. ما ورد في خصوصها، ويجمع به بين الأقوال، فمن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) (الكوثر: ١). فقد جاء تفسير الكوثر عن جمع من الصحابة أنه نهر في الجنة (٤٢٩)، وعن ابن عباس أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه (٤٣٠)، وتابعه على ذلك سعيد بن جبير، فقال أبو بشر لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (٤٣١) فهنا رجح ابن جبير العموم في الآية مستند لقول ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يذهب إلى الخصوص الأثر الوارد في ذلك، أما إذا لم يكن ثمة مروي عن الصحابة في ذلك، فعندئذ يدخل منهم من يدخل في باب الاجتهاد (٤٣٢).

٤٢٢- زاد المسير(٧٢/٥)

٤٢٣- زاد المسير (٧٢/٥)

٤٢٤- تفسير الطبري (١٣٦/١٥، ١٣٧)

٤٢٥ - زاد المسير (٢٨٢/١)

٤٢٦ - تفسير التابعين (٦٦١/٢)

٤٢٧ - تفسير الطبري (١٩٤/٥) رقم ٥٤٣٨

٤٢٨ - رواه البخاري: كتاب الدعوات-باب الدعاء على المشركين: حديث رقم: (٦٣٩٦)، ومسلم: كتاب المساجد-باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر. حديث رقم: (٢٠٥-٢٠٦).

٤٢٩ - زاد المسير (٢٤٨/٩).

٤٣٠ - الدر المنثور (٦٤٩/٨)

٤٣١ - زاد المسير (٢٤٨/٩)

٤٣٢- تفسير التابعين (٦٦١/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أدت الرواية عن الصحابة والاعتماد عليها في التفسير إلى ظهور نتائج وآثار ترتبت على ذلك منها، حفظ أخبار الصحابة ومعرفة دقيق أحوالهم والتمييز بينهم، والالتزام بمناهجهم والإفادة منها، وتبني أقوالهم. (٤٣٣)

المطلب الخامس: منهج التابعين تفسير القرآن بلغة العرب

لقد كان تنزيل القرآن الكريم باللسان العربي المبين؛ بسبب اختيار الله أمة العرب لحمل الرسالة الخاتمة، إذ من شأن الرسالة أن تكون معقولة بلسان القوم الذين أرسل فيهم حاملها ومبلغها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم: ٤)، فهنا جاء تعليل إرسال الرسول – وهنا يراد به الجنس لا العين – في قومه لإفادة البيان، ولن تقوم الحجة بلسان غير اللسان الذي يتحدث به القوم، ولكن العجب في الحقيقة من جهة جعل رسالة القرآن الرسالة الخاتمة، وجعل رسولها عليه الصلاة والسلام الرسول الخاتم، وجعل إطارها الحاضن لها اللسان العربي المبين، وليس هذا فحسب، بل وجعل الجهة المستهدفة به العالمين كافة، وفي هذا خصوصية انفردت به أمة العرب عن غيرها من الأمم السالفة، وفي الحديث: "كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة". (٤٣٤)

وإن الناظر في التفاسير المنقولة عن التابعين يقف على مصادر متعددة لتفاسيرهم، وأهم مصادرهم فيه: الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، واللغة، ثم الاجتهاد بعد تحصيل العلوم والمعارف اللازمة للاجتهاد، مع رجاحة العقل، وإخلاص النية، والموهبة الربانية، وبهذا الاعتبار نجد أن اللغة تعد أحد المصادر الرئيسة في تفسير التابعين، ولو وقفنا على بعض النماذج التي تظهر اعتماد علماء التفسير من التابعين على اللغة؛ لبيان القيمة المنهجية التي يتبوؤها التفسير اللغوي:

أولاً: مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) – رحمه الله–:

٤٣٣– المصدر نفسه (٦٧٢/٢ إلى ٦٧٧)، ويُنظر: منهج التابعين في تفسير القرآن الكريم– أسامة– منتديات المطاريد.

يقول الباحث: بعد البحث والتحري تبين أن كاتبه قد اقتبسه كامًلًا من كتاب تفسير التابعين (عرض ودراسة مقارنة) لمؤلفه د. محمد بن عبد الله الخضيري، دون أن يعزوه لمؤلفه، ومن بركة العلم بل ومن أمانته أن يُنسب القول لقائله، ووجدت فيه سقط وأخطاء، فجزى الله مؤلفه خيرًا وضاعف مثوبته، وكنا نأمل من المؤلف " الخضيري " غفر الله له وزاده علمًا ألا يحصر مصادر بحثه القيم في مراجع ومصادر محدودة قد لا تتجاوز خمسة مصادر، ولا شك أن هذا أمر من الأهمية بمكان، وكذلك هناك بعض الملاحظات على الصناعة الحديثية تم بعون الله تصويبها، ومن أهمها: الحكم على كل حديث لم يرد في الصحيحين.

٤٣٤– صحيح البخاري، رقم: ٣٣٥

وهو أعلم التابعين بالتفسير: فقد كان رحمه الله من اللغة واللسان العربي بمكان، فوظف ذلك لخدمة كتاب الله تعالى، ولم ير لغير أهل اللسان العربي الخوض في معاني القرآن، بل يقول لا يحل لأحد يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب.

: فعند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾، قال: لتضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف. (٤٣٥)

ثانيًا: عكرمة مولى ابن عباس (ت: ١٠٥هـ) **– رحمه الله–:**

وهو من أعلم علماء التفسير عند التابعين، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وكان عكرمة إذا قدم البصرة أمسك الحسن البصري عن التفسير والفتيا ما دام

عكرمة فيها، وقد جاء من تفسيره في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾، قال: (لا تلبس ثيابك على غدر). وتمثل بقول غيلان الثقفي

فإني بحمد الله لا ثوب غادر *** *** ***لبست ولا من سوأة أتقنع

وهذا تأويل لغوي، واستعانة بالشعر على تقرير التفسير، وهو منهج أصيل عند المفسرين. (٤٣٦)

ثالثًا: الحسن البصري(ت: ١١٠هـ) **– رحمه الله–:**

كان رحمه الله من بحور العلم، رأسًا في أنواع الخير، لازم الجهاد، والعلم، والعمل، قال الشافعي: لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت: لفصاحته، وقد اشتمل تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، وبالاجتهاد والاستنباط، وكان متقدمًا في علوم اللغة العربية (٤٣٧)، وما ورد من تفسيره بمقتضى اللغة، ما قاله عند قوله تعالى: (وخرقوا له بنين وبنات) (الأنعام:١٠٠)، قال: خرقوا بالتخفيف كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة. (٤٣٨)

رابعًا: قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) **– رحمه الله–:**

أحد الأئمة في حروف القرآن، وله اختيار من القراءات المروية، كان رأسًا في العربية، واللغة، وأيام العرب، ومن أعلم الناس بالأنساب، وقال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير، وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه، والحفظ وأطنب في ذكره، (٤٣٩)

٤٣٥– تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، د. محمد بن عبد الله الخضيري، دار الوطن، الرياض، ج١ص١٢٢

٤٣٦–التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، د. عبد الغفور محمود جعفر، دار السلام، القاهرة، ط١،

٤٣٧– المرجع سابق، ص٤٩٥.

٤٣٨– تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٢٠٤.

٤٣٩– التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، مرجع سابق، ص٤٩٦.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن لطائفه التفسيرية، ما قاله معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (الزخرف:١٣)، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين. فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر، لما عدلت به أحداً من أهل دهره. (٤٤٠) (٤٤١)

خامسًا: عامر بن شراحيل الشعبي (ت: ١٠٠هـ) **– رحمه الله–:**

وهو إمام حافظ، وحجة متقن، وقد عرض القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وعلقمة، وقد كان متقدمًا في اللغة العربية، ولذلك كانت أحد مصادر في تفسير القرآن الكريم بالإضافة إلى بقية المناهج التفسيرية كالتفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة وأقوال معاصريه من التابعين، ومما نقل عنه في تفسير القرآن بالمقتضى اللغوي ما قاله في تفسيره لقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) (النازعات:١٤)، قال: إذا هم بالأرض، ثم تمثل ببيت أمية بن أبي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر *** وما فاهوا به أبدًا مقيم

فهنا رحمه الله تعالى يستعمل اللغة وكلام العرب وأشعارهم قبل الإسلام في تفسير كلام الله تعالى. (٤٤٢)

ومما يُستنبط ويُفاد مما ذُكِرَ آنفًا ما يلي:

أولًا: التفسير اللغوي يعد أحد مصادر التفسير عند السلف، وقد ظهر لنا كيف أن التابعين أسسوا علمهم عليه كأحد المناهج المعتمدة في تعاملهم مع النص القرآني.

٤٤٠–تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٢٨٤.

٤٤١–والقول بالقدر مشهور في أهل البصرة، وقتادة بصري، ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب (٤٢٨/٣ رسالة) (وقال علي بن المديني قلت ليحيى بن سعيد إن عبد الرحمن يقول أترك كل من كان رأسا في بدعة يدعو إليها قال كيف تصنع بقتادة وابن أبي رواد وعمر بن ذر وذكر قومًا ثم قال يحيى إن تركت هذا الضرب تركت ناسًا كثيرا) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى ج: ٢٨ ص: ٢١٢

"وكذلك لما كثر القدر فى أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم) انتهى.

لكنه رحمه الله وإن كان يقول بشيء من ذلك إلا أنه لم يكن يُظْهِر هذا ويُشْهِرُه بل كان يكتمه، قال الإمام أحمد: (كان قتادة وسعيد يقولان بالقدر ويكتمان)، وقال العجلي: (... وكان يقول بشيءٍ من القدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلم فيه)، فلعل عدم إظهاره لذلك هو ما جعل أبا داود يخفى عليه ذلك حيث قال: (لم يثبت عندنا عن قتادة القول بالقدر)، ولعله تاب من ذلك ورجع عنه كما قال الذهبي في "السير "(٤١٤/٦).

٤٤٢– تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٣٣٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: أن الذي دفع التابعين إلى التفسير اللغوي فيما يظهر عدم وجود نصوص منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، وهذا يعني أن التفسير اللغوي يعد أحد وجوه الاجتهاد في التفسير الذي تمكن منه التابعون، وهذا يستلزم كما قلنا أدوات الاجتهاد والبحث.

ثالثًا: القيمة العليا التي تمتع بها جيل التابعين؛ لكونهم تتلمذوا على خير الأمة بعد رسولها صلى الله عليه وسلم، وهذا يعطيهم منزلة يقصر عنها غيرهم من اللاحقين، وقد تبين لنا الإحكام العلمي والمنهجي واللغوي الذي تمتعوا به رحمهم الله تعالى.

رابعًا: أن القرآن الكريم بحاجة دائمًا إلى التعرض بحثًا واستنباطًا وفقاً للمناهج التي وضعها العلماء استقراء وتتبعًا من نصوص المتقدمين من السلف: الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمحققين من العلماء اللاحقين.

خامسًا: الأمة مطالبة وخاصة طلبة العلم بضرورة تقدير تلكم المرحلة الزمنية؛ لكونها حاملة لواء نقل العلم إلى البشرية جمعاء من أفواه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فكل خير في اتباع من سلف كما أن كل شر في ابتداع من خلف، و" لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها"(٤٤٣) كما قال الإمام مالك رحمه الله. (٤٤٤)

وختامًا: فإن من تأمل وتتبع التفسير عند التابعين يتضح له عيانًا أن اللغة مصدرًا أساسيًا وأصيلًا قد اعتمدوه، ولا شك أن من أهم الأسباب الداعية لذلك:

١- أنهم أهل اللسان العربي الأصيل الذي لم تخالطه عُجمة

٢- سليقتهم العربية الجبلية ومعرفتهم بلغة العرب وفنونها وأسرارها وأساليبها وبلاغتهم وفصاحتهم بالسليقة التي عايشوا بها لغتهم ومارسوها وألفوها وأتقنوها بل وأحبوها

٣- اتقانهم للشعر العربي الفصيح ومعرفة فنونه ودروبه وأشكاله

٤٤٣- وقول الإمام رحمه الله ورد في كتاب «المبسوط»، للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ت ٢٨٢ هـ)؛ قال القاضي عياض في: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى -صلى الله عليه وسلم-» وذكره: (٢/ ٨٨)، وينظر كذلك: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٧٦٢، ٧٦٣ - ط مكتبة الرشد).

٤٤٤- تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٣٣٠- وللاستزادة: يُنظر: التابعون ومنهجية التفسير اللغوي-د. فارس العزاوي-موقع الألوكة.

المطلب السادس: تفسير القرآن بالاجتهاد وقوة الاستنباط

"قد ظهرت اجتهادات التابعين في التفسير، حتى إبان عهد الصحابة، وشملت اجتهاداتهم مواطن كثيرة، غالبها مما سكت عنه الصحابة ومن أهمها:

١. بيان المراد من النص، وذلك، إذا كان النص خفي الدلالة بسبب إجمال في اللفظ أو التركيب.

٢-استنباط بعض الأحكام من النصوص القرآنية.

٣-بيان الفروق بين ما تشابه من الكلمات، والمعاني، والتفسير بين النظائر.

٤-الفائقة بدقائق من علم الكتاب العزيز، كمباحث عد الآيات، والكلمات في القرآن الكريم وغيرها.

وقد كان لاجتهاد التابعين في تفسير الآيات مميزات منها:

١- تنوع عبارات الاجتهاد وتعددها.

٢- الإيجاز غير المخل

٣- عمق التأمل ودقة التفسير

٤- قوة الاستنباط". (٤٤٥) (٤٤٦)

ويُحسن أن نختم بمبحث هام جدًا ألا وهو:

المطلب السابع: التابعون الذين اشتُهِروا بأخذ التفسير عن الصحابة

ذكر أكثر التابعين الذين اشتُهِروا بأخذ التفسير عن الصحابة

ولقد اشتهر بالتفسير من التابعين جم غفير، نهلوا من علم الصحابة الكرام الذين شاهدوا التنزيل وتعلموا التفسير والتأويل والتحبير من أعلم الخلق بكلام الخالق وهو من أنزل الله عليه الكتاب فتلقى عنه أصحابه أولوا الألباب، وطافوا الأمصار يعلمون أي التنزيل بالليل والنهار والتف حولهم كوكبة من التابعين الأبرار في أماكن ومدارس للتفسير متفرقة في الأقطار.

٤٤٥- تفسير التابعين (٢/٧١١)

٤٤٦- للاستزادة يُنظر: عَرَفَة بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير علم التفسير وتعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين- رسال جامعية: (ص: ٢٦٣) وما بعدها.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والتي كان من أشهرها:

أولًا: مدرسة أهل مكة

وهم أصحاب عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي(ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما بمكة:

وكان من أشهرهم

١- سعيد بن جبير الأسدي (ت: ٩٥هـ)

٢- مجاهد بن جبر المخزومي (ت: ١٠٤هـ)

٣- عكرمة بن عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس (ت: ١٠٥هـ)

٤- طاووس بن كيسان اليماني (ت: ١٠٦هـ)

٥- عطاء بن أبي رباح القرشي (ت: ١١٤هـ)

٦- أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي الأزدي (ت: ٩٣هـ)

وإن كان كل هؤلاء من الموالي، غير: " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين ". (٤٤٧)

ثانيًا: مدرسة أهل المدينة

بن قيس الخزرجي الأنصاري(ت: ٣٠هـ) رضي الله عنه بالمدينة: وهم أصحاب أُبيِّ كعب بن كعب

وكان من أشهرهم

١- زيد بن أسلم العدوي العمري (ت: ١٣٦هـ)

٢- أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران الرياحي البصري (ت: ٩٣هـ)

٤- ومحمد بن كعب القرظي(ت: ١٠٨هـ)

ثالثًا: مدرسة أهل الكوفة

وهم أصحاب عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي(ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه الكوفة:

وكان منهم أشهرهم

١- قتادة بن دعامة السَّدوسي (ت:١١٨هـ)

٢- علقمة بن قيس النخعي الكوفي(ت:٦١هـ)

٣- عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي(ت:١٠٩هـ)

٤- مسروق بن الأجدع الوادعي الهمداني الكوفي(ت:٦٢هـ)

٤٤٧-أخرجه مسلم (٢ / ٢٠١) والدارمي (٢ / ٤٤٣) وابن ماجة (رقم ٢٠٦ -تحقيق الأعظمي).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٥- الأسود بن يزيد النخعي الكوفي(ت:٧٥هـ)

٦- والحسن بن يسار البصري(ت:١١٠هـ)

وفي نحو ما ذُكِرَ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"وأما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعِكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضًا ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب". (٤٤٨) (٤٤٩)

ولعل في هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

المبحث الخامس: المصدر الخامس: تفسير القرآن بمدلولات اللغة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة اللغة من القرآن

إن الله تبارك وتعالى جَعَلَ العَرَبِيَّةَ لَنا لِسانًا، وَزادَها شَرفًا وجَمالاً وَبَيانًا، أَنزَلَ بِحروفِها الذِّكرَ قُرآنًا، كَرَّمَ الإنسَانَ، وهَداهُ بالقُرآنِ، وعلَّمهَ البَيانَ، وبعث نبيه مُحَمَّدًا أَفصَحُ النَّاسِ لِسَانَا وأجمَلُهم بَيانًا، وَهبَهُ رَبُّهُ جَوامِعَ الكَلِمِ فَفاقَ النَّاسَ فَضْلاً وَجَمالاً، وجعل أصحَابِهِ في فهم الُّلغَةِ والبَيانِ فُرسانًا.

لكلِّ أُمَّةٍ شِعَارٌ

لقَد أَنعَمَ اللهُ تَعالى على أُمَّةِ العَرَبِ بِأَفْصَحِ لِسانٍ، وأَقوى بَيَانٍ، ثُمَّ كانَ تَاجُها وفَخَارُها مَنْ أوتِيَ جَوَامِعِ الكَلِمِ القائِلِ "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا"(٤٥٠)، فلقد مَنَّ اللهُ تعالى علينا بأَفضَلِ لُغةٍ في الأكوانِ إنَّها لُغةُ القرآنِ الكَريمِ فهيَ أَسَاسُ الُّلغَةِ وَتَاجُها وشِعَارُها الُّلغةُ العَرَبِيَّةُ زهرةُ التَّأريخِ، وَشَهَادَةُ الأَجيَالِ، وَالمنهَلُ العذبُ، والبيانُ السَّاحِرُ, ومِفتَاحُ الحقِّ المبِينِ. حَامِلةُ رِسَالةِ الإسلامِ، وأَدَاةُ تَبليغِ الوَحيَينِ, مَحفُوظَةٌ بِحفظِ القُرآنِ الكَريمِ، واللهُ تعالى قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون)

٤٤٨- مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير: ص١٥.

٤٤٩- للاستزادة يُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير علم التفسير وتعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين- رسال جامعية: (ص: ٤٣) وما بعدها

٤٥٠ - ونص الحديث: عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-، قال: قدم رجلان من المشْرق فخطبا فعجب النَّاس لبَيَانِهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من البَيَان لسِحْرًا، أو: إنَّ بعْضَ البَيَان لسِحْرٌ). رواه البخاري (٥٧٦٧).

(الحجر: ٩)، هي لُغَةُ الإعجَازِ الإلَهيِّ والإبْدَاعِ الأَدَبِي. والعَرَبُ عامَّةً وقُرَيشٌ خاصَّةً تَعرِفُ قِيمَةَ اللُّغةِ ومَدْلُولاتِها ومآلاتِها .(٤٥١)

ولقد كان عرب الجاهلية يُعْرَفُونَ ببراعة البيان، وشدة العارضة، والتقدم في اللسن، وكان الكلام البليغ أملك لنفوسهم، وأوقَعَ في قلوبِهم، وهُمْ إلَيْهِ أشوق، وفيه أرغب؛ لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل القرآن دون غيره معجزة نبيه – صلى الله عليه وسلم – إليهم، يتحدى به، ويعوِّل عليْه في الدعوة والتشريع، واثقًا به، مطمئنًّا إليه، يعلم حق العلم أن الله جلت قدرته قد آتاه من فصاحة النظم، وصحة الحكم، وبراعة التقسيم، وشرف القصد مالم يؤتِ كلامًا سواه .(٤٥٢)

نزول القرآن على أفصح وأبلغ العرب–صلى الله عليه وسلم–

إن من كمال حكمته– سبحانه– أن أنزل القرآن على أفصح وأبلغ العرب.

وفي وصف بلاغته –صلى الله عليه وسلم– يقول الرافعي(ت: ١٣٥٦هـ) **– رحمه الله–:**

إذا نظرت في ما صح نقله من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مُسددَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات... ورأيته في الثانية حسن المعرِض، بيِّن الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهِرَ الحدود جيدَ الرصفِ، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديعَ الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان. (٤٥٣)

ولو أنصف العرب لكانوا أحق أن يقدروه، وينزلوه منزلته فوق منازل الكلام، وأن يذعنوا له، ويلبوا داعيه، خاشعين مذعنين، لكنهم انقسموا في الإيمان به كما ينقسم الناس في كل جديد يتصدى لواقع من الأمر يريد أن يبدله، ويحمل الناس على خلافه، فكيف إذا كان الجديد نقضًا صريحًا لعقيدة دينية راسخة، وإبطالاً جازمًا لتقاليد موروثة متأصلة؛ فمنهم من غلب على هواه، وتخلص من عصبيته، وربأ بنفسه عن اللجاج والإصرار على المكابرة والعناد، فآمن به، ودعا إليه، وجاهد فيه أصدق جهاد وأبلغه فداء واحتمالاً.

---

٤٥١ – يُنظر: اللغة العربية.. لغة القرآن، د. محمد بن سليمان الواصل، موقع: المعهد العلمي في الملز، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (د ت). بتصرف.

٤٥٢– القرآن الكريم واللغة العربية، علي النجدي ناصف، المصدر: من كتاب: "مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة"، عن الألوكة، بتاريخ: ١٤٢٩/٣/١هـ.

٤٥٣– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤٢٥،٨هـ – ٢٠٠٥م: (ص٢٢١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهم من كفر به، وصد عنه، وراح يؤلِّبُ عليه، ويبطش بأصحابه تعاليًا واستكبارًا، حتى كان منهم من سمع آيات منه فأحمده،، وخشع له، ولم يسعه حين وصفه إلا أن يقر بامتيازه وتفرده في الكلام، فما هو برجز ولا شعر ولا بضرب آخر من جنس ما يتعاطون من فنون القول، ومع ذلك أبتْ عليه العصبية في شدتها، والحمية في ضراوَتِها أن يؤمن به، أو يعدل في أمره عن سنن معارضيه من مقاومته والافتراء عليه.

وحار كُفَّار العَربِ في القرآن، لا يدرون ما هم قائلون فيه، ولا ما هم صانعون به؛ لانتقاصه والنَّيْلِ مِنْهُ ومِنْ صاحِبِه؟ إنَّه كلامٌ عَرَبِيٌّ، ما في ذلك ريب ولا عليه خلاف، لكنَّه كلامٌ لا يُدَانِيهِ كلام سواه، في براعة نَظْمِه، وحلاوة منطقه، وائْتِلافِ فواصله، وإحكام تقاسيمه، ومتانة نسجه، لا ترى فيه كلمة ينبو بِها مكانها، أو تضيق بها جيرتها، ولا تجد من حروفها حرفًا نافرًا، يلوي اللسان بها، أو يخل بخفة أدائها وعذوبة جرسها.

وما كان الله – تعالت حكمته – ليدع هؤلاء المعاندين وشأنهم، يزين لهم الهوى أن يتمادوا في التقول على القرآن والخوض فيه، فأخذ بتلابيبهم إلى التي لا قِبَل لهم بها، ليكشف عوارهم، ويطامن من كبريائهم، فتحدَّاهم به جهرة، وفى غير مواربة، بكل أنواع التحدي الواردة في القرآن ولما أن عجزوا وطال عجزهم، قالها عالية مدوية يتردد صداها في سمع الزمان: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨). ولقد أقاموا مع ذلك على صمتهم، فما يُبدِئون ولا يعيدون، كأن التحدي لم يكن لهم، وكأنهم ليسوا أمراء البيان، وأصحاب الحمية الجاهلية فيما يعلم الناس، فحق عليهم بذلك خزي الكذب الصراح، والادعاء الباطل؛ إذ كانوا – كما يصفهم الله وهم يقولون حين تتلى عليهم آياته: (قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (الأنفال: ٣١)، ولو قد تكلف منهم متكلِّف، فعارض القرآن أو شيئًا منه لظهر أمره، ولوجد كما يقول الجاحظ: "من يستجيده، ويحامي عنه، ويكابر فيه".(٤٥٤)

٤٥٤- القرآن الكريم واللغة العربية، علي النجدي ناصف، المصدر: من كتاب: "مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة"، عن الألوكة، بتاريخ: ١٤٢٩/٣/١هـ.

ولغة العرب هي سبيل ضبط الدين ومعرفته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): **– رحمه الله–:**

إنَّ الله لما أنزل كتابَه باللسان العربي، وجعل رسولَه مبلِّغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السَّابقين إلى هذا الدين متكلِّمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدِّينِ ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدِّين، وأقرب إلى إقامةِ شعائر الدين. (٤٥٥)

من عرف كلام العرب عرف فضل القرآن

وفي نحو ذلك يقول ابن القيم–(ت: ٧٥١هـ): **رحمه الله–:**

وإنّما يعرف فضل القرآن مَنْ عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها.... (٤٥٦)

وفي اصطفاء لغة العرب يقول الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ) – **رحمه الله–:**

وجدنا للغة العرب فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصًا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات. (٤٥٧).

ومما ورد في عناية الصحابة بالعربية ما جاء عن عمر بن الخطاب(ت: ٢٣هـ) **– رضي الله عنه– في قوله:**

تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنَّهَا تُثَبِّتُ الْعَقْلَ، وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ. (٤٥٨)

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الأشعري(ت: ٤٤هـ) **– رضي الله عنه–**(٤٥٩)

أَمَّا بَعْدُ فَتَفَقَّهُوا فِي السُّنَّةِ، وَتَفَقَّهُوا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَأَعْرِبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ. (٤٦٠)

٤٥٥–اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م: (١/٤٤٩ – ٤٥٠).

٤٥٦ –الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: (ص: ٧)، حكاه عن ابن النقيب.

٤٥٧– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت عدد الأجزاء: ١٥.

(١/١٨٤).

٤٥٨– شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، (ح:١٥٥٥)، (٣/٢١٠).

٤٥٩ – اختلفت الروايات في وفاة أبي موسى، فقيل مات سنة ٤٢ هـ، وقيل سنة ٤٤ هـ، وقيل سنة ٤٩ هـ، وقيل سنة ٥٠ هـ، وقيل سنة ٥٢ هـ، وقيل سنة ٥٣ هـ، إلا أن الذهبي وابن الجزري رجحا وفاته في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويخاطب– رضي الله عنه– رعيته قائلًا:

أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم. (٤٦١)

ومما لا شك فيه أن معاني القرآن لا تخرج عن المعهود الوارد في لغة العرب، لذا فإنه يتعين على المفسر معرفة لغة العرب لأنها الباب الذي يلج منه لمعرفة معاني مفردات القرآن وألفاظه ليقدم التّفسير اللُّغويّ سليم المعاني واضح الدلالات، لأن لغة العرب هي مركبه وآلته، لأن القرآن نزل بها وبمفرداتها وألفاظها وأساليبها ومعانيها، ومفاهيمها في التخاطب التي يتداولونها بدلالتها، فهي المفتاح الذي يُفتح له به أسرار فهم معاني القرآن.

فيجب عليه معرفة الألفاظ المستعملة في لغة العرب وفهم مرامي مدلولاتها في لغتهم واشتقاقها وتصاريفها، وكما يجب عليه معرفة أساليب العرب في التخاطب.

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

لا بُدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإنّ عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السّبب، فإنّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدّعون أنّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك. (٤٦٢)

ولذا فإنك ترى صُنَّاع العربية من المفسرين قد أَوْلَوا هذا الجانب اهتمامًا بالغًا، فتراهم يستدلون بالشعر على موافقة ما ذهبوا إليه واستدلوا به من المفاهيم اللغوية على بيان معاني القرآن.

ومن أبرز هؤلاء:

١– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (ت: ٣١٠هـ) في تفسيره: " جامع البيان في تأويل القرآن"

٢– والبغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: (ت: ٥١٠هـ) في تفسيره: "معالم التنزيل في تفسير القرآن"

٣– وابن عطية :أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: (ت: ٥٤٢هـ) في تفسيره: " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

٤٦٠– الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، (ح: ٢٩٩١٤)، (١١٦/٦).

٤٦١– يُنظر: الموافقات للشاطبي: (٨٨/٢).

٤٦٢– الإيمان: (ص: ٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٤- وأبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في تفسيره: " البحر المحيط في التفسير"

٥- ومحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: (ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره: "التحرير والتنوير"

٦- محمد الأمين الجكني الشنقيطي(ت: ١٣٩٣هـ) في تفسيره: " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، وغيرهم من المفسرين.

وفي مثل هذا الصدد يقول الشاطبيُّ(ت: ٧٩٠هـ) – رحمه الله–:

لا بد في فهم الشريعة من اتّباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمّة عرفٌ، فلا يصحّ أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب. (٤٦٣)

ومعاني وألفاظ وأساليب القرآن تُفهم وفق دلالة ألفاظها زمن الرسالة

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) إلى هذا المعنى فقال – رحمه الله–:

ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح. (٤٦٤) وهذا هو عين ما وقع فيه أهل الإعجاز العلمي.

حكمة نزول القرآن بلغة العرب

لذا فإنه كان من كمال حكمته سبحانه- أن أنزل القرآن بلسان عربي مبين كما قال سبحانه: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)) (الشعراء:١٩٣-١٩٥)

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) – رحمه الله–:

"هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه بلسانك العربي الفصيح، الكامل الشامل؛ ليكون بيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلاً على المحجَّة". (٤٦٥)

فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان ". (٤٦٦) "

٤٦٣- الموافقات: (٦٢/٢).

٤٦٤ - مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية: (٩٥/٣).

٤٦٥- تفسير ابن كثير [٤٤٢/٣]:

٤٦٦- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٨م) ط ١، ج ١، ص ٢٥٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

(فصلت: ٣)(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(وقال تعالى:

وقوله(قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي: " لفظًا عربيًّا واضحًا؛ فمعانيه مفصَّلَة، وألفاظه واضحة غير مشكل ". (٤٦٧)

وبعد الوصف الوارد فيها بعربيته في نفس السورة – فصلت– جاء التأكيد على كونه (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) وليس أعجميًا، وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه هذا التأكيد وذلك في قوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) (فصلت: ٤٤).

وقوله: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ)؛ أي: ولو جعلنا القرآن أعجميًّا بلغة غير العربية، لقال كفار العرب المعاصرون لرسول الله: هلَّا بيَّن الله لنا آيات كتابه بلغتنا العربية حتى نفهَم ما فيه؟ !ولقال كفار العرب متعجبين ومنكرين: أقرآن أعجمي ورسول عربي؟! كيف يُنزل على رسول عربي كتابٌ لا يفهمه لكونه بغير لغته؟!. (٤٦٨)

يقول الله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف : ٢]

يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه". (٤٦٩)

٤٦٧– تفسير ابن كثير [٤/١٠٧].

٤٦٨– يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة: (ص: ٣٩٠)، تفسير الطبري: (٢٠/ ٤٤٦)، تهذيب اللغة، للأزهري: (١/ ٢٤٩)، المحكم، لابن سيده: (١/ ٣٤٢)، تفسير القرطبي: (١٥/ ٣٦٨)، تفسير ابن كثير: (٧/ ١٨٣، ١٨٤)، تفسير السعدي: (ص: ٧٥١)، التحرير والتنوير، لابن عاشور: (٢٤/ ٣١٤، ٣١٥).

٤٦٩– المرجع السابق (٢ / ٤٦٧).

وكل العلوم وفي مقدمتها علم التفسير مفتقر لمعرفة لغة القرآن

وفي نحو ذلك ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ) **– رحمه الله–:**

وحسبك من شرف هذا العلم أن كل علم على الإطلاق مفتقر إلى معرفته، محتاج إلى استعماله في محاورته، وصاحبه فغير مفتقر إلى غيره، وغير محتاج إلى الاعتضاد والاعتماد على سواه، فإن العلم إنما هو باللسان، فإذا كان اللسان معوجًّا متى يستقيم ما هو به؟. ([٤٧٠])

المطلب الثاني: مكانة اللغة للمتكلم في الشريعةِ ولا سيما في التفسِّير

لابد للمتكلم والمتصدر لعلوم الشريعة عمومًا وللتفسير خصوصًا من معرفة لغة القرآن وعلومها وأفنانها، لأن معرفتها أصل أصيل لا يحاد ولا يستغنى عنه ولا يمكن الاستعاضة عن غيره به البتة لأن قوام كل علم من علومها إنما قوامه ومرجع فهمه لا يكون إلا بفهمها وبالرجوع لأصولها وقواعدها..

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله –:**

"وعلى النَّاظرِ في الشريعةِ والمتكلم فيها أصولاً وفروعًا أمران؛ أحدهما: ألا يتكلَّمَ في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربي؛ في كونِه عارفًا باللِّسان العربي، بالغًا فيه مبلغ العرب؛ قال الشَّافعي – رحمه الله –: فمن جهل هذا من لسانها – وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنة – فتكلَّفَ القول في علمِها، تكلف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما جهل وما لم تثبتْ معرفتُه، كانت موافقته للصواب – إن وافقه – غيرَ محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غيرَ معذورٍ؛ إذ نطق فيما لا يحيطُ علمه بالفرقِ بين الخطأ والصواب فيها ". ([٤٧١])

ويؤكد نفس المعنى ما سبق ذكره في المطلب السابق عن شيخُ الإسلام ابن تيميَّة(ت: ٧٢٨هـ) **حيث يقول – رحمه الله –:**

لا بُدَّ في تفسيرِ القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلُّ على مرادِ الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه؟..... ([٤٧٢])

٤٧٠– معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، (١٠/١).

٤٧١– الاعتصام، ج١ (ص٥٠٣).

٤٧٢–الإيمان (ص١١١). وقد سبق ذكره في المطلب السابق، وتكرر ذكره ها هنا لمسيس الحاجة إليه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الشافعيّ (ت: ٢٠٤هـ) **– رحمه الله–:**

على الخاصَّة الّتي تقومُ بكفاية العامّة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلّم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصُّل إلى معرفة ما في الكتاب والسُّنن والآثار، وأقاويل المفسّرين من الصّحابة والّتابعين، من الألفاظ الغريبة، والمخاطباتِ العربيّة، فإنّ من جَهِلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جَهِلَ جُملَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفَهِم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدَّاخلةُ على من جَهِلَ لسانها من ذوي الأهواء والبدع. (٤٧٣)

والحسن البصري(ت: ١١٠هـ) **يذم تأول القرآن على غير لغته التي أُنزل بها فيقول – رحمه الله–:**

"أهلكتهم العجمةُ؛ يتأولونه على غيرِ تأويله". (٤٧٤)

وإذا عُلِمَ هذا فإن المفسر إن لم يجد ما يفسر به آية ما في القرآن لجأ إلى السنة، فإن لم يجد فيها لجأ لأقوال الصحابة، فإن لم يجد ما يفسره بها نظر في أقوال التابعين، فإن لم يجد لجأ إلى لغة العرب التي نزال بها القرآن، ولغة العرب هي لغة الصحابة رضي الله عنهم، وهم خير من فهم الخطاب الإلهي؛ لأن الله قد أنزله بلغتهم، وهم مع معاصرتهم نزول القرآن وسعة مداركهم في فهم آياته، فإنهم مع ذلك كله قد يفسروا الآية بلغتهم إن لم يجدوا ذلك التفسير في مظانه ومصادره الأولى ألا وهي القرآن والسنة، ودلائل ذلك كثيرة جدًا وهي أكثر من أن تحصى. (٤٧٥)

وفي فهم ألفاظ القرآن مفردة ومجتمعة يقتضي ويلزم الرجوع إلى اللسان الذي أنزل به القرآن، وذلك في ضوء قواعد العربية، تلك اللغة التي لا يجوز على المفسر تحكيم غيرها في فهم أي قاعدة طارئة أو اصطلاح دخيل بعد عصر التنزيل.

ولذا يقول الإمام مالك (ت : ١٧٩هـ) **– رحمه الله–:**

" لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا ".(٤٧٦)

فجعل العلم بلغات العرب أصلًا يرجع إليه في التفسير.

---

٤٧٣ – تهذيب اللغة: الأزهري: (١/ ٥)

٤٧٤– خلق أفعال العباد للبخاري: (ج١ ص١٣٠– ١٢٥)، وربيع الأبرار: (ج١ ص٣٢١).

٤٧٥– يُنظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيّ، تحبير التحبير في تيسير علم التفسير وتعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين: (٢٨٦). بتصرف يسير

٤٧٦–الزركشي: "البرهان" ج: ٢ – ص: ١٦٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) – **رحمه الله–:**

"لسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون فيها من يعرفه". (٤٧٧)

ومما يجلي ويبين اعتناء الصحابة رضي الله عنهم باللغة في فهم معاني القرآن، عنايتهم بإعراب القرآن وبفهم غريبه في لهجات العرب والاستعانة به على فهم معاني القرآن.

روى أبو عبيد القاسم بن سلام(ت: ٢٢٤هـ) **في فضائلِ القرآن عن أبي بكر الصديق**(ت: ١٣هـ) **– رضي الله عنه – قال:** "لأن أعرب آيةً أحب إليَّ من أن أحفظَ آية؛ وذلك لأنَّ فهمَ الإعراب يعينُ على فهمِ المعنى، والقرآن نزل للتدبرِ والعمل ". (٤٧٨)

ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) **– رضي الله عنه– أنه قرأ** (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ)(النحل: ٧٤) ثم سأل عن التخوف؟ فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص.(٤٧٩)

وكان – رضي الله عنه– يأمر بإعراب القرآن– كما مر معنا آنفًا–

فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه–: " أما بعد.....فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأَعْرِبُوا القرآن؛ فإنه عربي ". (٤٨٠)

وكذلك ما روي عن ابن عباس(ت: ٦٨هـ) **– رضي الله عنهما– أنه قال:**

"كنت ما أدري ما (فاطر السماوات والأرض)(فاطر: ١٥) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها. (٤٨١)

ويؤكد ذلك القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) **فيقول – رحمه الله–:**

"والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولًا ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلى بالسماع كثيرة...، ألا ترى أن قوله تعالى: (وَآتَيْنَا

٤٧٧– الشافعي "الرسالة" ص: ٤٢ فقرة ١٣٨، وقد تعقب ابن فارس كلامه منكرًا أن يكون صحيحًا. يُنظر: الزركشي: "البحر المحيط في أصول الفقه" ج: ٢– ص: ٢٤، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ بإشراف وزارة الأوقاف – الكويت .

٤٧٨– الإشراف في منازل الأشراف، ج١ (ص٤٧٠– ٤٦٩).

٤٧٩– يُنظر: الزركشي: "البرهان" ج: ١ – ص: ٢٩٤ وما بعدها والسيوطي، "الإتقان" ج: ١ ص: ١١٥ وما بعدها

٤٨٠– اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٠٧.

٤٨١– يُنظر: الزركشي: "البرهان" ج: ١ – ص: ٢٩٦

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا) (الإسراء:٥٩)، معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولا يدري بماذا ظلموا؟...". (٤٨٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة (ت: ٧٢٨هـ) **–رحمه الله–:**

معلومٌ أنّ تعلمَ العربية وتعليمَ العربية فرضٌ على الكفاية، وكان السّلف يؤدّبون أولادهم على اللّحن، فنحن مأمورون أمرَ إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ أن نحفظ القانون العربي، ونُصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنّة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو تُرك النّاس على لحنهم كان نقصًا وعيبًا. (٤٨٣)

وتفسير القرآن بلغة العرب اعتنى به الأولون وصنفوا فيه كما يشير الزركشي(ت: ٧٩٤هـ) **إلى ذلك بقوله – رحمه الله–:**

"وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبرا، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة إلى غير ذلك". (٤٨٤)

وحول بيان حقيقة مشكل القرآن بمفهوم اللغة يقول الزركشي(ت: ٧٩٤هـ) **أيضًا:**

"واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها؛ فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر". (٤٨٥)

" ولذا أيضًا نجد التفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه و الأخفش و الكسائي

والفرَّاء وغيرهم.

فالاستظهار لبعض معاني القرآن الكريم وأسراره نابع من الاستعانة بأقاويلهم، والتشبث بأهداب فسرهم، وتأويلهم، كما قال الزمخشري في المفصل". (٤٨٦)

٤٨٢– القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن" ج: ١ – ص:.٣٤، مصورة عن طبعة ١٣٧٢ هـ بتصحيح أحمد عبد العليم البردوني.

٤٨٣ – مجموع الفتاوى: (٢٥٢/٣٢).

٤٨٤– الزركشي: "البرهان " ج: ١ – ص: ٣٠٢ .

٤٨٥– البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١/ ٢٩٥.

٤٨٦ – المفصل، ص ٣.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ) **– رحمه الله–:**

"لما كان المرجعُ في معرفة شرعِنا إلى القرآنِ والأخبار، وهما واردان بلغةِ العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفًا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتمُّ الواجبُ المطلق إلا به – وكان مقدورًا للمكلف – فهو واجب". (٤٨٧)

وعن فهم القرآن بمدلول اللغة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

" إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدين، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين...". (٤٨٨)

ويؤكد السيوطي (ت: ٩١٠هـ) **نفس المعنى فيقول – رحمه الله–:**

"ولا شكَّ أنَّ علم اللغة من الدين؛ لأنه من الفروضِ الكفايات، وبه تُعرفُ معاني ألفاظ القرآن والسنة ". (٤٨٩)

وفي نحو ذلك يقول أبو حيان(ت: ٧٤٥هـ) **في البحر المحيط في معرض ثنائه على سيبويه** (ت: ١٨٠هـ) **–رحمه الله–:**

فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحرير والتحبير؛ أن" يعتكف على كتاب سيبويه؛ فهو في هذا الفن المعوَّل والمستند عليه في حل المشكلات إليه ". (٤٩٠)

ومن تعرض لتفسير القرآن وهو لا يحسن لغته التي أنزله الله بها أتى بالعجائب

ومن أمثلة ذلك من زَعَم أنه يجوزُ للرجلِ نكاح تسع نساء حرائر ليس فيهن إماء البتة، مستدلاً بقوله تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) (النساء: ٣)

قال الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله–:**

"ولم يشعر بمعنى فُعال ومفعل، وأنَّ معنى الآية: فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين، أو ثلاثًا ثلاثًا، أو أربعًا أربعًا ". (٤٩١)

٤٨٧– المحصول في علم أصول الفقه، للرازي، ١/ ٢٧٥.

٤٨٨ – اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٦٢

٤٨٩– المزهر، ط دار إحياء الكتب العربية، (/٣٠٢٢).

٤٩٠– البحر المحيط، ٣/١.

٤٩١ – الاعتصام؛ للشاطبي، ج٢ (ص٥٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويتابع– رحمه الله – بعد أن ذكرَ المثال السابق وأمثاله فيقول:

"فقد ظهر بهذه الأمثلةِ كيف يقعُ الخطأ في العربيةِ في كلام الله – سبحانه – وسنة نبيه – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأنَّ ذلك يؤدِّي إلى تحريفِ الكلم عن مواضعِه، والصحابة – رضوان الله عليهم – براءٌ من ذلك؛ لأنهم عربٌ لم يحتاجوا في فهمِ كلامِ الله – تعالى – إلى أدواتٍ ولا تعلم، ثم من جاء بعدهم ممن هو ليس بعربي اللسان تكلَّفَ ذلك حتى علمه "؟. (٤٩٢)

وقال القرطبي(ت: ٦٧١هـ) – رحمه الله–:

"...اعلم أن هذا العدد مثنى وثلاث ورباع لا يدل على إباحة تسع، كما قال من بعد فهمه للكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة، وزعم أن الواو جامعة، وعضد ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم نكح تسعًا، وجمع بينهن في عصمته. والذي صار إلى هذه الجهالة، وقال هذه المقالة الرافضة وبعض أهل الظاهر، فجعلوا مثنى مثل اثنين، وكذلك ثلاث ورباع. وذهب بعض أهل الظاهر أيضا إلى أقبح منها، فقالوا بإباحة الجمع بين ثمان عشرة، تمسكًا منه بأن العدل في تلك الصيغ يفيد التكرار والواو للجمع، فجعل مثنى بمعنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع. وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة،....". (٤٩٣)

تنبيه هام هنا: والحقيقة أن كلام القرطبي آنفًا من نسبة هذا القول لأهل الظاهر لم ينسب فيه القول لا إلى قائله ولا إلى مصدر قوله، بل ثبت ما ينفي قول القرطبي بقول ابن حزم وهو من أئمة الظاهرية بعد أن استدل بآية التعدد حيث يقول رحمه الله:

"مسألة: ولا يحل لأحد أن يتزوج أكثر من أربعة نسوة إماء أو حرائر، أو بعضهن حرائر وبعضهن إماء ". (٤٩٤) "ولهذا حرص العلماء في العصور المتقدمة على التأليف في إعراب القرآن ومعانيه؛ مما يدل أيضًا على أهمية اللغة العربية في فهم الكتاب العزيز، بل إن بعض هذه الكتب منها ما يسمى بـ (معاني القرآن)؛ مما يوحي بأهمية الإعراب في فهم المعاني، والدليل على ذلك ما جاء في كشف الظنون حين عَدَّ « إعراب القرآن » عِلمًا من روع علم التفسير، وقد قام بهذا العمل علماء في النحو واللغة، فاستفاد منهم المفسرون، فهذا تفسير الطبري قد أودع فيه معظم آراء النحويين كسيبويه والكسائي والأخفش والفرَّاء وشواهدهم؛ حيث بلغت شواهده الشعرية ما يقرب من ثمانمائة وألف شاهد شعري، غير ما اشتمل عليه من أقوال العرب وأمثالهم". (٤٩٥)

---

٤٩٢ – الاعتصام؛ للشاطبي، ج٢ (ص٥٨).

٤٩٣ – تفسير القرطبي: (٥/١٧).

٤٩٤– المحلى: (٥/٩)، مسألة التزوج من أكثر من أربعة نسوة.

٤٩٥– يُنظر: أهمية اللغة العربية لدارس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما،عبد الله بن حمد الخثران، مقال عن مجلة البيان (بدون رقم).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع الإعجاز العلمي وما إليه

وفيه ثلاثة مباحث:

وما يزال الحديث متصلًا عن الإعجاز العلمي

بعد هذه المقدمة الهامة جدًا والتي طال فيها البحث لمكانتها وعظيم قدرها كمدخل لبحثنا وكتمهيد هام بين يديه، فإن الحديث لا يزال متصلًا عن موضوع البحث الرئيس ألا وهو الإعجاز العلمي.

ولقد طال بنا البحث جدًا عن موضوع ليس هو محل مدارستنا، وكان يمكن لنا مجرد الإشارة إليه، لكن تلك الإطالة جاءت عن عمد وقصد وذلك لبيان المنهج الصحيح لتفسير كلام ربنا العظيم والذي سار عليه السلف والقرون المفضلة وتبعتهم الأمة على ذلك وتلقت طريقتهم بالقبول والتسليم، والأمة لا تجتمع إلا على الحق البين الواضح، ولا تجتمع على ضلالة أبدًا كما قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة) ([٤٩٦]).

المبحث الأول: بطلان بعض دعوى أهل الإعجاز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بطلان دعواهم أن البحث في الحقائق الكونية يبرز تجدد إعجاز القرآن

* **البحث في الإعجاز العلمي في القرآن** من الموضوعات التي كثر الكلام حولها وكثر تناولها وتداولها، بحيث يتناول الباحثون بعض ما ورد في القرآن من موضوعات علمية تتعلق بالحقائق الكونية معتقدين أن تلك الحقائق لم يكن في الإمكان تداركها والوصول إليها في زمن نزول القرآن، ثم أثبتها العلم الحديث في عصرنا الحاضر؛ مستدلين بذلك على تجدد إعجاز القرآن، وأن هذا الإعجاز يدلل على صدق وسلامة القرآن وأنه وحي من عند الله، وكما يدل على صدقة نبوة ورسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم–.

* وأن في طي آيات القرآن ما يشير إلى حقائق ونظريات علميّة كثيرة، وفي هذا أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على أنه كلام الله العليم بشؤون خلقه الخبير بما يصلح لهم شؤون معاشهم ومعادهم على حد سواء.

٤٩٦–حسن بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة: (٣/٣١٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

* وكان من أبرز دوافعهم البحث في الإعجاز العلمي قولهم بأن الحقائق العلمية في القرآن معروفة ومشاهدة قبل اكتشاف العلم الحديث لها، فجاء البحث فيها ليجليها ويخرجها للناس في ضوء نظريات البحث العلمي والتقنية المتطورة الحديثة، ليجلي للبشرية أعظم أوجه إعجاز القرآن، ليكون ذلك أعظم وسيلة لدعوة الناس للدخول في دين الله أفواجًا.

متناسين ما قد يقع فيه بعض الباحثين من مغالطات قد تتناقض مع النظريات العلمية الحديثة، وإن تلك المغالطات ينتظرها المتربصون من جميع أهل الملل الكافرة ليلصقوها وقتها بالقرآن، لا بالباحثين.

وهم "قد يختلفون حول ماهيتها، فالإعجاز يعني ضمنًا التحدي مع عجز الجهة التي تحداها، وهذا ما يعتبره البعض خاصًا ببلاغة القرآن وأسلوبه، ولكن آخرين يؤمنون بشمولية الإعجاز في القرآن للعلوم بشكل مطلق، فيؤمن المسلمون أن الله هو خالق الكون وبما أن القرآن هو كلامه فإنه من المستحيل أن يتعارض مع الحقائق العلمية التي اكتشفت بعد نزول القرآن ولهذا فإن الإعجاز العلمي يعني توافق النص القرآني مع مقتضيات العلم الحديث أو وجود إلماحات أو تصريحات ضمنه تؤكد حقائق علمية عرفت لاحقًا، وأشهر من عمل بطريقة منهجية على توضيح هذا هو الطبيب الفرنسي موريس بوكاي، حيث ألف في نهاية تجربته التي أعلن إسلامه كثمرة لها كتابه المشهور الذي ترجم إلى سبع عشرة لغة : –التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث– ". (٤٩٧)

* بالمقابل (فقد) تعرض منهج موريس بوكاي لانتقادات واسعة من قبل علماء وباحثين غربيين معتبرين كتبه غير موضوعية، وغير علمية، ويناقض النظريات العلمية في مواقع عدة .

(و)على سبيل المثال وجد عدد من الناقدين أمثال الباحث "تانر إديس" أن المراجع والآيات القرآنية التي استند إليها موريس بوكاي ليثبت فيها توسع الكون، والأكوان المتوازية، والكون المنظور هي "خاطئة بشكل صارخ." (٤٩٨)

٤٩٧– القرآن والتوراة والانجيل بمقياس العلم الحديث – دراسة في ضوء العلم الحديث – الدكتور: موريس بوكاي – ترجمة: عادل يوسف – الأهلية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

٤٩٨– تانر إديس: شبح في الكون اقتباسات من صفحة كتب بروميثيوس.

Books..Taner Edis. Ghost in the Universe.Quotes from page Prometheus

هذا من أهم ما يخشاه أهل البصيرة، من نقد المتربصين وإلصاق تلك التناقضات بالقرآن لا لأصحاب تلك النظريات.

المطلب الثاني: التحذير مما لا تحمد عقباه

١- من تكلم في غير تخصصه أتى بالعجائب

إن جُلَّ الذين تعرضوا لتناول قضية الإعجاز العلمي في القرآن ليسوا من أهل العلم أصلًا، ولا يُعلم أن أحدًا من أهل العلم الكبار قد شهد لهم بذلك، بل نقضوا أقوالهم وظنونهم كما سيأتي بيان أقوالهم في طيات البحث، هذا فضلًا عن أن يكونوا من أهل الاختصاص الدقيق في العلم الذي يتعرضون له ألا وهو علم "القرآن وعلومه" والذي يتفرع عنه علم "تأويل القرآن وتفسيره"، وهؤلاء خاضوا في القرآن بأقوالهم وتخرصاتهم وظنونهم، فأخضعوا آيات الكتاب المجيد لكل علم تجريبي جديد، وقد يتوافق ما أخضعوه من تلك الآيات وقد لا يتوافق، وقد يتوافق اليوم ويُعارَض في الغد لتغير النظريات العلمية المبنية على التخرص والظن غالبًا.

٢- من الدعاوى الباطلة: الخوض في الإعجاز العلمي بادعاء توافق النص القرآني مع الآيات الكونية

إن الخوض في الإعجاز العلمي بادعاء توافق النص القرآني مع الآيات الكونية تلميحًا أو تعريضًا أو حتى تصريحًا شأنه وأمره خطير، كما إنه يُعد من التخرص والقول بالرأي المذموم والقول على الله بغير علم، فمن قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ.

قال ابن عباس(ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما–:

مَن سُئِل عن علمٍ فكتَمه، جاء يومَ القيامةِ مُلجَمًا بلجامٍ مِن نارٍ، ومَن قال في القرآنِ بغيرِ علمٍ، جاء يومَ القيامةِ مُلجَمًا بلجامٍ منَ النار. (٤٩٩)

٣- بطلان دعواهم أن العلوم التجريبية خفيت على الناس وقت نزول الوحي

ادعاء البعض أن هذه النظريات خفيت على الناس وقت نزول الوحي وأظهرها العلم الحديث، ولا شك أبدًا أن هذا التخرص من الرجم بالغيب ولا يجوز تفسير القرآن بمثل هذه النظريات العلمية

---

٤٩٩ – إتحاف الخيرة المهرة: (٢٥٥/١)، خلاصة حكم المحدث رواته ثقات محتج بهم في الصحيح، وأخرجه أبو يعلى: (٢٥٨٥)، والطبراني: (١٤٥/١١) (١١٣١٠)، والخطيب في (تاريخ بغداد): (٤٠٦/٧)

الظنّية البتة، لأن تلك النظريات عُرضة للتغير والتبديل بل إنه قد يقع التناقض والتعارض بين بعضها بالبعض –كذلك–.

أما القرآن فكله حق لأنه كلام الله الذي: (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢) وكذلك معانيه التي بينها أئمة التفسير وسادات التأويل والتحبير كلها حق ولا تناقض فيها ولا تعارض بينها ولا تغير ولا تبديل يعتري معانيها أبدًا الدهر.

٤– التغافل عن آيات التحدي

إنّ التحدي بالقرآن الكريم شمل كل الورى من الإنس و الجن قاطبة، كما عمَّ هذا التحدي كافة الأُمم على اختلاف لهجاتهم ولغاتهم وأجناسهم وأزمانهم، كما عمَّ العرب والعجم على وجه سواء، وذلك عبر مراحل التاريخ كلها منذ بداية نزوله في صدر الرسالة وإلى قيام الساعة.

وإن حصر التحدي بإعجاز القرآن في العلوم الكونية التجريبية فيه نوع رفع لمقامها فوق علوم الشريعة قاطبة وفي مقدمتها علم التفسير، كما أنهم استعملوا مصطلحات بعيد كل البعد عن مصطلحات أهل العلم وأهل التفسير على وجه الخصوص وأهل اللغة كذلك– وتلك المصطلحات لا تدل عليها لغة العرب الذي نزل بلسانهم القرآن، فأزاحوا ذلك كله متمشين بذلك مع مصطلحات أهل تلك العلوم التجريبية، ولا شك أن في ذلك نوع تغريب للمصطلحات العلمية واللغوية فلينتبه.

وفي نحو ذلك يقول شيخ اسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

".....التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من غيرها، ولأن التعبير بالاصطلاحات الحادثة قد أوجب غلطًا كثيرًا وإيهامًا حيث يدخل فيها الحق والباطل ".(٥٠٠)

والذين تعرضوا لقضية الإعجاز العلمي في القرآن جعلوها أصلًا أصيلًا في بيان إعجاز القرآن متغافلين عن آيات التحدي التي تحدى الله تعالى بها الإنس والجن قاطبة عن الإتيان بمثله كما قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨)

أو أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما قال جَلَّ في علاه: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (هود: ١٣)

أو أن يأتوا بسورة واحدة مثله وذلك في قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (يونس: ٣٨).

٥٠٠–المرجع السابق: (٢/٨٦٧،٨٢٨).

والتدرج في التحدي الكمي غير مقصود وغير وارد البتة كما مَرَّ معنا في طيات البحث.

٥- وهناك أنواع كثيرة من التحدي التعجيزي للخلق في القرآن نذكر منها نوعًا واحدًا على سبيل المثال لا الحصر، ألا وهو التحدي بخلق ذُبَابٍ.

لقد تحدى اللهُ الخلقَ متضافرين ومتعاونين جميعًا فيما بينهم على يخلقوا ذُبَابًا - وذلك على سبيل المثال لا الحصر كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج: ٧٣).

أي: إنَّ الذين تَعبُدونَ مِن دُونِ اللهِ مِنَ الأصنامِ وغَيرِها، لن يَقدِروا على خَلقِ ذُبابةٍ واحِدةٍ، ولو تَعاونوا جميعًا على ذلك. (٥٠١)

وفي الصحيحين من حديث أي أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ومَن أظلَمُ مِمَّن ذهَبَ يَخلُقُ كخَلْقي، فلْيَخلُقوا ذَرَّةً، أو لِيَخلُقوا حَبَّةً أو شَعيرةً!. (٥٠٢)

٦- التعرض للتفسير من باب الإعجاز العلمي فحسب

فإن أهل الإعجاز عند تعرضهم وتناولهم لبيان إعجاز القرآن جعلوه محصورًا ومقصورًا عليه فحسب دون النظر في تفاسير السلف، وهذا هو الأغلب والأعم فيهم، وبهذا فإنهم بذلك يكونوا قد استعاضوا بالإعجاز عن التفسير.

ومنهم يتعرض لتفسير السلف أحيانًا وهذا النادر فيهم، وهو حين تعرضه له قد لا يصل إلى حقيقة مرادهم وفسرهم للآيات، فيحمل كلامهم على غير فهمهم وقصدهم، وينتج عن ذلك سوء فهمه لكلامهم ومرادهم إما لعدم الاكتراث به، لأنهم فهموه على غير ما أرادوه، وإما انتقاد تلك الأقوال ونقضها وتخطئتها، وبوقوعهم في هذا الخطأ الجسيم يكونوا قد فتحوا به على أنفسهم بابًا لا يُسد من فسح المجال لهم ليجولوا في مجال الإعجاز العلمي ويقدموه عوضًا عن تفسير السلف، لأنهم لا يتعرضون لأقوالهم في التفسير، بل يقدموا نتائج ما توصلوا إليه في البحث في الإعجاز العلمي على أنها هي المراد من فهم معاني تلك الآيات ويقصروها عليها، ومع كون هذا الأمر خطأ جلل في حد ذاته غير إنه يتضمن الاستعاضة به عن تفسير السلف.

---

٥٠١ - يُنظر: تفسير الطبري: (٦٣٥/١٦)، الصواعق المرسلة، لابن القيم: (٤٦٦/٢، ٤٦٧)، إعلام الموقعين، لابن القيم (١٣٩/١)، تفسير ابن كثير: (٤٥٣/٥، ٤٥٤)، تفسير ابن سعدي: (ص: ٥٤٦).

٥٠٢ - رواه البخاري (٧٥٥٩) واللفظ له، ومسلم (٢١١١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا شك أن هذا الأمر ليس على خطى أئمة التفسير الذين صنفوا مؤلفات في التفسير ملأت الدنيا، بداية من تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن " لشيخ المفسرين الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: (ت: ٣١٠هـ)، والذي يُعدُ أول تفسير وصلًا إلينا كاملًا، مرورًا بكل التفاسير التي صنفت بعد كتابه والتي صُنِّفت وفق تفاسير السلف، وَجُلّ المفسرين عيال على تفسيره، وهم له فيه تبع.

والاحتجاجُ بفهم وإجماع أئمَّة السَّلَف وما كانوا عليه من فَهم الدِّين والاجتماع عليه والعمل به، والاستدلالُ عليه هو الذي كان عليه العمل في زمن الرعيل الأول من جيل الصَّحابة –رضي الله عنهم –، وصار عليه أهل القرون المفضلة،

وفي نحو ذلك يقول ابنِ مسعود(ت: ٣٢هـ) – رضي الله عنه–:

إنَّ الله نظَرَ في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمَّدٍ خيرَ قلوبِ العباد، فبَعَثه برسالته، ثمَّ نظر في قلوبِ العبادِ بعد قلبِ محمَّدٍ، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فاختارهم لصُحبةِ نبيّه ونُصرةِ دينه؛ فما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حَسَنٌ، وما رآه المسلِمون قبيحًا فهو عند اللهِ قبيحٌ. (٥٠٣)

ولذلك يُعد الإجماع في زمن الصحابة حجة، حيث إنهم لا يجتمعون على ضلالة أبدًا.

والصحابة لم يتركوا شيئًا من الدين إلا عملوا به، وسابقوا وسارعوا إليه.

ومما يجلي هذا المعنى ويؤكده قول حذيفةُ بن اليَمان(ت: ٣٦هـ)– رضي الله عنه–:

كلُّ عبادةٍ لم يتعبَّدْها أصحابُ محمَّدٍ – رضي الله عنه– فلا تَعبَّدوها؛ فإنَّ الأوَّلَ لم يدَعْ للآخِرِ مَقالًا؛ فاتَّقوا اللهَ يا مَعشرَ القُرَّاءِ، وخذوا بطريقِ من كان قبلَكم. (٥٠٤)

ومن أبرز ما ورد في بيان مكانة وقدر علم الصحابة بالقرآن قول ابن عبَّاسٍ(ت: ٦٨)– رضي الله عنهما– في مناظرته الخوارجَ:

أتيتُكم من عند أصحابِ النَّبيّ –رضي الله عنه–: المهاجرينَ والأنصارِ، ومِن عند ابنِ عمِّ النَّبيّ – رضي الله عنه–، وعليهم نزل القرآنُ؛ فهم أعلَمُ بتأويلِه منكم. (٥٠٥)

وقال عمر بن عبد العزيز(ت: ١٠١هـ)– رحمه الله–:

قِفْ حيث وقف القومُ، وقُلْ كما قالوا، واسكُتْ عمَّا سكتوا؛ فإنَّهم عن عِلمٍ وقَفوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا، وهم على كَشفِها كانوا أقوى، وبالفَضلِ لو كان فيها أحرى، فلئِنْ كان الهدى ما أنتم عليه

---

٥٠٣ – مسند الطيالسي: (٢٤٣), وهذا الأثر قد صححه بعض أهله العلم, وحسنه بعضهم.

٥٠٤ – رواه ابن المبارك في الزهد (٤٧).

٥٠٥– رواه النسائي (٨٥٢٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلقد سبقتُموهم إليه، ولئن قُلتم: حَدَث بعدهم، فما أحدثَه إلَّا مَن سلك غيرَ سبيلِهم ورَغِبَ بنفسِه عنهم، وإنَّهم لهُم السَّابقونَ، ولقد تكلَّموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يَشفي، فما دونَهم مَقصَرٌ ولا فوقهم مَحسَرٌ، لقد قصَّرَ عنهم قومٌ فجَفَوا، وطَمَح آخرون عنهم فغَلَوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدًى مستقيمٍ. (٥٠٦)

ويقول الإمام الأوزاعي(ت: ١٥٧هـ)**– رحمه الله–:**

اصبر نفسَك على السُّنَّة، وقِفْ حيث وقف القومُ، واسلُكْ سبيلَ السَّلَفِ الصَّالح؛ فإنَّه يَسَعُك ما وَسِعَهم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كفُّوا، ولو كان هذا خيرًا ما خُصِصتم به دون أسلافِكم؛ فإنه لم يُدَّخَر عنهم خيرٌ خُبِّئ لكم دونهم؛ لفضلٍ عندكم. (٥٠٧)

ويقول أبو العالية الرّياحي (٥٠٨)**–رحمه الله–:**

عليكم بالأمرِ الأوَّلِ الذي كانوا عليه قبل أن يفترِقوا.

ويقول الإمام أحمد(ت: ٢٤١ هـ) **– رحمه الله–:**

أصولُ السُّنَّة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحابُ رَسولِ الله –رضي الله عنه–، والاقتداءُ بهم. (٥٠٩)

ويُجْمِلُ الإمام اللَّالَكائيُ (ت: ٤١٨ هـ) **القولَ في ذلك فيقولُ – رحمه الله–:**

أوجَبُ ما على المرءِ: مَعرفةُ اعتقاد الدِّينِ، وما كلَّف اللهُ به عبادَه مِن فَهمِ توحيده، وصفاته، وتصديقِ رسُلِه بالدَّلائلِ واليقين، والتوصُّل إلى طُرُقِها والاستدلال عليها بالحُجَج والبراهين، وكان من أعظمِ مَقولٍ، وأوضَحِ حُجَّةٍ ومَعقولٍ: كتابُ الله الحقُّ المبينُ، ثمَّ قولُ رسولِ الله –رضي الله عنه– وصحابتِه الأخيار المتَّقين، ثم ما أجمع عليه السَّلَفُ الصَّالحون، ثم التمسُّكُ بمجموعِها والمقامُ عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتنابُ عن البِدَع والاستماعِ إليها ممَّا أحدثَها المضِلُّون. (٥١٠)

٥٠٦– رواه أبو داود: (٤٦١٢).

٥٠٧–الشريعة، للآجري: (٢٩٤).

٥٠٨– رفيع بن مهران الرياحي البصري، وكنيته أبو العالية، مولى امرأة من بنى رياح بن يربوع، أعتقته سائبة. تابعي وراوي حديث نبوي من الثقات، روى له الجماعة، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النَّبِيُّ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر بن الخطاب .مات في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، سنة ٩٣ هـ وقال المدائني سنة ١٠٦ هـ.

للاستزادة، يُنظر: الموسوعة الحرة: (ويكيبيديا)..

٥٠٩ – أصول السنة: (١٤).

٥١٠– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٧/١).

وفي ضوء تلك الآثار يتبين لنا أنَّ الفهمَ الصَّحيحَ لنصوص الوحيين، هو فهمهما بفهم السلف الصالح من القرون الثلاثة المزكاة على لسان من لا ينطق عن الهوى-صلى الله عليه وسلم - من جيل الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان-، وكل من جاء بعدهم لزمهم اتباع سبيلهم.

ولقد استدل جمع غفير من أهل العلم على حجية الإجماع بقوله الله: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) (النساء: ١١٥).

ووجه الدلالة من الآية على حجية الإجماع:

أن الله تعالى توعد من خالف سبيل المؤمنين بأن يصليه جهنم، ولا يمكن أن يترتب هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أمره عظيم و شأنه كبير وجليل، فتبين من جراء ذلك أن اتباع سبيلهم حق وواجب ولازم حتمًا، وأن مخالفة سبيلهم حرام يجب اجتنابه قولًا وفعلًا.

يقول ابنُ قدامة(ت: ٤١٨ هـ) – رحمه الله–:

فقد ثبت وجوبُ اتِّباع السَّلَف –رحمةُ الله عليهم– بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع (٥١١).

– هذا– وإن جُلَّ الذين يتعرضون لقضية الإعجاز مع مخالفتهم لتفاسير السلف ليسوا من أهل العلم أصلًا فضلًا أن يكونوا من أهل التفسير كما سبق التنبيه على ذلك سلفًا

وإن حقائق الآيات الكونية التي تعرض لها أئمة التفسير تناولوها وفق قواعد وأصول التفسير ولم يخرجوا بها عما دلت عليه لغة العرب التي نزل بلسانهم القرآن.

والمفسر مع كونه قد أوتي أدوات التفسير فإن أخطأ فلا شك أن الخطأ وقتها يعود عليه لا على القرآن، مع حصول الأجر له إن أخطأ حال اجتهاده وإن أصاب فله أجران.

والخطأ لا يسلم منه عالم، سواء بلغ منزلة الاجتهاد أم لا، وفي نحو ذلك يقول الإمام الشَّاطبي (ت: ٧٩٠هـ)– رحمه الله–:

غير أن الخطأ من العالم الحق لا يخرجه عن منزلة الاجتهاد، ولا يضره في كونه إمامًا يقتدى به. (٥١٢)

فكم من مفسِّر أورد أقوالًا مخالفة انتقضها أئمة التفسير، ومع ورود تلك الأقوال المخالفة أو الشاذة فإنه لا يُعلم أن أحدًا نسبها للقرآن بل ولا للتفسير، إنما نسبها لقائلها فحسب.

---

٥١١ – ذم التأويل: (٣٥).

٥١٢– يُنظر: الموافقات (٥/ ١٤١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

أمَّا من تعرَّض لكلام الله تعالى من أهل الإعجاز بمجرد حسن النية فإن ذلك التبرير لا يكفيه، والاعتذار بذلك لا يقويه، لأنه قد يتسبب بذلك للطعن فيه.

المبحث الثاني: الخلاف في الإعجاز العلمي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب: موقف المؤمن عند الاختلاف

موقف المؤمن الراغب في اتباع الحق عند الاختلاف

وإن كان الاختلاف أمر قدري فلابد من التعامل معه بالقدر الشرعي، ويتجلى لنا الحكم الشرعي في شأن الخلاف ونبينه على النحو التالي:

١- لاشك أن الاختلاف أمر قدره الله كونًا، فهو واقع لا محالة.

وفي نحو ذلك يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–:

"فعلينا أن نفرق بين إرادة الله القدرية للخلاف، وبين إرادته الشرعية له؛ فإن إرادة الله للخلاف قدرًا لا يستلزم إرادته له شرعًا، ولا ريب أن الله لا يقدر لعباده شيئًا إلا لحكمة، علمناها أو جهلناها، ومما يظهر من حكمة تقدير الله للخلاف، أن يحرص العبد المكلف على تحري الصواب، ويبذل الجهد لموافقة الحق، مع مراقبة الله تعالى سبحانه في طلب انجلاء الحق في مواقع النزاع؛ تعظيمًا لله ولحرماته". (٥١٣)

وفي نحو ذلك أيضًا يقول ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) **– رحمه الله–:**

"الله تعالى- نص على أن الاختلاف شقاق، وأنه بغي، ونهى عنه وعن التنازع والتفرق في الدين، وأوعد على الاختلاف بالعذاب العظيم، وبذهاب الريح، وأخبر أن الاختلاف تفرق عن سبيل الله، ومن عاج عن سبيل الله فقد وقع في سبيل الشيطان، قال تعالى: (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: ٢٥٦).

٥١٣- التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٩٧٤) تفسير (فردوه إلى الله والرسول).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد نص على أن الاختلاف ليس من عنده، معنى ذلك: أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كون، كما أراد كون الكفر وسائر المعاصي". (٥١٤)

٢- لقد أمر الله عباده بالاجتماع وتجنب الاختلاف وبين لهم أنه شر كله وأنه مذموم غير محمود.

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تحث اتباع الحق وتنهى عن اتباع الهوى والباطل المفضي إلى التفرق والاختلاف.

) (النساء:١٣٥) فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا قال تعالى: (

وقال سبحانه: (قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (الأنعام:٥٦)

ومعلوم أن الهوى يضاد العلم ويناقضه، وهو غريم الحق وخصيمه، وكذلك هو رديف الفساد وحميمه، وهو من أعظم سبيل الضلال.

وقال جل في علاه: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (ص: ٢٦)،

وقال سبحانه: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) (المؤمنون من آية: ٧١)، وقال سبحانه: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام: ١١٩).

٣- علمنا أن الصحابة رضي الله عنه هم طليعة خير أمة أخرجت للناس، وهم خير جيل عرفَتْه البشرية بعد النبين والمرسَلين، ومع ذلك فقد وقع بين بعضهم شيئًا من الخلاف في صدر الإسلام، وما وقع بينهم من الخلاف إنما وقعًا عفوًا ولم يقع قصدًا.

ولذا يقول الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله–:**

"فتأملوا –رحمكم الله– كيف صار الاتفاق محالاً في العادة". (٥١٥)

---

٥١٤ – الإحكام: ابن حزم، (ج٥– ص٦٥). الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت عدد الأجزاء: ٨.

٥١٥– الاعتصام: الشاطبي، (ج١– ص٤٧٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: الخلاف طبيعة بشرية جبلية

والخلاف في طبيعة البشر قد يقع بواقع الجبلة والخلقة كما يقول ابن القيم – رحمه الله–: "فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية". (٥١٦)

وهم رضي الله عنهم لهم من الفضل والسبق والإيمان والصحبة والمكانةٌ السامية، والمنزلةٌ الرفيعة العالية، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، فبهم أضاء الله للأمة طريق الهدى، ووضح بهم سبيل الرشاد، وثبت بهم معالم دينه ومناره، وهدى بهم من شاء من عباده إلى سواء الصراط، إذ هم حملة أعباء الدين ونصرته، والذب عن حياضه، وهم قادته وحماته ودعاته، ولذا كان حبُّهم وإجلالهم سمة أهل الإيمان، وبُغضهم وتنقصهم سمة أهل النفاق والطغيان، فحبهم إيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

"وقد اختلف الصحابة في مسائل وتنازعوا فيها، على إقرار الفريق الآخر على العمل باجتهادهم، كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة، وغير ذلك". (٥١٧)

وهم – رضي الله عنهم – لم يتعمدوا الخلاف، بل علموا أن الخلاف شر كله، وهم وإن كانوا قد اختلفوا، لكنهم لم يتفرقوا، وتأمل لما ثبت في الصحيحين عن عبد الرحمن بن يزيد – رضي الله عنه – قال: "صلى بنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بمنىً أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنىً ركعتين، وصليت مع أبي بكر بمنىً ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنىً ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان". (٥١٨)

لكن عبد الله – رضي الله عنه – صلى في منى خلف عثمان أربعًا، فقيل له: عتبت على عثمان ثم صليت أربعًا؟! قال: الخلاف شر". (٥١٩)

ومما شك فيه أبَدا أن الخلاف الواقع بين الصحابة رضي الله عنهم لم يكن عن قصد وعمد وسعي وخوض، فإنهم أرادوا الحق وسعوا إليه جهدهم لبلوغه، ولذا فإنه لا يندرج خلافهم تحت الوعيد الشديد الوارد في الاختلاف، ذلك لحسن قصدهم، وبذلهم وسعيكم في بلوغ الحق، ولسبقهم

٥١٦– الصواعق المرسلة: ابن القيم، (ج٢– ص٥١٩).

٥١٧–مجموع الفتاوى: (١٩/ ١٢٢).

٥١٨–البخاري في صحيحه: (٢/ ٥٩٧) برقم (١٥٧٤) ومسلم في صحيحه: (١/ ٤٨٣) برقم (٦٩٥).

٥١٩–أبو داود في سننه: (١/ ٦٠٢) برقم (١٩٦٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفضلهم، وأن ذنوبهم تقع مكفرة كما ورد ذلك في حق أهل بدر في ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مع قريش حيث قال صلى الله عليه وسلم تبرأة له واعتذارًا لفعله فيما ثبت عنه في الصحيحين من حديث عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ: (لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)". (٥٢٠)

قال شيخ الإسلام بن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله–:

" فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ أَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَالْعَشْرَةُ مُفَضَّلُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَالْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ". (٥٢١)

وقال – رحمه الله– أيضًا–:

وذلك أن أهل السنة عندهم أن أهل بدر كلهم في الجنة". (٥٢٢)"

وقال – رحمه الله– أيضًا–:

"والمضمون لأهل بدرٍ إنما هو المغفرة؛ إما بأن يستغفروا إن كان الذنب مما لا يغفر إلا بالاستغفار، أو لم يكن كذلك، وإما بدون أن يستغفروا؛ ألا ترى أن قُدامة بن مَظْعونٍ – وكان بدريًّا – تأول في خلافة عمر ما تأول في استحلال الخمر من قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة: ٩٣]، حتى أجمع رأي عمر وأهل الشورى أن يستتاب هو وأصحابه، فإن أقروا بالتحريم جلدوا، وإن لم يقروا به كفروا، ثم إنه تاب، وكاد ييئس لعِظَمِ ذنبه في نفسه، حتى أرسل إليه عمر – رضي الله عنه – بأول سورة غافرٍ، فعلم أن المضمون للبدريين أن خاتمتهم حسنةٌ، وأنهم مغفورٌ لهم، وإن جاز أن يصدر عنهم قبل ذلك ما عسى أن يصدر؛ فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها". (٥٢٣)

وقد تقع ذنوبهم مُكَفَرة، أو يوفقوا لحسنات ماحية، أو توبة صادقة، أو نيل مغفرة ونحو ذلك.

قال ابن حزم الأندلسي(ت: ٤٥٦هـ) – رحمه الله–:

"فإن قال قائل: إن الصحابة قد اختلفوا وهم أفاضل الناس! أفيلحقهم هذا الذم؟ قيل –وبالله التوفيق–: كلا، ما يلحق أولئك شيء من هذا؛ لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ووجه الحق؛ فالمخطئ منهم مأجور أجرًا واحدًا لنيته الجميلة في إرادة الخير، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم؛

---

٥٢٠ – صحيح البخاري – النكاح (٤٨٩٠)، صحيحي مسلم–(٤٧).

٥٢١– مجموع الفتاوى: (٢/ ٤٧٦).

٥٢٢– منهاج السنة: (٤/ ١٦٦)

٥٢٣– الصارم المسلول على شاتم الرسول: (ص ٥٣٠):

لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم، والمصيب منهم مأجور أجرين، وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة، فيما خفي عليه من الدين ولم يبلغه، وإنما الذم المذكور والوعيد الموصوف لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى- الذي هو القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم بعد بلوغ النص إليه، وقيام الحجة عليه، وتعلق بفلان وفلان، مقلدًا عامدًا للاختلاف، داعيًا إلى عصبية وحمية الجاهلية، قاصداً للفرقة، متحريًا في دعواه برد القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهؤلاء المختلفون المذمومون.

وطبقة أخرى، وهم: قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى، إلى طلب ما وافق أهواءهم، من قول كل قائل؛ فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم، مقلدين غير طالبين ما أوجبه النص عن الله -تعالى- وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ". (٥٢٤)

المطلب الثالث: الخلاف من أخص أوصاف المبتدعة

ولذا يُعد الخلاف من أخص واخس أوصاف المبتدعة

يقول الله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام :١٥٩)

قال البغوي (ت: ٥١٠هـ) **– رحمه الله–**: هم أهلُ البدع والأهواء". (٥٢٥)

وقال الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله–**: "الفُرقةُ من أخس أوصاف المبتدعة". (٥٢٦)

وقال أبو المُظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ) **– رحمه الله–**:

" إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين".(٥٢٧)

قال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هو: ١٨-١٩).

قال الطبري(ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله–**:

"وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم، على أديان وملل وأهواء شتى، (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ)

٥٢٤- الإحكام: ابن حزم، (ج٥- ص٦٧-٦٨).

٥٢٥-شرح السنة: (٢١٠/١).

٥٢٦- الاعتصام: (١٣٣/١).

٥٢٧-الحجة في بيان المحجة: (٢٢٥/٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فأما من آمن بالله وصدق رسله؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله ". (٥٢٨)

وأخرج أيضًا بسنده عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

. (٥٢٩) "أما أهل الرحمة؛ فإنهم لا يختلفون اختلافًا يضرهم

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

"أي: ولا يزال الخلاف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم". (٥٣٠)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

"لا بد أن تقع الذنوب من هذه الأمة، ولا بد أن يختلفوا؛ فإن هذا من لوازم الطبع البشري، لا يمكن أن يكون بنو آدم إلا كذلك". (-٥٣١)

واجبنا نحو الاختلاف الرجوع للحق والتمسك بالكتاب والسنة والسير على نهج سلف الأمة ولزوم سبيلهم:

وفي نحو ذلك يقول المزني عند قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (آل عمران:١٠٥)، فذم الله الاختلاف، وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فلو كان الاختلاف من دينِهِ ما ذمه". (٥٣٢)

والله سبحانه وتعالى لعلمه أن الاختلاف واقع بين الناس، أشرع لهم أصل يرجع فيه إليه، وهو قوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (النساء: ٥٩)

"فهو خطاب عام للولاة والرعية، فمتى حصل خلاف في أمر من أمور الدين والدنيا وجب رد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكما فيه وجب قبوله حلوًا كان أو مرًا https://www.alukah.net/sharia/0/112462/ - _ftn42". (٥٣٣)

٥٢٨- تفسير الطبري: (١٢/ ١٤٢-١٤٣).

٥٢٩- المرجع السابق: (١٢/١٤٤).

٥٣٠- تفسير بن كثير: (ج٢- ص٦١٠)

٥٣١ - مجموع الفتاوى: (ج٤- ص١٥٠-١٥١).

٥٣٢- جامع بيان العلم وفضله: (٢/٩١٠).

٥٣٣ - الاعتصام: الشاطبي: (ج٢- ص١٤٥).

المطلب الرابع: خطورة القول على الله تعالى بغير علم

ومع ما سبق بيانه من خطورة الاختلاف وذمه ووجوب اتباع الدليل عند الاختلاف والرجوع إلى الكتاب والسنة، فقد ورد الوعيد الشديد في القول على الله بغير علم، والذي يتضمنه القول في التفسير كذلك، وإليك بيان خطورته:

وحتى يتبين لنا خطورة القول على الله تعالى بغير علم فلنتأمل قوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) (الأعراف: ٣٣)، فقرن الله تعالى هنا القول عليه سبحانه بغير علم بكبائر الذنوب والتي من أعظمها الشرك بالله، والعياذ بالله.

وقد قال جمع من أهل التفسير في قوله سبحانه:

(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) أي: وحرَّمَ ربي عليكم القَولَ عليه بلا علمٍ؛ في أسمائِه وصفاتِه، وأفعالِه وشَرعِه". (٥٣٤).

ولا شك أن التفسير يدخل في ذلك ضمنًا، بل هو مقدم في ذلك لعظم شأنه، ولأن من تعرض له عن غير علم فقد تقول على الله تعالى بغير علم.

وفي نحو ذلك يقول ابن القيم(ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله–:

"وأما القول على الله بغير علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا، وأعظمها إثمًا،

ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان". (٥٣٥).

ثم يقول – رحمه الله– أيضًا–:

فكيف بمن نسب إلى أوصافه سبحانه وتعالى ما لم يصف به نفسه؟ أو نفى عنه منها ما وصف به نفسه". (٥٣٦)

وهذا مما خاض فيه أهل التأويل لصفات الرب جل في علاه، وقد شحنت الكثير من كتب التفسير بأقوالهم، وهو من القول على الله بغير علم، بل هو من تحريف الكلم عن مواضعه كما لا يخفى.

٥٣٤- يُنظر: الطبري: (١٠/١٦٤)،ابن سعدي: (ص: ٢٨٧)، العذب النمير (٣/١٧٦).

٥٣٥- مدارك السالكين: (ص: ٣٧٨).

٥٣٦- المرجع السابق: (ص: ٣٧٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول – رحمه الله– أيضًا– في إغاثة اللهفان:

(الأحزاب: ٨)} لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ {قال تعالى:

"فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟ ". (٥٣٧)

ويقول – رحمه الله– أيضًا– في إعلام الموقعين:

"كلّ قولٍ على الله، لم يأتِ به نَصٌّ عنه ولا عن رسولِه؛ في تحريمٍ أو تحليلٍ، أو إيجابٍ أو إسقاطٍ، أو خبرٍ عنه باسْمٍ أو صِفةٍ، نفيًا أو إثباتًا، أو خبرًا عن فِعلِه؛ فالقَولُ عليه بلا عِلمٍ حرامٌ في أفعالِه وصِفاتِه ودِينِه". (٥٣٨)

ويقول ابن عباس (ت: ٦٨هـ) **– رضي الله عنهما–** في قوله: {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (الحج: ٣٠)؛ يعني: الافتراء على الله والتكذيب". (٥٣٩)

ويقول ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) **– رحمه الله–** في قوله تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}: "عام في تحريم القول في الدين من غير يقين". (٥٤٠)

ورد عن سعيد بن المسيب(ت: ٩٤هـ) **– رحمه الله–:**

"أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم، وإذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئًا" (٥٤١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

"ومن تكلم في الدين بلا علم كان كاذبًا وإن كان لا يتعمد الكذب ". (٥٤٢)

ويقول الإمام أبُو عمر، ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) **– رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:**

"ما جاء عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نقل الثّقات، وجاء عن الصَّحابة، وصحَّ عنهم، فهُو علمٌ يُدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكن لهُ أصلٌ فيما جاءَ عنهم فبدعة وضلالة ". (٥٤٣)

٥٣٧- يُنظر: إغاثة اللهفان(١/٨٣). الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥٣٨- إعلام الموقعين: (١/٢٥٢).

٥٣٩ -تفسير الطبري: (١٧/١١٢)

٥٤٠- زاد المسير في علم التفسير: (٣/١٩٢).

٥٤١- يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (٢/٣١٥)، وللاستزادة يُنظر: التفسير والمفسرون(١/٢٦٠) بتصرف.

٥٤٢- مجموع الفتاوى (١٠/٤٤٩)

٥٤٣- جامع بيان العلم وفضله (٣/١٨١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول– رحمه الله– أيضًا:

"... كما استدلوا بمسلك الصحابة والتابعين في تعاملهم مع القرآن الكريم، حيث عرف عنهم تمسكهم الشديد بمنهج التحري والتثبت في إحجامهم القول في القرآن بغير علم.. وقد ساقوا عدة مرويات عن الصحابة والتابعين تدعم موقفهم هذا". (٥٤٤)

ومما يستأنس به في هذا الباب كذلك ويُختم به، ما ذكره الطبري(ت: ٣١٠هـ) – رحمه الله– في مقدمة تفسيره عن أنواع التأويل بقوله:

أنواع التأويل ما يلي:

١– ما لا يعلمه إلا الله

٢– ما يُعلم من جهة النبي –صلى الله عليه وسلم –

٣– ما يعلمه كل ذي علم باللسان، بشرط ألا تخرج عن أقوال السلف. (٥٤٥)

وهذه الأقوال وأمثالها تبعث في قلوب أهل الإيمان الخوف من التقول على الله بغير علم، ومنها عدم الاجتراء على القول في تفسير كلامه جل في علاه بغير علم، وذلك لعظم الكلام والمتكلم به سبحانه وتعالى.

٥٤٤– رواه ابن أبي شيبة (١٣٦/٦)، ويُنظر كذلك: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٤٥– تفسير الطبري: (٦٧/١)، وما بعده.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث: القول الفصل في الإعجاز العلمي

بعد أن مر معنا ذكر الخلاف وشره ووجوب الرجوع للدليل عند الاختلاف، نذكر أن قضية الإعجاز العلمي من الأمور التي وقع فيها خلاف واسع بين الناس، وهم ما بين مؤيد لها تأييدًا مطلقًا، وما بين معارض لها معارضة مطلقة، وما بين مؤيد لها بضوابط وشروط.

ولا يخفى على ذي لب له أدنى بصر واطلاع على أحوال العباد كثرة ما انتشر بين الناس من الخوض في كتاب الله تعالى بسبب هذه القضية والتي تُسمى بـ "الإعجاز العلمي في القرآن"، والذي صوابها أن تُسمى بـ"تفسير القرآن بالعلوم الكونية" أو ما يسمى بـ " العلوم التجريبية" بناء على المصطلح الحادث.

وذلك لأن المعجزة: " قد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد". (٥٤٦)

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله –:

" قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة ". (٥٤٧)

تنبيه من الأهمية بمكان

إن من المشهور عند كثير من طلاب العلم والباحثين أن المعجزة هي إجراء فعل خارق للعادة على وجه التحدي على يد نبي، ولا ينتبه الكثير إلى أن هذا التعريف هو تعريف الأشاعرة وقد انتقده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات؛

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) – رحمه الله – في النبوات:

"....السابع أن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها بل هي دليل على نبوته وان خلت عن هذين القيدين وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – فانه دليل على صدقه وان كان هو لم يعلم بما أخبروا به ولا يستدل به.

٥٤٦- يُنظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر: (١٢١).

٥٤٧- مجموع الفتاوى/المجلد الحادي عشر/قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأيضًا فما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام والشراب مرات، (و) كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف من كان محتاجًا اليه وغير ذلك كله من دلائل النبوة، ولم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها، وكذلك إلقاء الخليل في النار إنما كان بعد نبوته ودعائه لهم الى التوحيد". (٥٤٨)

وليعلم أن الخلاف مع الأشاعرة يمتد إلى باب النبوات، وأنه من شرط صحة النبوة وجود المعجزة ويضبطون المعجزة بضوابط فيها نظر، وقد نقد هذا كله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجليل " النبوات "، وفي آخر شرح العقيدة الأصبهانية نقد أقوالهم في النبوات، وللأسف تجد الكثير من الباحثين يقولون بقول الأشاعرة في هذه المسائل، وإنما أتوا في هذا الباب من البعد عن مطالعة كتب أئمة أهل السنة والجماعة ولا سيما كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم الذين نقضا بنيان القوم وبينا ما في مذاهبهم من العوار.

وعقيدة الأشاعرة قد عمت وطمت في الأزمنة المتأخرة، حتى قيل أنه " صار من يظهر خلاف عقيدة الأشعري يهدر دمه "كما قال المقريزي في الخطط، لذا تجد الكثير من إدخالاتهم في كتب التفسير وشروح الحديث والأصول لكونها العقيدة التي ينشأ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير.

ولا بد للمرء أن يحكم العقيدة ويعرف إدخالاتهم لكي يسلم عند النظر في كتب الكثير من المتأخرين من أهل العلم فإن بعض أقوالهم قد أصابت حتى من يرد عليهم.

ويقول ابن حزم الأندلسي(ت: ٤٥٦)**–رحمه الله–:**

" ما ذكره الباقلاني من التحدي باطل من وجوه أحدها أن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية، دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو في غاية السقوط والهجنة، قال الله عز وجل: (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ١١١] ". (٥٤٩)

وقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية بتجلية الأمر كما ينبغي ففي باب الصفات صنف المؤلفات الكثيرة في الرد عليهم كدرء التعارض وبيان تلبيس الجهمية، والحموية والمراكشية والأكملية والعرشية وجواب الاعتراضات على الحموية وغيرها كثير،

٥٤٨– النبوات: ص١١٤

٥٤٩–الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٥/ ٧).

وفي باب الإيمان له الإيمان الأوسط والإيمان الكبير، وفي باب القدر له التائية في القدر وقد شرحها الطوفي وعلى شرحه مآخذ.

وله فتاوى كثيرة في هذا الباب وقد لخص مادته في الباب "ابن القيم" في شفاء العليل، وفي باب توحيد الألوهية -الذي انحرف فيه كثير من المتأخرين -له الرد على البكري والرد على الأخنائي والجواب الباهر والاقتضاء وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة وغيرها.

وفي باب النبوات له كتاب النبوات، وفي باب التصوف له كتاب الاستقامة والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وله في كل هذه فتاوى متفرقة ورسائل أخرى فمن واظب على دراستها وأحكمها

ثم نظر في كتب ابن القيم التي هي بمثابة الشرح لكتب شيخه، وقرأ قبل ذلك أو بعده كتب السلف المسندة في العقيدة تكون عنده الترياق الشافي من كل سموم المتكلمين بإذن الله رب العالمين (٥٥٠)."

ومما لاشك فيه أن تلك المكتشفات الناتجة عن تلك البحوث هي تجارب عقلية بشرية، وهي جهود وأفكار بشرية قد تصيب وقد تخطيء، وقد يتراجع عنها أصحابها بأنفسهم لوجود خلل أو خطأ فيما توصلوا إليه من أبحاث، وقد تكتشف حقائق علمية مغايرة لما تم اكتشافه من قبل تناقض تلك الحقائق وتضادها تمامًا، فينسب ذلك كله إلى كتاب الله تعالى، ولاشك أن هذا خطأ فادح وفاضح.

وأعداء الملة بكل طوائفهم متربصون بديننا وبكتاب ربنا، والخطأ وقتها لن يُنسب للباحث وإنما يُنسب لكتاب الله تعالى.

والصحابة – رضي الله عنهم– إذا لم يتعرضوا لآية ما بالتأويل فيُعد ذلك إقرار منهم بأن المراد منها هو ظاهرها فحسب، كما يُعد ذلك بمثابة إجماع سكوتي منهم على أن المراد من تفسيرها هو تفسير ظاهر.

ومن هنا يتبين لنا أن التعرض لتفسير آية ما بما يسمى بـ "الإعجاز العلمي" أو بما تعارفنا عليه بـ " تفسيرها بالعلوم الكونية " من طب وفلك وما يشمل بعض العوالم العلوية والسفلية من مخلوقات الله تعالى وغير ذلك، لا بد أن يكون ما فُسِرَ به هو ظاهرها المتبادر لنا، أو أن نجد أي أحدٍ من أهل العلم بالتفسير المعتبرين ممن من القرون المفضلة قد تعرض لها وفسرها وأوّلها بما فسرها وأوّلها به أهل الإعجاز.

٥٥٠- يُنظر: مدونة أبي جعفر عبد الله بن فهد الخليفي. بتصرف

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله– في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة":**

"إن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضفوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين: من علوم التطبيقات والتعاليم (أي الرياضيات والهندسة وغيرها)، والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من أهل الفنون، وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم(أي: تم ذكره في كتاب الموافقات) لم يصح.

ثم يضيف الشاطبي إلى هذا ما ينفي به حق القائلين بالتفسير العلمي، فيقول: وإضافة إلى هذا، فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف الناس بالقرآن، وبعلومه، وما أودع فيه. ولم يبلغنا أنه تكلم أحدهم في شيء من هذا المدعى.. سوى ما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا.

ثم عرض الشاطبي لأدلة الداعين إلى " التفسير العلمي " وأخذ يدحضها مركزًا على مستندهم ويتمثل في الآيتين: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء) [سورة النحل: ٨٩], وقوله تعالى:(ما فرطنا في الكتاب من شيء) [سورة الأنعام: ٣٨]. وقال بأن المقصود بالتبيان هنا هو إظهار أحكام التكاليف، والتعبيد، وأحكام الآخرة، وما يتعلق بأصول الهداية، وليس بصدد العلوم الكونية. وفي الآية قال بأن الكتاب المقصود هنا هو " اللوح المحفوظ " ولم يقل كما يقولون بأنه القرآن الكريم." (٥٥١)

---

٥٥١ – يُنظر: العمري [د/أحمد جمال]: مفهوم الإعجاز القرآني (حتى القرن السادس الهجري) دار المعارف بمصر، ط، ١٩٨٤م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث: القول الفصل في الإعجاز العلمي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقول علماء العصر في الإعجاز العلمي

ونختم هذا المبحث الهام ببعض أقول أبرز علماء العصر في الإعجاز العلمي

إن الرجوع لفتاوى العلماء الربانيين الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة في العلم والفضل والديانة والتمسك بالكتاب والسنة والسير على نهج سلف الأمة، يُعد رجوعًا إلى حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ويُعد رجوعًا للكتاب والسنة، لأن هؤلاء العلماء الأعلام لا يتكلون عن هوى، وإنما يتكلمون عن علم ودين ودليل مرجعه الكتاب والسنة وفهمهما بفهم سلف الأمة مع لزوم السنة والجماعة.

قال الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ) **في الاعتصام:**

"والعالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم". (٥٥٢)

قال الإمام مالك(ت: ١٧٩هـ) **– رحمه الله–:**

"ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك". (٥٥٣)

وهذا لا يُعد تقليدًا لهم ولكن ثقة في دينهم وعلمهم وسلامة منهجهم من البدع والمحدثات ولما اشتهر عنهم من لزوم الحق والتجرد له والعمل به والدعوة إليه، ولما عُرفوا به من اتباع سبيل المؤمنين واتباع ما ثبت وصح من الدليل، وإلا هم بشر يصيبون ويخطئون، والرجال يُعرفون بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله.

وقد أُثِرَ عن علي بن أبي طالب(ت: ٤٠هـ) **– رضي الله عنه– هذا القول:**

"اعرف الحق تعرف أهله، حقًا". (٥٥٤)

فيالها من كلمة عظيمة تكتب بماء العين، فهي قاعدة جليلة القدر، عظيمة النفع، تلقتها الأمة بالقبول لموافقتها للحق المستوحى من عموم الأدلة، وكأنها خرجت من مشكاة النبوة.

٥٥٢- الاعتصام: (٢/٧٧٨).

٥٥٣- رواه أبو نعيم في "الحلية" (٦/٣١٦), والخطيب في " الفقيه والمتفقه"رقم:(١٠٣٧) وهو صحيح.

٥٥٤- يُنظر: فيض القدير: (١/١٧)، والإحياء:(١/٥٣)، وصيد الخاطر: (ص: ٣٦)، وتلبيس إبليس: (ص: ٧٧)، والجامع لأحكام القرءان: (١/٣٨٠)، وأقاويل الثقات: (٢٢٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الشاطبي(ت: ٧٩٠هـ) **– رحمه الله– في الاعتصام:**

"إذا ثبت أن الحق هو المعتبر دون الرجال، فالحق أيضًا لا يعرف دون وسائطهم بل بهم يتوصل إليه، وهم الأدلّاء على طريقه". (٥٥٥)

وقال في موضع آخر – رحمه الله–:

"إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعًا ضلال". (٥٥٦)

لهذا " فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكًا طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس، فلا تغفل الصحابة رضي الله عنهم وعلو منصبهم".(٥٥٧)

و " اعلم(كذلك) أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.!

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال وهذا عين الضلال، لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال علي – رضي الله عنه – لحارث بن حوط وقد قال له: أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟

فقال له: يا حارث! إنه ملبوس عليك "إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله". (٥٥٨)

فالحق لا يعرف بالرجال.....بل عرفوا بالحق في الأقوال. (٥٥٩)

ولذا يجب أن نعلم أن الرجال يُعرفون بلزوم الحق واتباعه والعمل به والدعوة إليه، ولا يعرف الحق بالرجال أبدًا.

٥٥٥–الاعتصام: (٢/٨٨٠).

٥٥٦–الاعتصام: (٢/٨٧٢).

٥٥٧– الاحياء: (١/٢٩).

٥٥٨–تلبيس إبليس: (ص: ٧٧)، ويُنظر: أقاويل الثقات: (٢٢٨)، وصيد الخاطر: (٣٦–٣٧). وقد مر معنا تخريج أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥٥٩– يُنظر: مفتاح باب الجنة في نصرة السنة و الأئمة " لمحمد عبد الله المختار: (ص:١٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولذلك يجب أن يقال:

يجب أن ننظر في الأقوال وأدلتها وعلى صحة الاستدلال وسلامة الاستنباط للأحكام، ولا يكون النظر على الأقوال بناء على قائليها دون النظر في صحة وسلامة ما استدلوا به، فالصناعة ليست بالصانع، وإنما بصحة الصنعة وسلامتها من الآفات والعيوب، وكذلك الحق لا يُعرف بكثرة الأتباع أبدًا، فكثير من الأنبياء ليس لهم أتباع ومع ذلك هم على الحق، وكذلك الشهرة وذياع الصيت ليست مقياسًا

لمعرفة الحق وأهله، واعلم أن قول كل أحد يُحْتَجُّ له خلا قول المعصوم صلى الله عليه وسلم فإنه يحتج به.

فيا أيها اللبيب، ويا طالب الحق، ويا سالك سبل السلام، ويا باغي الخير عليك بهذا الأصل الأصيل عض عليه بالنواجذ، واحذر أن يلبس الشيطان عليك الأمر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) **– رحمه الله–:**

"....فأئمة المسلمين الذين اتبعوهم وسائل وطرق وأدلة بين الناس وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، يبلغونهم ما قاله ويفهمونهم مراده بحسب اجتهادهم واستطاعتهم". (٥٦٠)

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله– في إعلام الموقعين:**

" فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (النساء: ٥٩)". (٥٦١)

وبعد هذا التطواف مع أقوال كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى من أئمة السلف ننتقل إلى أقوال وفتاوى كوكبة أخرى من أئمة العصر حول قضية القول بـ " الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" وننقل إليك فيما يلي بعض أقوالهم وفتاواهم الصادرة في هذا الصدد.

٥٦٠– مجموع الفتاوى: (٢٢٤/٢٠)، ويُنظر: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، للصنعاني: (ص:١٠٥)، الروح، لابن القيم: (٣٥٧).

٥٦١–إعلام الموقعين: (١٤/٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

١- فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية في حكم الإعجاز العلمي في القرآن

السؤال: ماحكم الشرع في التفاسير التي تسمى بالتفاسير العلمية؟ وما مدى مشروعية ربط آيات القرآن ببعض الأمور العلمية التجريبية فقد كثر الجدل حول هذه المسائل؟

الجواب: إذا كانت من جنس التفاسير التي تفسر قوله تعالى:{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } (الأنبياء: ٣٠) بأن الأرض كانت متصلة بالشمس وجزءً منها ومن شدة دوران الشمس انفصلت عنها الأرض ثم برد سطحها وبقي جوفها حارًا وصارت من الكواكب التي تدور حول الشمس – إذا كانت التفاسير من هذا النوع فلا ينبغي التعويل ولا الاعتماد عليها.

وكذلك التفاسير التي يستدل مؤلفوها بقوله تعالى: { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل: ٨٨)على دوران الأرض وذلك أن هذه التفاسير تحرف الكلم عن مواضعه وتخضع القران الكريم لما يسمونه نظريات علمية وإنما هي ظنيات أو وهميات وخيالات.

وهكذا جميع التفاسير التي تعتمد على آراء جديدة ليس لها أصل في الكتاب والسنة ولا في كلام سلف الأمة لما فيها من القول على الله بلا علم.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم. (٥٦٢)

عضو عضو نائب رئيس اللجنة رئيس اللجنة

عبد الله بن قعود / عبد الله بن غديان / عبد الرزاق عفيفي / عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢-وفي نحو ذلك يقول شيخنا الفقيه العلامة ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) – رحمه الله-:

"هؤلاء المتأخرون الذين فسروا القرآن بما وصلوا إليه من الأمور العلمية، الفلكية أو الأرضية، والقرآن لا يدل عليها، فإنهم يكونون قد فسروا القرآن بآرائهم، إذا كان القرآن لا يدل عليه، لا بمقتضى النص ولا بمقتضى اللغة، فهذا هو رأيهم، ولا يجوز أن يفسر القرآن بهذا". (٥٦٣)

٥٦٢- فتاوى اللجنة الدائمة ٤/١٤٥.

٥٦٣- شرح مقدمة التفسير (ص/١٤٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- ويقول – رحمه الله- أيضًا-:

"الإعجاز العلمي في الحقيقة لا ننكره، لا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة، لكن غالى بعض الناس في الإعجاز العلمي، حتى رأينا من جعل القرآن كأنه كتاب رياضة، وهذا خطأ.

فنقول: إن المغالاة في إثبات الإعجاز العلمي لا تنبغي؛ لأن هذه قد تكون مبنية على نظريات، والنظريات تختلف، فإذا جعلنا القرآن دالاً على هذه النظرية ثم تبين بعد أن هذه النظرية خطأ، معنى ذلك أن دلالة القرآن صارت خاطئة، وهذه مسألة خطيرة جدًّا.

ولهذا اعتني في الكتاب والسنة ببيان ما ينفع الناس من العبادات والمعاملات، وبين دقيقها وجليلها حتى آداب الأكل والجلوس والدخول وغيرها، لكن علم الكون لم يأتِ على سبيل التفصيل.

ولذلك فأنا أخشى من انهماك الناس في الإعجاز العلمي وأن يشتغلوا به عما هو أهم، إن الشيء الأهم هو تحقيق العبادة ؛ لأن القرآن نزل بهذا، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦) ".(٥٦٤)

٤- قال العلامة محدث العصر شيخنا الألباني(ت: ١٤٢٠هـ) – رحمه الله-:

" لا يجوز فيما نفهم أن نحمّل آيات القرآن الكريم، في سبيل إظهار معجزة علمية من المعاني ما لا يتفق مع التفسير العربي، ليس الإسلام بحاجة إلى مثل هذا (التكلف) لتفسير آية بخلاف التفسير العربي تفسيرًا يثبت معجزة علمية في هذا الزمان، ليس الإسلام بحاجة إلى مثل هذا الإثبات ومثل هذه المعجزات".(٥٦٥)

٥- ويقول العلامة الفقيه شيخنا صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله-:

عن حكم تفسير القران.. بنظريات علمية حديثة:

"... بل بلغ الأمر ببعضهم أن يفسر القرآن بالنظريات الحديثة ومنجزات التَّقنية المعاصرة ويعتبر هذا فخرًا للقرآن حيث وافق في رأيه هذه النظريات ويسمي هذا الإعجاز العلمي، وهذا خطأ كبير لأنه لا يجوز تفسير القرآن بمثل هذه النظريات والأفكار لأنها تتغير وتتناقض ويكذب بعضها بعضًا، والقرآن حق ومعانيه حق لا تناقض فيه ولا تغير في معانيه مع مرور الزمن، أما أفكار البشر ومعلوماتهم فهي قابلة للخطأ والصواب، وخطؤها أكثر من صوابها وكم من نظرية مسلمة اليوم

٥٦٤- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٨/٢٦)

٥٦٥- كلمة مختصرة وموجزة عن سؤال وجه للشيخ حول الإعجاز العلمي- نقلًا عن شريط مسجلة للشيخ رحمه الله تعالى.

تحدث نظرية تكذبها غدًا، فلا يجوز أن تربط القرآن بنظريات البشر وعلومهم الظنية والوهمية المتضاربة المتناقضة.

و تفسير القرآن الكريم له قواعد معروفة لدى علماء الشريعة لا يجوز تجاوزها وتفسير القرآن بغير مقتضاها وهذه القواعد هي: أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في موضع منه فُصِّل في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيد في موضع، ومالم يوجد في القرآن تفسيره فإنه يفسر بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة له قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ٤٤)

وما لم يوجد تفسيره في السنة فإنه يُرجع فيه إلى تفسير الصحابة لأنهم أدرى بذلك لمصاحبتهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتعلمهم على يديه وتلقيهم القرآن وتفسيره منه، وما لم يوجد له تفسير عن الصحابة فكثير من الأئمة يرجع فيه إلى قول التابعين لتلقيهم العلم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتعلمهم القرآن ومعانيه على أيديهم فما أجمعوا عليه فهو حجة وما اختلفوا فيه فإنه يرجع فيه إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن. وتفسير القرآن بغير هذه الأنواع الأربعة لا يجوز، فتفسيره بالنظريات الحديثة من أقوال الأطباء والجغرافيين والفلكيين وأصحاب المركبات الفضائية باطل لا يجوز لأن هذا تفسير للقرآن بالرأي وهو حرام شديد ([٥٦٦])

٦- ويقول – حفظه الله- أيضًا-:

"الإعجاز العلمي الذي يقولون الآن هذا تفسير للقرآن بغير علم , بغير قواعد التفسير المعروفة، هذه زيادة الآن زادوها الإعجاز العلمي يريدون بها النظريات, نظريات الطب والفلك وغير ذلك هذه تخرصات بشر, تخطئ وتصيب فلا تُجعَل تفسيرا للقرآن, ويقال هذا مراد الله عز وجل ثم بعدين يقولون لا النظرية ما هي بصحيح ويصير تلاعب في كلام الله عز وجل لا النظريات ما تجعل تفسيرًا للقرآن, ما تجعل تفسيرا للقرآن أبدًا ,وهذا من القول على الله بلا علم, وهي محل للنقض ومحل للإبطال ولذلك تجدهم يثبتون اليوم شيء وبعد يوم ينفونه تبين لهم خلافه لأنها نظريات بشرية ". ([٥٦٧])

٥٦٦-الخطب المنبرية /ج/٢/٢٦٨/ طبعة مؤسسة الرسالة، بتصرف.

٥٦٧- يُنظر: فتاوى الفوزان، رقم الفتوى:(٨٦٠٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٧- ويجيب العلامة المحدث شيخنا عبد المحسن العباد عن سؤال وجه إليه عن الإعجاز العلمي فيقول – حفظه الله–:

"والله التَّكلُف، يعني الذي ابتلي به بعض الناس، ما ينبغي للإنسان أن يُشغل نفسه فيه، وإنّما على الناس أن يتعلموا الأحكام، وأن يعرفوا الأحكام، وأن ينفذوها، ويطبقوها، وأما التَّكلُف و تحميل النصوص ما لم تتحمل مثل ما حصل من بعض المغاربة الذي هو "أحمد بن الصديق الغماري"، ألف كتابًا سماه (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) ثم أتى بكل، يعني شيء من الوسائل الجديدة والحديثة و ذكر مطابقتها لما أخبر به الرسول صلى الله عليه و سلم، وأتى بأشياء تتعلق بذلك، لا شك أن هذا من التكلف، فالاشتغال بالإعجاز العلمي وكون النصوص تُلوى أعناقها إلى أن تُخضع لمثل هذا.....(إلى أن قال) هذا أيضًا من الاستنباط الذي ليس له وجه ". (٥٦٨)

٨- قول الدكتور محمد حسن الذهبي(ت: ١٣٩٧هـ) –رحمه الله– في: "التفسير والمفسرون"

فقال بعد أن ساق رد الشاطبي على القائلين بالإعجاز العلمي وتفنيد آرائهم:

".....أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله، لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مُدَّعاه أدلة قوية، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم، ولا يبقى معها مُدَّعاهم.

ثم يتابع ويقول – رحمه الله–:

وإذا كان أرباب هذا المسلك في التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بثَّها في الآفاق وفى أنفسهم، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأوَّلين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك، وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده، ودعوته إلى النظر في ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم، لا يُراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة.

٥٦٨- مفرغ من درس صوتي لشرح سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، الدرس رقم ٢٧٧. فرغه: أبو عيسى لطفي الجزائري، مع تصرف يسير.

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكلف، الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي، في إصلاح الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى.

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضًا، أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم، رغبة منهم في إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته للتمشي مع التطور الزمنى، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جَدَّ ويَجِدّ من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة". ([٥٦٩])

٩- يقول فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين (ت: ١٤٣٠هـ)- رحمه الله-:

اعلم أن هذه الأقوال تخرصات ووهميات وقول في القرآن بغير علم....."

فالقرآن أنزل لتلاوته والعمل به، لا لتطبيق عليه العمليات الحسابية....." ([٥٧٠])

١٠-ويقول الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين -(ت: ١٤٣٦هـ)- رحمه الله- في مقالة له بعنوان: "الإعجاز العلمي للقرآن"

لابد أولاً من افتراض حسن النية في كل من يحاول اجتذاب الناس إلى دينهم مهما ظهر من مجافاته طريق الصواب؛ فقد قال الله تعالى عن أضل عباده:

(إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) (الأعراف:٣٠)

ولكن لا بد من إظهار انحرافه عن منهاج النبوة حتى لا يغتر به الآخرون ومن أسوء الأمثلة على ذلك: ربط كلام الله اليقيني بالنظريات الحديثة في الكون والحياة، وكلها ظنية قابلة للتغيير والتبديل.

يقول بعض الباحثين: (١)

"ولعلَّ أن أول من وقع في شبهة الإعجاز العلمي في القرآن: أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) في (إحيائه)،إذ ادعى أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، بعدد كلماته مضاعفة أربع مرات؛ بادعائه أن لكل كلمة ظاهرًا وباطنًا وحدًّا ومطلعًا، وفي كتابه (جواهر القرآن) يخصص الفصل الخامس لبيان اشتمال القرآن على جميع العلوم أو الفنون الدنيوية.

وكما فتح الغزالي الباب للخلط بين التصوف والإسلام؛ فتحه للخلط بين الفكر والفقه في نصوص الوحي، فجاء من بعده الرازي (ت:٦٠٦ هـ) فزاد الأمر..، ثم استفحل الأمر فجاء ابن أبي الفضل

٥٦٩- التفسير والمفسرون: (٢/٢٦١ وما بعدها).

٥٧٠- يُنظر موقعه الرسمي - رحمه الله-، فتوى رقم: (٥١٤٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المرسي (ت: ٦٥٥ هـ) ؛ فاستخرج الهندسة من قوله تعالى: {انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} (المرسلات:٣٠)، والجبر والمقابلة من الحروف في أوائل السور.

وإذا كان الكواكبي (ت: ١٣٢٠ هـ) هو السابق للابتداع في التفسير بمثل عزوه التصوير الفوتوغرافي إلى قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً} [الفرقان:٤٥] ؛ فإن لواء الابتداع في هذا الأمر معقود للشيخ/طنطاوي جوهري(ت: ١٣٥٩هـ) ففي مؤلفه: ((الجواهر في تفسير القرآن ـ ٢٦مجلدًا)) كثير من المضحكات المبكيات، منها: استخراج تحضير الأرواح من قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى} (البقرة: ٧٣)، وقوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} (البقرة: ٢٥٩)، وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى} [البقرة: ٢٦٠)، واستنبط من الآيات أن يكون محضر الأرواح ذا قلب نقي خالص كالعزير، وإبراهيم، وموسى.

وبهرت لغة العصر أديبًا فقال في القرآن بـ ((التصوير الفني، والتصور الرباني، والموسيقى الحادة التقاسم، والموسيقى المطمئنة المتموجة)).

كما بهرت طبيبًا فقال في القرآن بـ((سمفونية الفاتحة))، وبـ ((الشفرة والرمز والألفاظ المطلسمة))، وفي محاولة كل منهما ـ الأديب والطبيب ـ تفسير القرآن ما يفوق ذلك افتئاتًا على اللفظ والمعنى، وانحرافًا عن شرع الله ومنهاج خيار هذه الأمة.

وإذا لم تقف الجهات المعنية في الأمة في وجه هذا الهجوم الشرس على تفسير كلام الله بغير علم ولا هدى، من قبل الأدباء والوعَّاظ والوراقين ومن في نحوهم، فيُخشى أن يحدث في ديننا ما حدث في النصرانية عندما أرادت اللحاق بركب العصر العلمي؛ فأدخلت في تفسير الأناجيل دراسات في الفلك، وفي الرياضة والعلوم الطبيعية والفنون التطبيقية، ولما تغيرت النظريات مع الزمن ـ كما يحدث دائمًا في النظريات الظنية ـ فقد الدين النصراني احترامه بين أكثر أهله.

وقد رأينا اليوم انصراف الشباب المسلم عن تفاسير الأئمة في القرون الأولى، وهم أهل اللغة التي أنزل بها القرآن، وأهل العلم الشرعي المستنبط من الوحي؛ إذ أغشاهم البريق المؤقت للتفاسير العصرية عن التمييز بين الحقيقة والخيال وبين العلم اليقيني والفكر الظني.

وإعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل القدوة في فصاحته وبلاغته وحججه البالغة، وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله. (٥٧١)

٥٧١- عن الموقع الرسمي للشيخ سعد الحصين، وينظر: كتاب (بدع التفاسير)، لرمزي نعناعة، بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: أبرز المعارضين للقول بالإعجاز العلمي

ومن أبرز المعارضين للقول بالإعجاز العلمي من المتقدمين أبو حيان الأندلسي، وأبو إسحاق الشاطبي.

ومن المتأخرين والمعاصرين:

شيخ الجامع الأزهر محمود شلتوت، وأمين الخولي، ومحمد حسين الذهبي وقد مر معنا قوله كذلك، وعبد الكريم الخطيب، ورشيد رضا صاحب المنار، ومحمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، عبد الله بن جبرين، ويحي الحجوري وغيرهم كثير.

ومن المعاصرين كذلك ما مر معنا ذكر فتاواهم وأقوالهم من أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية المشايخ العلماء الأعلام الأفذاذ ابن عثيمين، والفوزان، والعباد وغيرهم، وحسبكم بهم جميعًا علمًا وفضلًا وديانة، والله حسيهم، وعلى رأسهم أعضاء اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: وسطية القول في الإعجاز العلمي

وختامًا:

فنقول قولًا وسطًا لا إجحاف فيه ولا إفراط ولا تفريط:

١-أنه لا يسع لأحد من الخلق أن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى بأي شكل وأي طريقة إلا إذا سلك في ذلك مسلك السلف الصالح وتناول التفسير بنفس طريقة تناولهم له، وأي نوع من أنواع الإعجاز يجب أن يندرج تحت أصول التفسير التي تناول بها السلف كتاب ربهم، وهي الأسس العلمية التي كانوا يرجعون إليها حال تعرضهم لتفسير القرآن والتي هي: تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعي ثم بما دلت عليه لغة العرب، ولذا أسهب الباحث في بيان هذا الجانب جدًا حتى كاد بحثه أن يكون فيه فحسب، وذلك حتى لا تبقى حجة لمن يتعرض لكتاب الله دون أن يسير على قواعد التفسير وأصوله والتي تلقتها الأمة بالقبول وأجمع عليها السلف والخلف..

٢- لابد من معرفة الإسرائيليات والدخيل في التفسير والموضوعات والأقوال التي بها شطط وطريقة تعامل السلف مع ذلك كله، ذلك لأن تعامل السلف وطريقتهم في تناول التفسير جزء لا يتجزأ، وأصل أصيل لا يجوز الحيد والميل عنه، ومن سلك مسلك السلف في التفسير فقد برئت ذمته

وأعذر إلى ربه يوم يلقاه، لأنه بذلك قد أسند، ومن أسند فقد برئت ذمته، ومن أسند فقد أحال ومن أحال فقد برئ، وهو بذلك قد أحال على السلف في طريقتهم.

٣-ثم لابد له من معرفة مواطن الإجماع في التفسير ومعرفة أنواعه وأسبابه وطرق المفسرين وطريقة تناولهم للتفسير، ومعرفة الأصول التي يتعامل بها مع النص القرآني حال وجود اختلاف وتعارض عند المفسرين، وكيف يوفق بين آرائهم، أو يرجح بعضها على بعض عند وجود اختلاف تعارض بينها يقتضي الترجيح،

وأما عند اختلاف التنوع الذي يتحمل فيه النص أكثر من معنى، ويكون صحيحًا، حينئذ يجوز الأخذ به وحمل النص عليه.

٤- نقول ذلك لعظم شأن التفسير، ولأن أغلب من تصدروا للبحث في الإعجاز العلمي ليس لهم رسوخ في علوم الشريعة "عمومًا "، ولا سيما فيما له علاقة وثيقة ولصيقة بما تعرضوا له، ألا وهو علم التفسير " خصوصًا "، ولذا لا تجد لهم في علم التفسير حسًا ولا تسمع لهم فيه ركزًا، ولا تقرأ لآثار السلف ومصطلحاتهم العلمية في كلامه أثرًا.

٥-ومع ذلك كله لم يكتفوا من جعل الإعجاز سبيلًا لدعوة الكفار والمشركين وسائر الملحدين والمعاندين والصادين عن سبيل الله فحسب، بل جعلوه السبيل الوحيد لدعوتهم، مع اطلاعهم على حال الكثير ممن شرح الله صدورهم للإسلام وأنار بصائرهم بالقرآن وهداهم للإيمان دون أن يطلعوا على تلك الموافقات للعلوم التجريبية البتة، ونعيد تلك العبارة لأهميتها ألا وهي: أن أي تفسير لكتاب الله لا يندرج تحت أصول وقواعد التفسير الذي سار عليه السلف ونهجوها من أصول التفسير الصحيحة، فقد أحدث في تفسير كتاب الله ما أجمع السلف على العمل به، لأن السلف بكتاب الله أعلم وأفهم وأحكم، وذلك لأن فهم ومعرفة طريقة السلف للتفسير والأصول التي ساروا عليها في تناوله أصل لا يُحاد عنه أبدًا، ومن اتبع غير سبيلهم فقد حاد عن الطريق وضل عن سواء السبيل، وقد مر معنا ذكر ذلك بالتفصيل في ثنايا البحث،

٦- ولذا وجب الحذر من سَنِّ تلك السُّنة واتباع سبيلها بغير علم ولا هدى من الله.

ومما يزيد المؤمن وجلًا من ذلك ما ثبت عند مسلم من حديث جرير بن عبدالله البجلي (ت: ٥١هـ) **– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم– قال:**

"مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا". (٥٧٢)

ومما يُخيف ويذكر في هذا الصدد وتشيب له مفارق الولدان ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود (ت: ٣٢هـ) **– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم– قال:**

"لا تُقتَل نفسٌ ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ مِن دمِها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل". (٥٧٣) **والحمد لله رب العالمين.**

وأخيرًا:

فإن خصائص القرآن أكثر وأجل وأعظم أن يحيط بها بحث أو مقال، وإنما كان تناول هذا البحث عن أبين وأهم خصائص القرآن.

المطلب الرابع: أهم المصنفات في إعجاز القرآن

ومن المناسب أن يُختم هذا المبحث الهام بأهم المصنفات في إعجاز القرآن عمومًا

إن من الأهمية بمكان ذكر أهم المصنفات في إعجاز القرآن، وهي كثيرة جدًا، ولكن سنشير لأهمها وأبرزها وبيان المتداول والمطبوع منها.

أولًا: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

تأليف الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، والخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) والكتاب بتحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، ونشرته دار المعارف، مصر– القاهرة، عام: ١٩٧٦م، الطبعة:٣، عدد المجلدات: ١.

٥٧٢– رواه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٧/ ٩٠/ ١٠١٧) عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

٥٧٣– رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته (٤/ ١٢٥/ ٣٣٣٥)، ومسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب بيان إثم من سن القتل (١١/ ١٣٨/ ١٦٧٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا الكتاب يقدم رؤية متنوعة لقضية الإعجاز القرآن ومحاولة لتفسير آيات التحدي. والكتاب صغير الحجم، ولكن هذه الرسائل الثلاث مهمة جدًا، وهي من أوائل المؤلفات في إعجاز القرآن، ولا بد للقارئ من الاطلاع عليها.([٥٧٤])

ثانيًا: إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني: (ت: ٤٠٣هـ)

ويعتبر هذا الكتاب من أقدم وأجود الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن الكريم، وبيان وجه الإعجاز في القرآن. ومؤلفه توفي عام ٤٠٣هـ. وقد حظي الكتاب بشهرة كبيرة لدى العلماء قديمًا وحديثًا، وقد أكثر العلماء في النقل عنه، فلا بد للباحث من قراءة هذا الكتاب ليعلم نشوء البحث في موضوع إعجاز القرآن. وأجود طبعاته تلك الطبعة التي نشرتها دار المعارف بمصر بتحقيق السيد أحمد صقر – رحمه الله–، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١. (٥٧٥)

). **ثالثًا: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني** (ت: ٤٧١هـ

وهذا الكتاب من أمهات كتب إعجاز القرآن، وهو الذي وضع فيه نظيرته (نظم القرآن)، وأصبحت نبراسًا لمن جاء بعده وصنف في إعجاز القرآن، وقد عرف الجرجاني بهذه النظرية (نظرية النظم) فيما بعد. والكتاب مهم جدًا لكل باحث

في إعجاز القرآن، وأجود طبعاته الطبعة التي حققها محمود محمد شاكر– رحمه الله–، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م عدد الأجزاء: ١.

رابعًا: معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات، وأجود طبعاته التي حققها علي محمد البجاوي في دار الفكر العربي، كما أن له طبعة جيدة صادرة عن: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٣.

والكتاب يستعرض فيه السيوطي خمسة وثلاثين وجهًا من وجوه إعجاز القرآن، ثم ختم الكتاب بفوائد كلية. وهو كتاب قيم جدير بالقراءة.

خامسًا: النبأ العظيم للعلامة محمد عبدالله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)

اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، في طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م عدد الأجزاء: ١.

٥٧٤– وهي متوفرة بصيغة إلكترونية مغلقة: " بي دي إف ".

٥٧٥– وهي متوفرة بصيغة مغلقة: " بي دي إف ". ونسخة مفتوحة للمكتبة الشاملة.

وكتاب " النبأ العظيم " يعد من الكتب التي ألفت في بيان إعجاز القرآن بأسلوب علمي رصين معاصر.

وهذا الكتاب من أجود الكتب المعاصرة التي صنفت في إعجاز القرآن وإن لم يستوعب مسائله، وجدير بالباحثين قراءة هذا الكتاب قراءة متأنية، والإفادة مما سطره مؤلفه فيه.

سادسًا: مداخل إعجاز القرآن لأبي فهر محمود محمد شاكر (ت: ١٤١٨هـ)

الناشِر، مطبَعَة المدَنِي، دار المدني، المؤسَسَة السُعوديّة بمصْر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م – ١٤٢٣هـ.

وهذا الكتاب على وجازته مهم جدًا، فقد ضمنه المؤلف ثلاث مقدمات مهمة في نشأة مصطلح الإعجاز والمعجزة، وناقش القائلين بالصرفة وجهًا من أوجه إعجاز القرآن، وأسلوبه أدبي فيه إطالة، والوصول للمقصود منه يحتاج لتأني وصبر. (٥٧٦)

سابعًا: مباحث في إعجاز القرآن الكريم للدكتور مصطفى مسلم (ت: ١٤٤٢هـ) **– رحمه الله**

الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء: ١.

وهذا الكتاب قد أودع فيه مؤلفه أهم المسائل التأصيلية لعلم إعجاز القرآن الكريم، وأسلوبه سهل، ومدعم بالأمثلة والشواهد.

ثامنًا: المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، للدكتور سعد الدين السيد صالح

الناشر: دار المعارف: سنة: ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م– القاهرة، الطبعة الثانية: عدد الأجزاء: ١.

وهو كتاب قيم في تحرير عدد من المصطلحات العلمية المتعلقة بالإعجاز في القرآن الكريم.

إعجاز القرآن للدكتور حسين نصار تاسعًا:

الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، الناشر: مكتبة مصر: ٣ شارع كامل صدقي بالفجالة– القاهرة.

وهذا الكتاب جامع متميز لكل ما كتبه العلماء عن الإعجاز، وقد حاول أن يلم به إلمامًا دقيقًا ويناقشه مناقشة علمية للخروج بالصواب في كل مسألة. وهو جدير بالقراءة، ولا يعيبه سوى دقة خط طباعته.

عاشرًا: فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي

هذا كتاب قيم صدر للمرة الأولى قبل حوالي ستين عامًا، عام ١٣٧٤هـ. وكان قبل ذلك نشر منجمًا في مجلة المجمع العلمي بدمشق. وقد صدر في طبعته الثانية عام ١٤٠٠هـ عن مؤسسة

٥٧٦– وهو متوفرة بصيغة إلكترونية مغلقة: " بي دي إف ".

شبكة الألوكة www.alukah.net

الرسالة، وهي طبعة مزيدة ومنقحة قدم لها وللطبعة الأولى الأستاذ العلامة محمد بهجة البيطار – رحمه الله– عضو المجمع العلمي العربي.

ويقع الكتاب في مجلد واحد اشتمل على ٤٨٠ صفحة من القطع العادي. وموضوعه قيم، حيث تتبع الدراسات والمؤلفات في إعجاز القرآن الكريم منذ بدايتها حتى عصر المؤلف. وقد عرض فيه الآراء عرضًا تاريخيًا، وحرص أن يكون حياديًا لا ثناء فيه على ما يستحسنه، ولا ذم لما لا يرتضيه، وناقش الأقوال التي عرضها، واختصر تلك المؤلفات في أبرز ما جاء فيها من مسائل. فهو كتاب قيم، ينتفع به الطالب في تتبع المؤلفات الكثيرة في إعجاز القرآن، واستعراضها استعراضًا سريعًا. وهو جدير بأن يكمل بناء على ما طبع بعد ذلك من المؤلفات في إعجاز القرآن، وقد فعل شيئا من ذلك الدكتور حسين نصار في الكتاب الذي قبله.

حادي عشر: الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، للدكتور محمد محمد أبو موسى.

الناشر: مكتبة وهبة، بعابدين، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

وقد حرر فيه عدة مسائل تتعلق بتعريف العلماء للإعجاز، ورؤيتهم لوجه إعجاز القرآن، وأضاف الكثير من الأفكار لموضوع إعجاز القرآن. وأنا أنصح بقراءة كل كتب المؤلف فهي نفيسة ومحررة ودقيقة، ومعظمها في إعجاز القرآن البلاغي تنظيرًا وتطبيقًا، ولا سيما كتابه عن (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري)، وكتابه (المدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني).

المجيد في إعجاز القرآن المجيد لابن خطيب زملكان ثاني عشر:

تحقيق: د. شعبان صلاح، والكتاب يدور حول البلاغة القرآنية ويتضمن مسائل نحوية، وقد قام المحقق مشكورًا بتوضيح عبارة الكتاب وشرح ما يحتاج الي شرح. والكتاب طبعته دار عمار ١٤٢٦هـ، و يقع في ٢٤٨ صفحة.

ثالث عشر: المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، تأليف الدكتور محمود أحمد غازي وهو أستاذ الشريعة بكلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر، وقد توفي عام ١٤٣١هـ.

وقد خرج أحاديثه محمد رحمة الله حافظ الندوي. وخرج الكتاب في ٣٨٤ صفحة من القطع العادي، قسمه المؤلف إلى أربعة عشر بابًا تناول في كل باب مسألة مهمة من مسائل إعجاز القرآن. (٥٧٧).

٥٧٧– باختصار وتصرف نقلًا عن مقال–عرض بعض الكتب المطبوعة في إعجاز القرآن الكريم– د. عبد الرحمن الشهري–موقع أهل التفسير، بتاريخ: ١٤٣٣/٩/١٤هـ. بتصرف.–

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعل في هذا كفاية والحمد لله لاب العالمين.

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة:

توصلت تلك الدراسة بعون الله وتوفيقه إلى نتائج هامة، وكان من أبرزها ما يلي:

١- أن للقرآن الكريم خصائص عظام من أجلِّها أن الله تعهد بحفظه بذاته العلية فلا تصل إليه يد التحريف أو التغير أو التبديل أو الزيادة أو النقصان.

٢- أن من أبرز خصائص القرآن الكريم أن خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن وشاهد وحاكم عليها

٣- أن أوجه إعجاز القرآن لا يمكن أن يحصيها بحث أو يحدها مقال لكثرتها عددًا وتنوعها فضلًا

٤- أن التفسير له أسس وقواعد وطرق ومصادر سار عليها أئمة السلف، فلا يسع أحد من الخلق أن يتجاوزها حين تعرضه وتناوله لتفسير القرآن الكريم لأنها أصل أصيل يجب لزومه واتباعه وعدم الحيد عنه، وبالإحالة للسلف والسير على نهجهم تبرأ الذمة

٥- أن عموم من تصدروا للبحث في الإعجاز العلمي ليسوا من علماء الشريعة أصلًا، ومن هنا يتحتم التنبيه ويجب التأكيد على أنه لا يحل لأحد منهم أو من غيرهم أن يتعرض لتفسير القرآن إلا إذا كان من أهل العلم الشرعي أولًا، بل ينبغي أن يكون من أهل التخصص في التفسير وممن أوتي أدوات المفسر ثانيًا.

٦- أن أهل الإعجاز حصروا الإعجاز في العلوم التجريبية فحسب، مع أن أوجه الإعجاز كثيرة وجلية قد تناولها أئمة الإسلام بالتأليف والتصنيف والشرح والإيضاح والبيان

٧- أن أهل الإعجاز حصروا إبراز عظمة القرآن في الإعجاز العلمي، ثم جعلوه السبيل الأوحد لدعوة الكفار بشتى صنوفهم وأضرابهم للإسلام، فخالفوا بذلك سبيل الهدى وطريق الرشاد الذي سلكه جميع الدعاة والمصلحين من النبيين والمرسلين والعلماء الربانيين الذين ابتدأوا دعوتهم بالدعوة إلى نبذ الشرك وتحقيق التوحيد

٨- أن كل أتباع الرسل من لدن أوله – نوح – إلى – خاتمهم – نبينا محمد- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- آمنوا واهتدوا وشرح الله صدورهم للإسلام ودخلوا في دين الله أفواجًا بغير الإعجاز العلمي.

٩- أن القول بالإعجاز دون الرجوع للتفسير وأصوله وقواعده يُعد من التخرص ومن القول على الله تعالى بغير علم

١٠- أنه بالرجوع لأقوال علماء العصر وفتاويهم في الإعجاز العلمي يتبين لنا القول الحق والوجه الصحيح فيه، وأنه يجب على أهل الإعجاز لزوم طريق السلف في تناول التفسير، كما ينبغي عليهم لزوم فتاوى العلماء والانصياع لها، ذلك لأن الرجوع لفتاواهم يُعد رجوعًا إلى حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم ويُعد رجوعًا للكتاب والسنة، لأن فتاواهم لا تصدر عن رأي وهوى، وإنما تصدر عن علم ودين واتباع للدليل الصادر عن الكتاب والسنة. والحمد لله رب العالمين.

وفق الله جامعه للانتهاء من تبيضه في ظهيرة يوم الأحد الموافق١٤٤٢/١٢/٢٢هـ

بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

الرياض في:١٤٤٢/١/٣هـ

البريد: arafatantawy@hotmail.com

واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣

مجموع الفهارس

أ- فهرس المراجع

١- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧م) ط ٥، تحقيق: السيد أحمد صقر.

٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٣- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (جلال الدين)، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م عدد الأجزاء:٤.

٥- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٦- الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت عدد الأجزاء: ٨.

٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٧م.

٩- البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م عدد الأجزاء: ١٥.

١٠- تعظيم قدر الصلاة المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ عدد الأجزاء: ٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١١- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحيق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢٤.

١٢- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء:٥.

١٣- تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

١٤- تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٥- تفسير ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٦- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٧- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

١٨- تفسير السيوطي: الدر المنثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت عدد الأجزاء: ٨.

١٩- تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٠- تفسير الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٥هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٢١- تفسير الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

٢٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

٢٣- تفسير ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.

٢٤- تفسير الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢٥- تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٢٦- التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة عدد الأجزاء: ٣.

٢٧- الجرح والتعديل المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٢٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:

٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٦.

٢٩- جامع بيان العلم وفضله المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٠- دمية القصر وعصرة أهل العصر – لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، (المتوفى: ٤٦٧هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤ هـ) بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م عدد الأجزاء: ١.

٣٣- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٤- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ عدد الأجزاء: ٤.

٣٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت عدد الأجزاء: ١٥.

٣٦- الطرق الحكمية المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة دار البيان الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ عدد الأجزاء: ١.

٣٧- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: جَنَى الخُرْفَةِ في إبطالِ القولِ بالصَّرْفةِ، بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية (مجلة محكمة)العدد الستون، صفر١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ.

٣٨- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.

٣٩- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: مقدمة كتابه: (المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي).

٤٠- عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ: تحبير التحبير في تيسير مبادئ علم التفسير وتعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين.

٤١- الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة عدد الأجزاء: ٥.

٤٢- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٤٣- الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٧.

٤٤- مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

٤٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٣.

٤٦- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

٤٧- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ) جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن - دار الثريا الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ عدد الأجزاء : ٢٦.

٤٨- مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ط١ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦م.

٤٩- مدخل إلى البلاغة القرآنية، د. حلمي محمد القاعود: ط١ دار النشر الدولي، الرياض ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٥٠- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٥١- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

٥٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٨م) ط١.

٥٣- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٥٤- مقدمة في أصول التفسير المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م عدد الأجزاء: ١.

٥٥- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٥٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: ٢.

٥٧- النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ب – فهرس الموضوعات

المحتويات

دِيْباجَةُ البَحثِ ٢

ملخص البحث ٩

خطة البحث ١١

منهجية البحث ١٥

أولًا: أهمية موضوع البحث ١٥

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها ١٥

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث ١٨

رابعًا: مشكلة البحث وأهدافه ١٩

خامسًا: منهج البحث ٢٠

الفصل الأول أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم ٢١

من جهة: "تعهد الله بحفظه بذاته العلية" ٢١

المبحث الأول: الخاصّيّة الأولى: القرآن محفوظ من التحريف والتغير والتبديل ٢١

المطلب الأول: تعهد الله بحفظ كتابه ٢١

المطلب الثاني: من أسباب حفظ القرآن الكريم نقله بالأسانيد المتواترة ٢١

المطلب الثالث: لما جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز التبديل على أهل القرآن ٢٢

المطلب الرابع: لا يقدر أحدٌ تبديل القرآن لعلو جانبه، ورفعة منزلته، وعظيم مكانته ٢٦

المبحث الثاني: الخاصّيّة الثانية: القرآن خاتم الكتب السماوية المنزلة ومهيمن عليها ٣٠

المطلب الأول: الإيمان بجميع الكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان ٣٠

المطلب الثالث: أدلة إثبات تحريف الكتب السابقة ٣٣

المطلب الخامس: بعض التفصيلات التي وردت في القرآن الكريم عن بعض الكتب ٤٥

الفصل الثاني أبرز خصائص حفظ القرآن الكريم ٧٧

من جهة: " أبرز أوجه إعجازه " ٧٧

المبحث الأول: القرآن معجز بلفظه ومتحدى به ٧٧

المطلب الأول: أول ملامح التحدي تعرضًا في القرآن ٧٧

المطلب الثاني: تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم ٧٨
المطلب الثالث: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب كم المتحدَّى ٨٠
المطلب الرابع: شمولية إعجاز القرآن ٨١
المبحث الثاني: الإعجاز اللغوي والبلاغي والبياني ٨٦
التجاوز والتوسع في أوجه إعجاز القرآن ٨٦
المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة ٨٧
المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة ٨٨
المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا ٨٩
المطلب الخامس: وجوه إعجاز القرآن عند الطاهر بن عاشور ٩٨
المبحث الثالث: إعجاز القرآن في الإخبار عن المغيَّبات ٩٩
المطلب الأول: أنواع الْمُغَيَّبات الواردة في القرآن إجمالًا ٩٩
المطلب الثاني: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ في الماضي ١٠٠
المطلب الرابع: الأمور الغيبية التي تتعلق بغُيُوبٍ مستقبلِيَّة ١٢٠
المطلب الخامس: أُصول المغيبات في القرآن ١٢٧
المبحث الرابع: الإعجاز التشريعي ١٢٩
المطلب الأول: مفهوم التشريع في اللغة ١٢٩
المطلب الثاني: مفهوم التشريع اصطلاحًا ١٣٠
المطلب الثالث: مفهوم الإعجاز التشريعي في القرآن ١٣٢
المطلب الرابع: أبرز وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن ١٣٣
المطلب الخامس: القرآن هو المعجزة الكبرى التي وقع بها التحدي ١٤٢
الفصل الثالث أسس وقواعد وطرق ومصادر التفسير **١٤٧**
المبحث الأول: المصدر الأول: تفسير القرآن بالقرآن ١٤٩
المطلب الأول: أحسن طرق التفسير هي: تفسير القرآن بالقرآن ١٤٩
المطلب الثاني: أنواع تفسير القرآن بالقرآن ١٥٠
المبحث الثاني: المصدر الثاني: تفسير القرآن بالسنة النبوية ١٥١
المطلب الأول: أهميّة ومكانة تفسير القرآن بالسنّة ١٥١
المطلب الثاني: الرد على مَنْ يدَّعي الاستغناءَ عن السُّنة بالقرآن ١٥٤

المبحث الثالث: المصدر الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة – رضي الله عنهم– .. ١٥٦
المطلب الأول: مكانة جيل الصحابة – رضي الله عنهم– ١٥٦
المطلب الثاني: أهمية تفسير الصحابة – رضي الله عنهم– ١٥٨
المطلب الثالث: خصائص الصحابة – رضي الله عنهم– ١٦٣
المطلب الرابع: أسباب قلة اختلاف الصحابة في التفسير ١٦٨
المطلب الخامس: مميزات تفسير الصحابة ١٧٠
المطلب السادس: حجية أقوال الصحابة – رضي الله عنهم– في التفسير ١٧١
المطلب السابع: مصادر التفسير عند الصحابة – رضي الله عنهم– ١٧٤
المطلب الثامن: المشتهرون بالتفسير من الصحابة – رضي الله عنهم – ١٧٦
المبحث الرابع: المصدر الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين – رحمهم الله تعالى– ١٧٧
المطلب الأول: مكانة جيل التابعين ١٧٧
المطلب الثاني: مكانة تفسير التابعين ١٧٩
المطلب الثالث: منهج التابعين في تفسير القرآن الكريم ١٨٠
المطلب الرابع: منهج التابعين في تفسير القرآن بأقوال الصحابة وأخذه عنهم ١٨٧
المطلب الخامس: منهج التابعين تفسير القرآن بلغة العرب ١٩٠
المطلب السادس: تفسير القرآن بالاجتهاد وقوة الاستنباط ١٩٤
المطلب السابع: التابعون الذين اشتُهِروا بأخذ التفسير عن الصحابة ١٩٤
المبحث الخامس: المصدر الخامس: تفسير القرآن بمدلولات اللغة ١٩٦
المطلب الأول: مكانة اللغة من القرآن ١٩٦
المطلب الثاني: مكانة اللغة للمتكلم في الشريعةِ ولا سيما في التفسِير ٢٠٣
الفصل الرابع الإعجاز العلمي وما إليه ٢٠٩
المبحث الأول: بطلان بعض دعوى أهل الإعجاز ٢٠٩
المطلب الأول: بطلان دعواهم أن البحث في الحقائق الكونية يبرز تجدد إعجاز القرآن..... ٢٠٩
المطلب الثاني: التحذير مما لا تحمد عقباه ٢١١
المبحث الثاني: الخلاف في الإعجاز العلمي ٢١٧
المطلب: موقف المؤمن عند الاختلاف ٢١٧
المطلب الثاني: الخلاف طبيعة بشرية جبلية ٢١٩

المطلب الثالث: الخلاف من أخص أوصاف المبتدعة ٢٢١
المطلب الرابع: خطورة القول على الله تعالى بغير علم ٢٢٣
المبحث: القول الفصل في الإعجاز العلمي ٢٢٦
المبحث الثالث: القول الفصل في الإعجاز العلمي..... ٢٣٠
المطلب الأول: أقول علماء العصر في الإعجاز العلمي ٢٣٠
المطلب الثاني: أبرز المعارضين للقول بالإعجاز العلمي ٢٣٩
المطلب الثالث: وسطية القول في الإعجاز العلمي ٢٣٩
المطلب الرابع: أهم المصنفات في إعجاز القرآن ٢٤١
مجموع الفهارس..... ٢٤٧
أ- فهرس المراجع ٢٤٧
ب - فهرس الموضوعات ٢٥٣

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعَدُ علومُ القرآن من أجلّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلَهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفسٍ لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، ويُنزِّل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة.

تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث * والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهَذه ضِمْن مُؤَلَّفَات العَبد الضَعيف الفَقير إلى عَفْو رَبِّه وَرَحْمَته وَمَغْفرته:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الرَّئيسُ العَامُ لِمَرْكَز تَأْصيل عُلوم التَنْزيل للبُحوث العِلْمية وَالدِّرَاسَات القُرآنية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١ – **مَعالمُ التَّوْحيد في فَاتحَة الكتَاب**ـ (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه)
(مطبوع ومنشور عن دار المأثور– بالمدينة النبوية–١٤٤١هـ)

٢ – **عنَايَةُ الإسْلاَم بتَرْبيَة الأبْنَاء كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ**، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣ – **التقرير لأصول وقواعد علم التفسير** – مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤ – **تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين** – مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥ – **المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦ – **المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧ – **دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨ – **الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْع العُثْمَانيّ وَالأَحْرُف السَّبْعَة** في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩ – **أَحْسَنُ المَنَاحي في إثْبات أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَاني تَوْقيفي لاَ اصْطلاَحي**

١٠ – **الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١ – **صيَانَةُ كَلاَم الرَّحْمَن عَنْ مَطَاعن أَهْل الزَّيغ والرَّوَغَان** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢ – **موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣ – **الذَّهَبُ الإبْرِيزُ في خَصَائص الكتَاب العَزيز**

١٤ – **جَنَى الخُرْفَة في إبطال القول بالصَّرْفَة** – مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥ – **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في إعْجَاز القُرْآن في إخْبَاره عَنْ المُغَيَّبَات (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)**

١٦ – **التِّبْيَانُ في بَيَان وُجُوه الإعْجَاز التَّشْريعيّ في القُرْآن**

١٧ – **إيجاز القول في الإعجاز**

١٨ – **التحدي في القرآن**

١٩ – **صَحيحُ المَنْقُول المُوافقُ لصَريح المَعْقُول في مُنَاقَشَة ثَلاَثَة تَفَاسير رُتِّبَتْ عَلى تَرْتيب النُّزُول.**

٢٠- **البُرْهَانُ في حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَصْحَابِه لِلقُرْآن**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمان بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرآن**

٢٣- **بُلوغُ المَرام في قصة ظُهُور أَوَل مُصْحَف مُرَتل في تَارِيخ الإِسلام**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآن**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِيَّة فِي حُكمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّة**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصرة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَة**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّة**

٣١- **قَطْعُ العَلائِقِ لِلتَّفَكُرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلائِق**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- (**التوحيد من الكتاب والسنة**) (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف:** (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية